

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

حافظ هو أقرب الثلاثة الى السلف واجمعهم لهوى الصناعة القديمة في جزالة الكلمة ورنة البيت والشطرة
وشوقي هو املكهم لعنان قلمه واكثرهم تصرفا في اغراضه
ومطران هو اقربهم الى اساليب الغرب ، واقلهم خسارة بترجمة شعره الى اللغات الاوربية

كان ميدان الشعر العربي في مطلع القرن العشرين يتسع لفرسانه الثلاثة : شوقي وحافظ ومطران

وكان من الهام البداهة الفنية تلقيبهم بتلك الالقاب التي لزمتهم وكادت أن تدل عليهم دلالة اسمائهم: شاعر الامير ، وشاعر النيل ، وشاعر القطرين ، أو شاعر بعلبك والاهرام

وقد تزاملوا مدى الحياة ، ولكنهم لم « يتصادقوا » جميعا في غير حدود المجاملة ، اذ حالت المنافسة بينهم دون اتصال الصداقة القلبية على أتمها وأصفاها ، ولكنها كانت منافسة في شيء غير الشعر وغير الشهرة الادبية ، لان ميدان الشعر العربي – كما قلنا في مستهل هذه الكلمة – قد اتسع لهم وظل متسعا لهم ولمن بعدهم مدى الحياة

لم يكن خليل مطران مرشحا لمنافسة أحمد شوقي في القصر الخديوي ، لان شاعر القصر بحكم وظيفته يحيي الامير في الاعياد والمواسم والمناسبات الدينية

ولم تكن بين خليل وحافظ منافسة على منابر الانشاد ولا على أندية السمر والفكاهة ، لانه كان يروي شعره ولا ينشده ، وكان شغله في النقابات يغنيه عن التعويل في معيشته على كسب القصيد

ولهذا خلصت المودة بين خليل وشوقي كما خلصت بينه وبين حافظ ، وكانت المجاملة غاية ما انتهت اليه الصلة بين الطرفين الآخرين ، تتخللها احيانا مقطوعة

لاذعة من هنا وبيتان قارصان من هناك ، ثم ينقضي على هذا خصام الكلام ، بلا عتاب ولا ملام

وكثيرون من ابناء هذا الجيل لم يسمعوا بتلك « الشفويات » المتبادلة بين شاعر الامير وشاعر النيل ، مما ينقل ويروى ولكنه لا يطبع او ينشر ، وأصلحه للنشر من قبيل قول شوقي :

وأودعت انسانا وكلبا وديعة
فضيعها الانسان والكلب حافظ

أو قول حافظ :

يقولون ان الشوق نار ولوعة
فما بال شوقي اصبح اليوم باردا

أما حافظ ومطران فقد خلقهما الله سميرين مطبوعين يملكان الندى ويؤنسان الجليس ولا يمل لهما حديث ، ولكنهما ـ فيما عدا اتفاق العنوان ـ يختلفان في الطريقة أبعد اختلاف ، ويستطيع كل منهما أن يخلي المكان لصاحبه ويحتفظ بعد ذلك بمكانه على أوسع نطاق

فالمطران فارس الحلبة في « الصالون المائل » يتجلى بالنادرة الطريفة والمثل الانيق والقفشة الاجتماعية والشاهد المبين

وحافظ فارس الحلبة في مجتمع الادباء وفي النادي « الرجالي » لايبالي أن يرسل النكتة الحاضرة والجواب السريع والقافية التي لا تعتذر ولا تعتذر ، والهجوم العنيف الذي لا يتكلف ولا يعنيه أن يرفع التكليف ٠٠ ومطران أول من يستهدف باختياره لهذه الحملات عليه وعلى غيره ، من زميله الذي لا يرحم ولا تطلب منه الرحمة في هذا المقام !

سمع مطران أن رئيس الوزارة يومئذ يتوعده بالنفي فقال :

أنا لا أخاف ولا ارجى
فرسي مهيأة وسرجي

وسمع حافظ قصيدة زميله « المتحمس » فبادره قائلا يخفف من غضبه ويهون عليه الامر :

« فرس ايه وسرج ايه يا خليل ٠٠ قل وأنت الصادق : كتفي مهيأة وخرجي ! ٠٠٠ » يشير الى خرج الصابون !

ويتحدث مطران عن سر التشويه الذي أصاب أنفه فيقول انه من أثر الولع بالفروسية في صباه ٠٠ جمح به الجواد فسقط من سرجه ووقع على أنفه

فيدركه حافظ معقبا : « واخوك جورج ما باله ؟ ٠٠ أكان على ظهر حمار وراءك فجمح به الحمار ٠ ! »

وحافظ هو أول من أشاد في قصائده بالشاعر العربي مطران فقال :

نظم الشام والعراق ومصرا
سلك آياته فكان الاماما

ولكنه اذا وجبكت القافية ، قال لزمليه انه على مذهب النحاة الذين يلزمون المثنى الالف ، وان مطران على هذا هو « شاعر القطران ٠٠ »

ولكل من الزملاء الثلاثة في صاحبيه « رأي أدبي » يدخل في باب النقد محسوبا له حساب التواضع في المجاملة او التحفظ في المنافسة ٠ فمطران يقول عن حافظ « انه نحات تماثيل » ويقول

عن شوقي « أنه شاعر العبقرية،فرار الذكاء ، يستمد وحيه من مشاركات علمية وتنبيهات فنية »

وشوقي يقول عن مطران « انه صاحب المنن على الادب والمؤلف بين أسلوب الافرنج في نظم الشعر ونهج العرب »

ويقول حافظ في مطران « أنه منجم من مناجم الماس الا أنه تضج وأستوى وحوى من الكنوز ما حوى »

ويعني بمنجم الماس انه منجم الفحم كذلك ، ولكنه اذا نضج واستوى فهو الجوهر المصفى ، الذى يشهد له فى تحيته لابناء بعلبك فيقول :

قد سمعنا خليلكم فسمعنا
شاعرا أقعد النهى وأقاما
وطمعنا في شأوه وقعدنا
وكسرنا من عجزنا الاقلاما

وقد بايع حافظ « شوقيا » بالامارة فى قصيدته التى يقول منها :

أمير القوافى قد أتيت مبايعا
وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

أما شوقى فخير آرائه فى حافظ هو الرأى الذى أورده فى رثائه بين أبيات يقول منها :

أنظر فانت كأمس شانك باذخ
فى الشرق واسمك أرفع الاسماء
يامانح السودان شرخ شبابه
ووليه فى السلم والهيجاء
لما نزلت على خمائله ثوى
نبع البيان وراء نبع الماء
قلدته السيف الحسام وزدته
قلما كصدر الصعدة السمراء
قلم جرى الحقب الطوال فما جرى
يوما بفاحشة ولا بهجاء
يكسو بمدحته الكرام جلالته
ويشيع الموتى بحسن ثناء

وهو رأى قاله فى صيغة أخرى حين قال فى تقريظ ديوانه الاول على اشهر الروايات :

يا حافظ الآداب والبطل الذى
يرجى ليوم فى البلاد عصيب
لاتسأل الاوراق عما أودعت
فى هذه الصفحات كل عجيب

وخلاصة الرأيين أن المأثور من شعر حافظ هو كلامه فى الرثاء وتقدير العظماء ، وهو رأى يوافقه عليه المعجبون بحافظ ويضيفون اليه التنويه بقصائده فى القوميات وطائفة من الاجتماعيات ، وقد ينظر مطران الى مكانته من جانبها « النفسانى » فيتساءل : ما هو العامل الاكبر فى محبة الامة لحافظ ؟ »

ويقول مجيبا بما فحواه انه هو اخلاصه فى قومياته لامته لانه : « كان صادقا فى محبته اياها صدقا لم يبال معه ثقال التبعات التى تعرض لها سواء أكانت منها أم كانت من أجلها »

أما مكانتهُ فى حركة التجديد فالخليل يتوسط فى حكمه عليها فيجعلها دورا من أدوار حياته الشعرية ، وفى هذا الدور أنشدنا قصيدته التى عنوانها « غادة اليابان » وتصرف فى نظمها تصرف الآخذ آخذة الجديد فى الشعر وظل على مذهبه هذا بقية

عمره • غير أن طائفة من الحوادث القاهرة كانت بين آن وآن تفعل فعلها في رده الى الميناء الذى أقلع منه • • »

▭

ذلك رأى الزملاء الثلاثة في انفسهم ، ونعتقد أنه هو الرأى الراجح في موازين النقد اذا رفعنا منها صنجة المجاملة وصنجة المنافسة وهما تزيدان وتنقصان من جانب التواضع تارة ومن جانب التحفظ تارة أخرى :

فحافظ هو أقرب الثلاثة الى السلف وأجمعهم لهوى الصناعة القديمة من جزالة الكلمة ورنة البيت والشطرة

وشوقي هو املكهم لعنان قلمه وأكثرهم تصرفا في أغراضه

ومطران هو أقربهم الى اساليب الغرب واقلهم خسارة بترجمة شعره الى اللغات الأوربية

الا أن المعجبين به والمخالفين له قد بالغوا معا فيما نقدوه من أسلوب لفظه وتركيبه ، فمن الواجب أن نذكران شعر الخليل على ما فيه من مآخذ البلاغة أسلم لغة في جميع ادواره من جملة إشعار عصره ، وانه لم يكن يتجنب اللفظ السائغ الطلى جهلا به بل ايثاراً لتحقيق مقصده فان الذى يقول – مثلا – عن طاقة الزهر :

أحاول سلوانا بتشكيل طاقة
فأقتل منها ما أشاء وأشكل

لا يعييه أن يقول «تنسيق» طاقة بدلا من تشكيل طاقة •• ولكن التنسيق لا يفيد تعدد إشكال الزهر في الطاقة الواحدة ، ولا يمتنع أن يكون الزهر في الطاقة الكبيرة على شكل واحد ، ولا معدى اذن من كلمة التشكيل على ما فيها من العامية والشيوع في مبذول الكلام

واذا لوحظ هذا المعنى المقصود في الفاظ الخليل ، فالضعف الذى يشوبها بعد ذلك جد قليل







امرأتان في البيت

بقلم اندريه موروا

هذا المقال الطريف يحدثنا اندريه موروا عن العلاقة بين الام وابنتها ، والزوجة وحماتها ، والزوجة وامها ، وكيف تسوء والبواعث والدوافع ، وما يجب ان يكون

كثيرا ما نسمع من يقول ان البنات يشعرن عادة بأنهن الصق بآبائهن ، بينما يحس البنون بأنهم أدنى الى أمهاتهم ، ولا يخلو هذا القول الشائع من شيء من الحقيقة ، ذلك ان جاذبية الجنس الآخر تلعب دورها بطريقة لا شعورية . فالام تحب أن ترتكز على صفات الرجولة وخصائصها التي توجد في ابنها عندما يصبح رجلا ، ولكنها تجد في ابنتها زميلة تقاسمها ذوقها بطريقة افضل ، وأنيسا يستطيع ان يحيا حياة كحياتها ، وخاصة اذا كانت هذه الابنة تحبها وتتعلق بها

ولكن يحدث للاسف أن تتسمم العلاقات بين الام وابنتها . واذا قام الخلاف بين امرأتين تربطهما مثل هذه الصلة الوثيقة ، الى الحد الذى تحنق فيه احداهما على الاخرى ، فان الشقاق يكون عندئذ اشد خطورة مما لو نشب بين سيدتين لا تقوم بينهما صلة ، لان المقاطعة التامة صعبة وقاسية ، فالمجتمع

يمارس في هذه الحالة اشد الضغط عليهما كي يحول بينهما وبين تقويض دعائم الاسرة ، فهى الخلية الاجتماعية ونواة المجتمع الكبير ، التي ثبت نفعها ، وتأكد جلالها وقدسيتها على مر العصور . وحتى على افتراض ان المصالح المشتركة قد تدفع البنت الى معارضة امها في بعض الاحيان ، فان هذه المصالح المشتركة ذاتها تضطرهما معا الى الدخول في علاقات دائمة

هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان شعور الام وابنتها غالبا مايكون متداخلا ومعقدا ، فقد تشكو احداهما من الاخرى او تضيق بها ، ولكن هناك على الدوام شعورا غريبا بالحاجة يدفع كل واحدة منهما دفعا الى ان تعود الى الاخرى بغير انقطاع . ان كلا منهما تؤذى الاخرى ، ولكنهما تجدان لذة غامضة في تبادل التحدى والوقوف وجها لوجه ، وقد تجد احداهما في الاخرى شيئا من ذات نفسها ، فتعجب به على غير علم منها ، واذا كانت الواحدة منهما لا تستطيع ان تحتمل الاخرى، فهذا مرده الى ان كلا منهما تتصف بنفس العيوب

▭

ولا شك في ان العلاقة بين الام وابنتها تصدم الرجل ان كانت غير مرضية، والعلاقات غير الطيبة لها دائما اسباب عميقة الجذور ، واكثر هذه الاسباب شيوعا ان الابنة تحتفظ بذكرى مؤلمة لطفولتها

وانصافا للحقيقة ، يجب علينا ان نعترف صراحة بأن من الامهات من لسن جديرات بالامومة ، وهذا لا يعني طبعا انهن نساء سيئات او فاسدات الخلق . اذ يكفى ان تكون احداهن اكثر تعلقا بشئون الحب منها بالامومة ، لكى تسىء القيام بهذا الواجب المقدس ، ومن المعروف ان كل الاطفال مسرفون في رغباتهم ، ومبالغون في مطالبهم في اغلب الاحيان، وكيف لا يكون الطفل كذلك وهو عاجز عن الاستقلال بنفسه في هذه السن المبكرة ، وغير قادر على توجيه حياته ؟

من الطبيعي اذن ان يتبع الطفل امه ، وأن يعتمد عليها كل الاعتماد في بدء حياته ، ومن ثم فهو ينتظر منها كل شيء ، فاذا أهملته امه ، انهارت آماله فيها ، ووقف منها موقفا عدائيا ، ويساعد على نمو هذا العداء ضعف قواه المدركة ،وافتقاره الى التفكير المنطقي المنظم الذى لا يستند الا الى مجرد العاطفة ، ولا يقوم الا على الفهم الساذج المحدود فان كان هذا الاهمال ناتجا عن انشغال الام بالحب ودواعى العاطفة، فان البنت هي اول من يلحظ هذا ويدركه . ذلك ان غريزتها كأنثى تشعرها بأهمية العاطفة وتنبئها بها في وقت مبكر جدا عما يحدث لدى الابناء الذكور . انها تلمح النظرات على صغر سنها ، وتلحظ التنهدات، وتسجل الشكوى والانين ، ولا تنسى شيئا من ذلك قط

ولا شك في ان هذا الشعور العدائي يزداد حدة ، ويتضاعف احساس الصبية بالمرارة والألم ، اذا

كانت امها تضحى بها من أجل رجل تعرف أنه ليس والدها . والواقع ان الام التى ترتبط بزوجها ووالد اولادها برباط الحب ، لا تسىء اليهم، فهو شعور يمكنهم ان يشاركوا امهم اياه ، وكل ما فى الامر اننا قد نلاحظ احيانا شيئا من الاسى لدى الطفلة التى تتمنى دائما ان تكون مفضلة عند امها على الجميع تفضيلا مطلقا حتى على والدها ، غير أن هذا لا يكون الا حالة عابرة لا تلبث أن تزول

وعلى النقيض من ذلك اذا كانت الام شقية فى حياتها الزوجية ، وكانت فى طبيعتها الخيانة، أو ظلت محتفظة بشباب قوى واحبت رجلا آخر غير الاب ، فان الجرح الذى يصيب الابنة فى هذه الحالة يكون من العمق بحيث لا يندمل ، فهى اذ ذاك تتعلق بأبيها وتتألم من أجله، وتقاسى مضا موجعا وهى ترى امها تعبث بكرامته ، وتسلك معه سلوكا غير شريف ، ومن ثم فهى لا تغار من اجل نفسها فحسب ، وانما تغار كذلك من أجل والدها ، ذلك الرجل الذى تحبه أو الذى تجله وتحترمه، وسرعان ما يستحيل هذا فى قرارة نفسها الى شعور بالعار ، واحساس بالخجل من الام ، وهو شعور لاريب فى انه يعذبها ويؤلمها اشد الالم

■

لقد وضعت منذ سنوات طويلة رواية بعنوان « محيط الاسرة » ، تناولت فيها هذا الموضوع بالذات . انها قصة طفلة تكتشف ذات ليلة بمحض الصدفة أن والدتها تستقبل فى بيتها رجلا آخر من وراء ظهر أبيها الغائب ، فتشعر الصبية بصدمة قاسية تجتاح كيانها ، ويبقى اثرها فى نفسها مدى الحياة ، وبعد ان تشب الصغيرة عن الطوق وتصير فتاة يافعة ، تتحقق من أن هذا الرجل هو عشيق والدتها ، فتحاول حماية ابيها ، والمحافظة على شرفه وكرامته، وهو انسان ضعيف ، لا يرى شيئا اولا يريد ان يرى شيئا . وعندما يموت هذا الاب ، تحاول الفتاة جاهدة ان تمنع امها من دخول غرفة والدها الميت ، فهى لم تقطع علاقتها بأمها تماما ، ولكنها تضمر لها فى نفسها احتقارا شديدا ، حتى انها اضطرت ، حينما تزوجت ، الى ان تعترف بأنها تشعر بحاجة ملحة عجيبة الى الحرية ، وهى حاجة لا شك فى انها انتقلت اليها بالعدوى عن والدتها

وقد لا يلعب الوالد فى حالات أخرى اى دور من الادوار ، اذ كثيرا ما تكون الام أرملة أو مطلقة أو منفصلة عن زوجها على نحو ما ، بحيث يكون الرجل بعيدا عن مسرح الحوادث ، فتوقظ اية مغامرة عاطفية فى نفس الابنة شعورا سافرا بالعداء . ذلك ان الجيل الاصغر سنا يأبى ان يشاركه جيل آبائه فى رغباته وعواطفه الشخصية، ولا جدال فى أن الابناء فى حاجة دائما الى أن يشعروا بالاحترام والتقدير نحو اولئك الذين ينتظرون منهم القدوة الحسنة ، ويتوقعون منهم الارشاد وحسن التوجيه فى الحياة ، ومع ان الحب الحقيقى النقى يكون

جديرا بالرعاية والاحترام ، الا ان جماله لا تدركه الا العقول الرشيدة التي بلغت مستوى النضج

ولا شك في أن البنت تنفر من الام اذا بدا من هذه الاخيرة في اي وقت من الاوقات أنها لا تستطيع ان تكبح جماح انفعالاتها الجنسية،وقد يحدث رد الفعل في الابنة فتسرف في الطهر والتزام العفة الى الحد الذي يجعلها ترفض الزواج وتستنكره ، لا لشيء الا لان الصورة الاولى التي استرعت أنتباهها وانطبعت في ذهنها عن الحب تكون قد جرحت كرامتها وآذت شعورها ، بل انالبنت قد تفعل في هذه الحالة ما فعلته بطلة روايتي التي اشرت اليها ، فتحتذى مثلا لا ترضى هي عنه على الاطلاق، وعلى اية حال فان شعور الابنة يكون عنيفا مستعرا لا اعتدال فيه

وتعتبر قصة « سولانج » ابنة الكاتبة المشهورة « جورج صاند » دليلا قاطعا على ما اقول ، فقد رأت «سولانج» ، وهي بعد طفلة صغيرة ، أن امها ليست على وفاق مع ابيها، ولاحظت انها تحتقره . وتسيء الى شعوره، فتطلق العنان لنزواتها علنا وفي غير تحفظ أو حياء . ان « سولانج » قد رأت رجالا غرباء يدخلون حياة أمها ، ويعيشون معها تحت سقف واحد في بيت الزوجية، رأت منهم « جول ساندو » ، و « الفرد دي موسيه » ، و « فيلسيان مالفيل » ، و«شوبان» و «ماتسو»وآخرين غيرهم ، فكانت نتيجة هذا كله ان شبت الطفلة فاصبحت فتاة متبهرجة سريعة الغضب ، وقاسية ذات نزوات ! ترى هل يحق لنا بعد هذا كله ان نحملها مسئولية ذلك ، أو ان نوجه اليها اللوم ؟

لا نزاع في أن ثمة شيئا كان كافيا في قرارة نفس « سولانج » منذ الطفولة ، وفوق هذا فانها كانت تشعر شعوراً واضحا لا لبس فيه ولا خطأ ، بأن امها كانت تؤثر عليها على الدوام ابنها « موريس » ، فلا غرابة اذن في ان « سولانج » أرادت بدورها ـ بعد ان اصبحت شابة جميلة ناضجة الانوثة ـ ان تفتن الشبان وتغرى الرجال، حتى لو كانوا من أصدقاء أمها الكاتبة او عشاقها، بل ان الفتاة كانت تجد متعة بالغة في اغراء عشاق أمها خاصة !

وفي رأيي أنه مما يدعو الى اللوم ، لا الى الدهشة ، ان تحاول «سولانج» السيطرة على قلب الموسيقى « فردريك شوبان » ، ولا شك لدى في ان الجانب الاكبر من اللوم انما يقع على عاتقه ، وان جرمه اكبر من جرمها ، اذ سمح لها بأن تعمل معه ضد أمها

وليس ثمة ما هو اشق من الوصول الى حكم عادل بين « جورج صاند » وابنتها « سولانج » ، فالام كانت تقول لابنتها ، عن حسن نية دون شك : « انك قد نشأت وترعرعت يا ابنتي في جو من الكرامة الخلقية، فكيف تسول لك نفسك أن تدنسي اكثر افعال أمك قداسة ؟ لماذا تجدين ان من الصعب على المرء الا ان يتردى في مهاوي الرذيلة . حين يكون فقيرا

منعزلا ؟ » فكانت سولانج ترد على والدتها بان تقول لها فى أسى ومرارة: « كيف تريدينني أن أكون غير ما أنا عليـــه ، وأنا لم أر من حولى الا اسوأ المثل ؟ » وهكذا ، اتسعت شقة الخلاف بين الام وابنتها شيئا فشيئا حتى أصبح الجو الذى يعيشان فيه متوترا حقا ، وصار الشعور المتبادل بينهما ثقيلا لا يطاق

□

وعندما تشاء الظروف أن تعيش الابنة مع زوج أمهـــا تحت سقف واحد ، فان منظر حب جديد يقع تحت سمعها وبصرها يكون خليقا بأن يدمى شعورها كفتاة ، ويؤلمها أشد الألم . ولسنا هنا بصدد بحث مشكلة ايذاء شعورها عن طريق الحيـــاء والخجل ، لان عدم صبرها على تحمل سيد جديد فى البيت انمـــا يكون شعورا طبيعيا عادلا ، ولكن ما يهمنا هو ان هذه المشاعر موجودة بالفعل ، وأن رد الفعل الناتج عنهـــا أمر واقعى لا سبيل الى انكاره أو تجاهله ، فهذه جميعا أمور قد عرفتهـــا الطبيعة البشرية منذ أقدم العصور ، وليس هناك شـــك فى أن زواج أم البنت من غير والدها قد يكون سببا فى افساد حيـــاة الابنة ، وقلب مشاعرها رأسا على عقب ، أو تغيير مجرى حياتها تغييرا جـوهريا على أقل تقدير ، وهذا هو ما يجب على الام العاقلة الطيبة أن تحســب له ألف حساب وأن تحرص جاهدة على أن تحمى أولادها منه

ويحق لنا الآن أن نتساءل كيف يكون ذلك ؟ ترى هل يعني هذا ان تتجنب الام ان تحب زوجها الثانى ، أو ان تبادله العواطف؟ وكيف يكون فى وسعها ان تتحاشى هـــذا الحب الجديد أو ان تخفيه وهو عاطفـــة طبيعية مشروعة ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أيكون من الميسور ان تقبل الابنة فى استسلام وخضوع هذا التغير العميق الذى يطرأ على حياة الاسرة ويصيبها فى الصميم ؟

الجواب : نعم ، بالطبع ، اذ ان كل شيء يتوقف على مسلك الام ، وعلى طريقتها فى معالجة الامر ، فهي التي تملك ان تسير بهذه المشاعر فى طريقها السوى ، أو أن تتنكب بهـــا جادة السبيل ، وعليها وحدها ان تعرف وان تدرك ، وأن تقدر وان تتنبأ

□

ولسنا نستطيع ان نطالب بهـــذا كله فتاة يافعة تفتقر الى المعـرفة والتجربة ، ولا ان تضبط عواطفها ، أو ان تسيطر على انفعالاتها ، شأن الذين تصـــقلهم السن وتكسبهم التجارب قدرة على التفكير السليم . ولهذا كان من الطبيعي اذن ان نتجه نحو الام وهي أكثر نضجا واعمق خبرة ، ومن ثم فهى خليقـــة بأن تتحمل المسئولية كاملة

ونحن اذا كنا نولى وجوهنا شطر الام فاننا لانستطيع ان نطالبهـــا بأن تتنازل عن حقها فى حب جديد ، أو فى حياة عاطفية ثانية يقرها الدين ويرضى عنها المجتمع ، فهذه تضحية لا شك كبيرة ، ولا يقدر عليهـــا الا

القليلون . وفوق هذا ، فهي تضحية ليست ضرورية في مثل هذه الحالات، ولكن يكفي ، بل يجب عليها ، ان تحرص على الا تراها الابنة في موقف عاطفي مع زوجها لا يروق للابناء ، والا تسرف في ابداء العطف والحنان له على مرآى منهم ، بل تحتفظ بهذا كله وتدخره للأوقات التي تنفرد فيها به

ومن جهة اخرى ، فان الطرفين المعنيين في الزواج الثاني ، أعني الزوج والزوجة ، يجب ان يكون لديهما من الذوق ورقة القلب ما يدفعهما الى الحرص على الا تتعارض مصالحهما تعارضا كبيرا مع مصالح الابناء ، وفي وسع الزوج الثاني دائما ان يلعب دور الوسيط المهدىء بين الام وابنتها ، اذا كانت زوجته الام تخلص له الود ، وتصدر في حبه عن عاطفة مخلصة ، وقد رأينا بأنفسنا كثيرا من الامثلة في السنوات الاخيرة ، وصل فيها الامر الى حد ارتكاب الجرائم ، ولاشك في ان الزوج الحكيم ذا الافق الواسع ، يكون لديه من الذوق وحسن المعاملة ما يجعله يهتم بمصالح ابناء زوجته ، ويبدد قلقهم ومخاوفهم ، ويحرص خاصة على الا تشعر الابنة قط بان هناك مناورات ومؤامرات تدبر على حسابها في الخفاء

والواقع ان حفظ التوازن في مثل هذه الحالات امر ينطوي على شيء من الصعوبة ، وهو يزداد صعوبة اذا اجتمع في بيت واحد زوج أم شاب ، وابنة لزوجته بلغت سن الزواج ولم تتزوج بعد ، اذ يصعب كثيرا في مثل هذه الحالة أن يقوم التوازن بين الاندماج الكبير بين الابنة وزوج الام اذ تغار منها الام بدورها ، وبين ذلك الجفاء السافر الذي يكون بين الام والابنة . ومع هذا ، فهناك عدة امثلة سعيدة ناجحة تثبت لنا ان هذا التوازن على صعوبته ممكن الحدوث

□

وكثيرا ما تتعرض الروايات المسرحية والاغاني للتندر على موضوع الخلافات التي تقوم بين الحماة وزوج ابنتها ، والرأي عندي ان هذا الاسلوب قد أصبح الآن باليا ، واكبر الظن ان عصرنا هذا اصبح يحكم على هذا الموقف بأنه يدعو الى الأسف والاسى اكثر مما يبعث على السخرية . ومهما يكن من شيء فان امرا واحدا يبقى مؤكدا لا ريب فيه ، وهو أن احتكاك الحماة بزوج ابنتها يسهل حدوث الانفجار

فاذا كانت الابنة شديدة التعلق بامها ، ودرجت على ان تستشيرها في اتفه الامور وان تقص عليها كل شيء ، فان الزوج يشعر عندئذ بانه هدف لرقابة سلطة قوية قاسية

وفي مثل هذه الحالة لا يحدث ضرر كبير اذا كانت الام عاقلة تعرف كيف تحتفظ لنفسها بالاسرار التي تتلقاها من ابنتها ، ولا تمس ما يخص الزوجين ، لان الزوج لا يعلم عندئذ الى اي حد تكون زوجته مرتبطة بوالدتها

اما ان كانت الزوجة لا تلزم جانب الحذر ، فتردد على مسامع زوجها ما تقوله والدتها بصدده من اقوال

وملاحظات وتعليقات ، وهى أقوال قد لا تكون جميلة ولا مستحبة فى كل الاحوال ، فان زوج الابنة سوف ينفجر عندئذ قائلا :

ــ ما شأن أمك فى هذا كله ؟ الا تزين معى انها تحسن صنعا بمراقبة زوجها هى ؟

فترد عليه زوجته الشابة بقولها :

ــ ماذا تعنى ؟ أتريد ان تلمح الى ان ...

فيقاطعها قائلا فى صوت اكثر حدة

ــ لست ألمح ولكنى أؤكد أن اباك قد ضاق ذرعا بتصرفات أمك ، ولشد ما التمس له العذر !

وهكذا ، يبدأ الخلاف بين الزوجين ، وغالبا ما يدوم سنوات عديدة ، ولا يقلل من حدة الخطر ، وتعقد الموقف ، أن تكون الام غير محبة لابنتها وتتخذ من زوجها شاهدا على أخطاء هذه الابنة ، وترى ان زوجها محق فى شكواه منها ، ومن ثم تقف معه جبهة واحدة أمامها فهنا تحدث خلافات عائلية من نوع آخر ، وتقول الزوجة الابنة لزوجها :

ــ حسنا ! انك تتحد مع أمى ضدى وتجتمعان معا فى انسجام لتنتقدا مسلكى وتتقولا عنى بالسوء !

فيجيبها زوجها بقوله .

ــ اننا لا نتحد معا ، وانما نلاحظ انك حادة الطبع جافة الخلق ، ونبحث معا عن افضل الوسائل لاصلاح شانك

فتقاطعه زوجته قائلة فى سخرية مريرة :

ــ اعلم اذن انى لست فى حاجة الى عنايتكما هذه ، وأحب ان اقول لك بهذه المناسبة انك اذا كنت تفضل والدتى على فاذهب لتعيش معها ، اذ لا شك فى انى ساكون وحدى اهنأ بالا وأكثر سعادة !

وهكذا يثور بين الزوجين نقاش مرير لا نهاية له ، وتتجمع السحب القاتمة شيئا فشيئا بتكرار مثل هذا الموقف ، حتى تملأ بيت الزوجية بجو كئيب من الجفوة والتوتر

وقد عالج كثير من الكتاب موقف أم الزوج فأفاضوا فى وصفه وتحليله انها كثيرا ما تنتقد زوجة ابنها ، اما لغيرتها منها ، أو لانها تسرف فى حب ابنها الى حد انها لا تحب أن تراه محبوبا من زوجته أو محترما بما فيه الكفاية

وأحسن حل لكل هذه الخلافات هو ان تقطع حبل الوريد ، وان نعترف صراحة بانه ليس فى وسع المرء أن يخدم سيدتين فى وقت واحد ، فالابنة المتزوجة يجب ان تتبع زوجها أكثر مما تتبع والديها وهذا لا يعنى طبعا انها تقاطع أمها ، أو تكف عن حب ابويها . ومع ان الامر يتعلق هنا بنوعين متميزين من الحب ، الا انه يجب أن تكون هناك سلطة واحدة ، ولا شك فى ان الزوج هنا مكانه مقدم على الام ، والعكس صحيح ، بمعنى ان مكان الزوجة من نفس زوجها يجب ان يكون مقدما على مكان امه ، كما يجب عليه الا يمكن هذه الام من التدخل فيما لا يعنى احدا آخر غيره وغير زوجته ، اذ كثيرا ما تنقلب أم الزوج الى طاغية مستبد

(عن مجلة « كونستلاسيون »)

اعترافاتى

بقلم الأستاذ يوسف السباعى



السكرتير العام للمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الاستاذ يوسف السباعي من نوابغ شباب هذا الجيل ، وظهر نبوغه فى فن القصة الطويلة والقصيرة ، وعرض بعضها فى السينما فنالت نجاحا كبيرا .وقد رات المجلة ان تقدمه لقرائها فبعثت اليه باسئلة يرى القراء اجابته عليها

١ ــ متى هويت فن القصة ؟ ومن هو القصصى الذى أثر فى مجرى حياتك ؟

٢ ــ لماذا اخترت فن القصة فى الادب دون غيره من أنواع الادب ؟

٣ ــ ما الذى تفضله فى الكتابة القصصية . أهو النوع الإجتماعى أم الفكاهى أم الدرام ؟

٤ ــ ماهى رسالة القصة العربية فى رأيك ؟

٥ ــ هل المستقبل للقصة السينمائية أم القصة المقروءة ؟

٦ ــ ماهى القصة التى نالت اكبر نجاح من قصصك ؟ وما هى الاسباب التى تعزو اليها هذا النجاح ؟

٧ ــ أقيمت مسابقة لتكملة قصة الرئيس عن معركة رشيد . فما هو رأيك فى هذه المسابقة ؟ وهل ترون أن عناية الرئيس بالقصة ستدفع الشباب الى تجويد هذا الفن الادبى؟

ــ ١ ــ

هويت فن القصة وأنا فى الرابعة عشرة من عمرى . وكنت قد قرأت معظم ما ترجمه أبى عن أساطين القصة فى أوربا مثل تشسيكوف وموبسان وغيرهما . وكنت اشترك مع ابى فى مراجعة تجارب (بروفات) ما يطبعه من الكتب وكان كثيراً ما يأخذ رأيى فيما يكتب . ولست أدرى على التحقيق أهى الوراثة أم تأثير البيئة هو ما جعلنى اتلهف الى كتابة القصة . ولكنى وجدت نفسى فى تلك السن أحاول الكتابة ،وقد

استطعت بعد سنة من بدء المحاولة أن أنشر بعض ما كتبت في بعض المجلات الادبية المعروفة كمجلة الهلال الشهرية والمجلة الجديدة التى كان يصدرها سلامة موسى ، ومجلتى التى كان يصدرها أحمد الصاوى . وغنى عن البيان ان الكاتب الذى أثر فى مجرى حياتى ووجهنى هذا التوجيه هو أبى

- ٢ -

اخترت فن القصة دون غيره لانى كما قلت كنت أكثر انطباعا به منذ الصغر لكثرة ما قرأت منه وربما لان موهبتي قد دفعتنى الى ذلك . ولو كنت أملك موهبة الشاعر لجرفني تيار الشعر . على انى لا أعتقد أن الفنان يختار فنه وانما تفرضه عليه موهبته

- ٣ -

الواقع أني لا أفضل نوعا معينا بالذات ، وانما أختار الموضوع الذى يدفعنى اليه انفعالي حين اهم بالكتابة . واعتقد أن انتاجي يضم الاتجاهات الثلاثة . فقد كتبت في الناحية الاجتماعية قصة ارض النفاق ومجموعة قصص « يا أمة ضحكت » ، وكتبت فى الناحية الفكاهية « أم رتيبة » ،وجمعية قتل الزوجات » . وفي الناحية الدرام « انى راحلة » و « بين الاطلال »

- ٤ -

رسالة القصة العربية هي رسالة كل فن . وهي أن تجعلنا نأخذ من حياتنا خير ما فيها من جمال،وخير وحرية ، ومحبة ، وصداقة وسلام

وأعتقد أن القصة العربية تحاول أن تحقق لنا هذا الهدف

- ٥ -

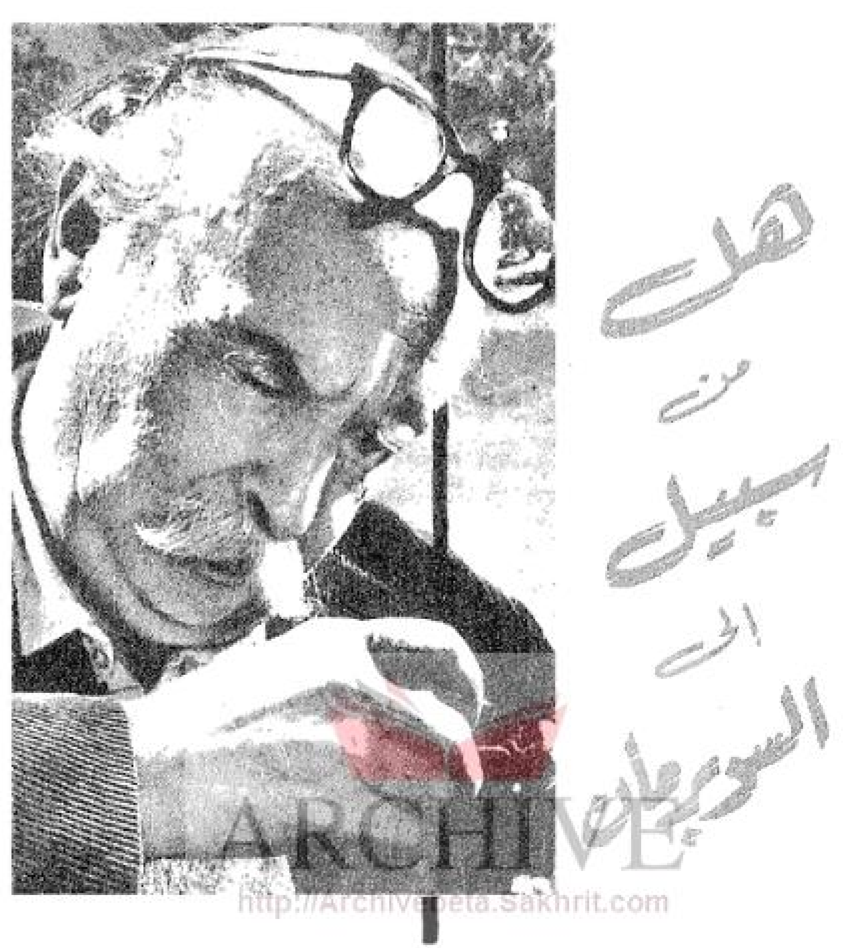
لا شك أن السينما والاذاعة والتليفزيون تعتبر من أوسع وسائل نشر الادب والفن . وان كنت أعتقد أن الادب المقروء لا يمكن أن تقضى عليه احدى هذه الوسائل . بل هى تعاون فى تغذيته كما تعاون فى نشره

- ٦ -

أعتقد أن أكثر قصصى نجاحا من ناحية سعة الانتشار هى قصة « انى راحلة » . لانها تمس احساس الانسان في سن معينة هي سن التفتح للحب . وأعتقد أننا كلنا مررنا بهذه السن ومن أجل ذلك لن ينتهى الجيل القارىء لها أبدا لانه كلما كبر جيل ، حل محله جيل جديد . وأعتقد أن « بين الاطلال » توشك أن تنافس « أنى راحلة » . فى سعة الانتشار

- ٧ -

لقد اقبل الشباب على مسابقة قصة الرئيس بلهفة . فالقصة ترسم الخطوط الاولى لمعركة من أكبر معاركنا واعظمها فخرا لنا ، فقد هزمنا فيها الاستعمار،ورددناه على أعقابه . وقد رسم فيها الرئيس ملامح بطولية رائعة . وأعتقد أن هذه المسابقة ستدفع الشباب بلا جدال الى محاولة الكشف عن مفاخرنا وصياغتها فى القالب القصصى



هل من سبيل الى السوبرمان

للدكتور جان روستان ■ ■ ■

لماذا وقف تطور الانسان منذ مائة الف عام ؟ ان العالم الدكتور جان روستان يكشف اسباب ذلك فى هذا البحث القيم

صاحب هذا المقال ، جان روستان ، فى مقدمة علماء فرنسا وأدبائهم . فهو بوصفه من أشهر علماء الاحياء فاز بجائزة المجمع العلمى الفرنسي ، وبوصفه من اشهر الادباء فاز بجائزة الادب الكبرى من مدينة باريس . وقد قضى نصف عمره (٣٤ سنة) تقريبا فى دراسة التلقيح الصناعي بوساطة تجاربه على الضفادع . ومن اقواله المأثورة « لقد فتحت لى ضفادعى أبواب الكون على مصاريعها »

من الغريب أن الانسان ـ خلافا لما يعتقد الجمهور ـ قد كف عن التطور والارتقاء منذ أمد بعيد . فرجل القرن العشرين لا يكاد يختلف بتاتا عما كان عليه الانسان البشري الذي عاش فى كهوف العصر الجيولوجي الرابع(1) منذ أكثر من مائة الف عام ، كما تدل على ذلك بقايا العظام التي عثر عليها العلماء . ومعنى هذا ان تلك الاحقاب والاجيال التى طواها الزمن ، لم تؤثر تأثيرا فى تركيبه التشريحي والشكلى الخارجي ، ولم يطرأ عليه فى خلالها تغيير أو تبديل . والفرق العظيم بين ناحت الصخر والصوان ، والأنسان الحديث ، لا يعزى الى شيء سوى اثر الحضارة ، اى شتى آثار المدنية التى تراكمت على مدى العصور ، فتناولها الخلف من السلف من طريق التقاليد والارث الاجتماعى

ويفهم مما تقدم ان الرجل فى ذلك العصر الذى ظهر فيه النوع الانسانى ، كان مساويا لما كتب عليه أن يكون ، اى انه كان يحمل فى تكوينه كافة الصفات والقدرات التي خولته فيما بعد أن ينشر الوية الصناعة ، والمهارة الفنية ، والعلوم والفنون ، والفلسفة والدين ، وكل ما نشاهده اليوم من مظاهر التقدم والرقي . فلو أننا استطعنا بمعجزة أن نستحضر من تلك العصور النائية الضاربة فى القدم ، طفلا حديث الولادة ، وربيناه كأنه أحد أبنائنا ، لرأيناه ينشأ رجلا ، لا يختلف عن رجل القرن العشرين منظرا وقدرة وحضارة ومسلكا ، ولا يمكن أن يقال أنه من أبناء تلك الاجيال الغابرة

ولاشك أن هذا يدل على قيمة العوامل الاجتماعية ، وعظيم أثرها فى تطور النوع البشرى ، بيد انه من الخطأ أن ننسى أن العوامل البيولوجية هى التى كان لها الدور الحاسم فى ذلك منذ بدء ظهور الانسان ، وتطوره (من الحيوانات العليا ، او السفلى أو ذات الخلية الواحدة) .. ان التفاعل بين ذكاء الانسان وغرائزه الجماعية ، من نقطة معينة بعيدة فى التاريخ ، هو الذى رفع النوع البشرى الى ماتراه عليه اليوم ، ولكن الفضل فى ذلك يعزى الى ماطرأ عليه من التغيرات الطفيفة فى جهازه الجسمانى قبل كل شيء . ولسنا نعلم على وجه التأكيد طبيعة تلك التغيرات الطفيفة أو اسبابها ، ولكنا نعلم يقينا أنها لم تكد تستقر عن طريق التوارث ، حتى ظهر الانسان فى الصورة التى نراه عليها اليوم . وبعبارة أوضح ، أنه فى تلك اللحظة بالذات التى حدث فيها فى جسم الانسان ذلك التعديل الزهيد ، تغيرت طبيعته ، وأسدل ستار على ماضيه ، وانتقل توا من فصيلة الحيوانات العليا ذات الثدى الى شيء آخر ، اسمه فصيلة النوع البشرى . وهذا النوع يختلف كثيرا عما سبقه من أنواع الخليقة . انه فريد فى بابه ،

(1) « Quaternary » وهو العصر الجيولوجى الاخير

فى توقد ذهنه ، وحـــدة ذكائه ، ومقدرته الفائقة التى غيرت وجـه الارض بمخترعاته ومكتشــفاته ، ومغامراته الصناعية والفنيةوالعلمية والتى بالرغم من عظمتها فى نظـرنا ، لا تزال فى المرحلة الاولى من طـريق التقدم والرقى

ومن المؤكد أنالانسانلم يستنفد بعد كل امكانياته ، ولم ينضبمعينه بعد ، مما فى وسعه أن يأتيـــه من المعجزات . ولكن المسالة التىتشغل بال العلماء البيولوجيين اليـــوم ، الاجابة عما يأتى : هل من سبيل الى توسيع هذه الامكانيات ؟ هـل فى مقدور الانسان أن يحدث تغييرا فى تكوينه العضوى ، أسوة بما حدث فى الحيوان(١) ، حتى يزداد ذهنـــه توقدا ، وذكاؤه حدة ، فيأتى فىشتى النواحى الصناعية والفنية والعلمية معجزات أسمى منزلة ، واكثر عددا؟

ولسنا نهدف فى هذا البحث ، ان يؤدى هذا التغيير المنشود فى تكوين الانسان العضوى ، الى ايجاد عمالقة فارعى الابدان ، حسان الوجوه ؟ مرحى الاعطاف ، وانما يهمنـــا أن ينشأ عن ذلك التغيير ، انسانجديد، أشد ذكاء ، وأوفر حيلة ، وانبـــل عاطفة ، واكثر ميـلا للتعـــاون ، والتضامن ، وحب الغير ، وعمـل الخير – وبعبارة وجيزة – أكثر انسانية مما هو الآن

ولا تـــكتفى العلوم البيولوجية بالوقوف عندهذا الحد ،وانماتدعونا للنظر الى المستقبل بمنظار التفاؤل، وتحـــدو بنا الى التحليق فى عالم الاحلام . ونخشى أن يحسب بعضهم كلا من هذه الاحلام كابوسا مفزعا . وقبل أن ادخل فى التفاصيل ، اريد أن أحذر قرائى ، حتى لا يتسرب الى اذهانهم اننى أوافق تماما على كافة الوسائل والحيل التى يلجأ اليها العلم ، فى بلوغ أهدافه . وذلك لان تطبيق العلوم على النبات والحيـوان شىء ، وتطبيقه على الانســان شىء آخر . ففى الحالة الثانية توجـــد اعتبارات عاطفيـــة ، واخلاقية ، واجتماعية ، فوق الاعتبارات العلمية الفنية المحضة

فمن الواضـــح أن كل تغيير فى التكوين العضوى فى الانسان ،لابد ان يتناول الجهاز المخى ، اذا أردناحقيقة التوصل الى السوبرمان . فمهمـــا قيل عن طبيعة الفكر الانســانى ، فانه لا مفر من الاعتراف بأنها وثيقة الارتباط بتكوين ذلك الجهازالعجيب، والكيفية التى يؤدى بها وظيفته

ويبدو أن تعـديل وظيفـــة المخ اقرب منالا من أحداث المواءمة ،فقد دلت التجارب على أن وظيفتهتتوقف على عمليات كيميائية ، بأمل العلماء تحسينها بوساطة عقاقير تلائم هذا التحسين . وقد لا يخفى على القراء أن حامض الجلوتاميك ، يســـتعمل فىعلاجحالاتمعينة منالتأخرالذهنى

(١) الهلال : الاشارة هنا الى التغيرات التى احـدثها العلمـــاء فى عالم الحيـوان (وعالم النبات ايضا) بواسطة التجارب الكثيرة فى التوالد والانتخاب ، مما اظهر فصائل من الكلاب مثـلا الى جانب النبـاتات لم يـكن لهـا وجود من قبل ، وذلك من طريق التلقيح والتهجين مما يعرفه علماء الحيوان والنبات

ولا شك ان اشد هذه العقاقير او المواد الكيميائية فعلا ، وابعدها اثرا ، فى احداث تغيرات هامة فى تكوين الانسان العضوى ، هى الهرمونات(١) . ومن المسلم به أن الحياة العقلية تتأثر بهذه الهرمونات ، أسوة بسائر أعضاء الجسم ، اذ ليس المخ فى معزل عن غيره من الاعضاء . ودليل ذلك ان الدم اذا نقصت منه كمية الهرمون الذى تفرزه الغدة الدرقية (٢) ، تبلد صاحبه ، واصيب ذهنه بالغباء ، فاذا اسعفه الطبيب بمقدار من ذلك الهرمون ، عاد اليه نشاطه بدنيا وعقليا

وعلى هذا الاساس فان من المحتمل ان يتوصل العلماء الى الحصول على القدر الكافى من الهرمونات ـ طبيعية كانت أو صناعية ـ اذا تعاطاها شخص سوى، أيا كان ذكاؤه تضاعف نشاطه الذهنى مثنى وثلاث ورباع

واذا كان هذا ينطبق على الذكاء ، فلم لا يكون عظيم الاثر فى الاخلاق ، اذا تمكن العلماء من ايجاد العقار ، او الهرمون ، أو المادة الكيميائية التى تقوى الاخلاق ؟ الا يلجأ الطب اليوم الى هرمون الذكر الذى يطلق عليه أسم « تستستيرون » (٣) testestrone فى مضاعفة حيوية الرجل وطاقته الجنسية ؟ ألم يتضح ان هناك هرمونات أنثوية لتقوية غريزة الأمومة ؟ ولم لايحمل لنا المستقبل العلمى فى طياته ، عقاقير ومواد كيميائية ذات أثر فعال فى النهوض بالسلوك الاجتماعى على اختلاف أنواعه من مثل الرفق ، والحنو ، والتضحية الخ ، والسموبة؟ الم يصدق كاريل ، أحد كبار المفكرين فى قوله : « كان من الصعوبة بمكان ممارسة الفضائل والمبادىء المسيحية ، حين كان هناك نقص فى افرازات غددنا الدرقية » ؟

ولدينا الآن من الوسائل الجراحية ما يمكن بها تعديل الحالة الوجدانية فى الانسان . ولا شك ان تعيين الحد الفاصل بين الوجدان (العاطفة) والعقل ، من الصعوبة بمكان ، ذلك أن جراح المخ يستطيع ان يحدث تغييرا يذكر فى شخصية انسان ، باستئصال بعض خيوط عصبية فى منطقة معينة من مخه ، فيتأتى عن ذلك التخفيف من وطأة عنفه أو هياجه أو مخاوفه التى لا تحتمل . حقيقة أن هذا النوع (٤) من الجراحة اليوم مقصور على حالات الامراض العقلية المزمنة التى لا يرجى شفاؤها ولكن لعمرى ما الذى يمنع من مجىء اليوم الذى يمتد فيه هذا النوع من الجراحة الى مناطق أخرى من المخ ، فينتج عنها زيادة مقدرة صاحبه على الانتاج الوجدانى ؟

▭

ولننتقل الآن الى ماهو اكثر

---

(١) الهلال : وهى مواد كيميائية تفرزها الغدد الصماء (كالغدة الدرقية والنخامية والادرينالية والتناسلية الخ) لتتسرب الى الدم وتؤثر فى نمو صاحبها ، ونشاطه ، وحياته الجنسية

(٢) ويطلق عليه اسم ثروكسين thyroxine وقد توصل العلماء لعزله وجعله فى متناول الناس فى الصيدليات

(٣) وكما يدل عليه اسمه ، مأخوذ من الخصية « testis »

(٤) ويدعى Lobotomy

تطرفا وأبعد أثرا عما سبق ، فيما يتعلق باحداث تغيير يذكر فى مخ الانسان ، وذلك باجراء عمليات جراحية على الجنين ، اما فى حالته الطبيعية فى رحم أمه ، أو فى انبوبة الاختبار ، عندما يتمكن العلماء من جعل الحمل خارج الرحم ectogenesis وقد وصف الكاتب الشهير الدوس هكسلى هذا النوع من الحمل وصفا خياليا رائعا فى روايته « الدنيا الجديدة الجريئة »

ولا بأس من ان نصحب القارىء الى مدينة المستقبل هذه التى يصفها هكسلى فى روايته ، لنلقى نظرة على حجرة الاخصاب ، وعلى مخازن الخلايا التناسلية التى منها تتكون أجيال المستقبل ، ومنها الى الصفوف التى لاعداد لهامن الرفوف ، وما عليها من الوف مؤلفة من أوان ، تحوى كل آنية منها جنينا بشريا ، يتغذى تغذية صناعية • بانبوبة تحمل اليه حاجته من الدم • ولنتأمل فى تلك الاوانى وهى تتحرك آليا بسرعة ٣٣ ١/٣ سنتيمترا فى الساعة ، او ٨ أمتار فى اليوم ، وبعد ٢٦٧ يوما (وهى الزمن الذى يكتمل فيه تكوين الجنين) ، يخرج الجنين من الآنية ، طفلا مثاليا ، يفخر به الجيل الجديد

اهذا نوع آخر من اليوتوبيا ؟ أهو حلم من احلام المجانين ؟ كلا . انه لا يخلو من بعض الصحة ، ان الحاضر أساس تعرفنا على المستقبل وتنبؤنا به . يقينا اننا لم نتوصل الى الآن الى الحمل الصناعى فى انبوبة الاختبار ولكن العلماء قد تمكنوا من الاحتفاظ بأجنة الفئران والارانب وخنزير غينيا خارج الارحام حية ، اياما عديدة . وقد تقدمت العناية بالاجنة وتربيتها ، وقطعت خطوات واسعة ، منذ ان كتب هكسلى روايته الشهيرة كما تمكن العلماء من صناعة اعضاء بشرية صناعية تقترب يوما بعد يوم من تماثلها بالاعضاء الطبيعية

ومتى نجح العلماء جزئيا أو كليا فى الحمل الصناعى داخل انابيب الاختبار ، اصبح من السهل اجراء عمليات جراحية على الأجنة ، لتغيير تكوينها العضوى أو تعديله ، وفق ماتريد ، فيسهل اذ ذاك سهولة عظيمة تغيير العيون باللون الذى نريده ، وتغيير الجنس وتغيير النسبة بين الجسم والاطراف كما نشاء

وهل يصعب اذن فى هذه الحالة أن نضاعف عدد الخلايا المخية ، فنبلغ بها ما نرغب فيه من ارقام خيالية ؟ فمن المعلوم أن مخ الجنين المعروف لنا اليوم يحتوى على نحو تسعة بليون خلية عصبية ، وهى التى تسير دفة حياة صاحبه العقلية طول حياته . ويدلنا علم الاجنة أن هذا العدد من الخلايا العصبية نتيجة متواليات هندسية لانقسامات فى الخلية الاولى يبلغ عددها ٣٣ مرة ، افلا يمكن أن يتوصل العلماء الى زيادة هذا العدد من الانقسامات الى ٣٤ مرة — اى بزيادة مرة واحدة — وبهذا يتضاعف عدد الخلايا فى مخ الانسان ، فيبلغ ١٨ بليون خلية ؟

■

ويستنتج مما تقدم أن علماء

الاحياء قد يتوصلون بهذه العملية الى رفع مستوى التفكير في الانسان. بيد أن هذا التحسين الذي نتحدث عنه مقصور على الفرد الواحد الذي عرضناه لتلك الوسائل العلمية ، سالفة الذكر . ولنفرض جدلا أننا توصلنا فعلا الى ايجاد السوبرمان الممثل في ذلك الفرد ، ولنفرض كذلك أننا توصلنا لايجاد أنثى مثله ، وزوجناه منها . فهل تكون الذرية الناتجة عن هذا الزواج من نوع السوبرمان ؟ الجواب كلا . لان المبدأ الاحيائي العلمي يؤكد لنا اليوم (بعكس ما كان يظن في الماضي) ، ان الصفات المكتسبة لا تورث

فهل نأمل أن تحدث التغيرات التي ننشدها في فصائل من الجنس البشري باكملها ، لا في افراد منه ؟ حقيقة أننا لا نعلم تماما سر العوامل المسئولة عن القوى العقلية ، غير أننا اذا سلمنا بنظرية الوراثة ، أمكننا أن نلجأ الى طريقة الانتخاب الصناعي ، وهي الطريقة التي نتبعها في ايجاد فصائل ممتازة من النبات والحيوانات الاليفة . فاذا كان في وسعنا بهذه الوسيلة خلق جيل من الناس أطول قامة ، وأجمل منظرا ، افلا يكون في وسعنا كذلك ان نخلق جيلا أشد ذكاء وأسمى عقلا ؟ وليس من المؤكد كما سبق القول ان ماينطبق على الصفات البدنية فيما يختص بالوراثة ينطبق تماما على الصفات العقلية ، ولكنه على كل حال عظيم الاحتمال

وليس معنى هذا ان ذرية السوبرمان من زوجة مثله في السمو العقلي ، يكون كل فرد منها سوبرمان . وانما المعنى ان عدد هؤلاء من الناحية الاحصائية يكون أكثر بكثير ، مما لو كان الزوجان من افراد عاديين ، وحسبنا بهذا الانتخاب الصناعي ، أن يكون كل جيل جديد ارجح عقلا واشد ذكاء من سابقه ، ولو بمقدار محدود ، اذ بذلك نرى تحسينا ملحوظا في النوع بعد عشرين أو ثلاثين جيلا

وليست فكرة تحسين النوع عن طريق الانتخاب وليدة هذا العصر ، وانما هي معروفة من قديم الزمان ، فقد اشار اليها أفلاطون ، فيما جاء على لسان سقراط عن : « زواج السليم القوى بامرأة سليمة قوية ، وانتخاب الازواج من بني الانسان ، بعين الطريقة التي تنتخب بها الماشية وكلاب الصيد والطيور الجوارح ، وبذلك تتفادى الدولة انحطاط السلالة البشرية ، ويصبح السواد الاعظم من أبنائها وبناتها قوى الجسم والعقل ، موفور الصحة والعافية

وفي سنة ١٨٠١ وضع المؤلف الفرنسي روبرت الصغير « le jeune » كتيبا غريبا في موضوعه ، جاء فيه « ان خلق جيل من العظماء في اى عصر من العصور ، أمر يسير المنال ، وان الحصول على ذرية ممتازة ذكية ، ليس أصعب منالا من الحصول على جواد عربي أصيل » وقال في مكان آخر من هذا الكتيب « ما عليك الا ان تزوج رجلا ذكيا بامرأة ذكية ، لينجبا ذرية من العباقرة »

وأخيرا نذكر القراء بنبوءة العالم

الاميركى « مولر » الذى فاز بجائزة نوبل فى الطب سنة ١٩٤٦ ، حين كتب يقول ، « اننا نستطيع ايجاد جيل ممتاز من بنى الانسان ، اذا ما دققنا فى الحصول على الخلايا التناسلية من عظماء الرجال ، ولقحنا بها صناعيا جماعات مختارة من النساء »

ازاء هذه الآراء وما نعرفه من الحقائق العلمية ، لم يبق ثمة مجال للشك فى أن عملية الانتخاب الصناعى بين الازواج ، يؤدى حتما الى تحسين النسل لا بدنيا وحسب ، وانما عقليا أيضا . ولسنا نبعد من الحقيقة اذا قلنا روحيا كذلك

ويجدر بنا أن نضيف الى ذلك أن هناك عقاقير كمركبات السلفا ، واشعاعات ذات موجة منخفضة فى مقدورها أحداث تغيرات فى الوراثة فى بعض الكائنات الحية . فمن يدرى أن ذلك لا يصبح ميسورا فى الانسان يوما ما ؟

□

ولعل أهم من هذا وذاك نظرية عوامل الوراثة ، فمن المعلوم ان المولود يرث من أبيه عددا من مجموعات الصبغيات « Chromosoms » التى تتكون منها عوامل الوراثة ، ويرث من أمه كذلك نفس العدد . وقد تمكن العلماء من مضاعفة عدد هذه الصبغيات بوساطة مواد كيميائية معينة فى بعض النباتات ، فمن يدرى اننا لا نتمكن فى المستقبل أن نفعل ذلك فى الانسان ، فتتضاعف قدرته العقلية بتضاعف عوامل الوراثة هذه ؟

وقد كان غوته اول من ابتكر كلمة سوبرمان للتعبير عن الانسان الممتاز . وجاء بعده نيتشه يقول فى مؤلفه « زارادوتش » ان الانسان ينبغى أن يسمو فوق ماهو عليه الآن . . . فاذا كان القرد موضع السخرية بالنسبة للرجل ، فان الرجل موضع السخرية بالنسبة للسوبرمان »

□

ولكن . . . هل من صالح البشرية اطلاق العنان لعلم الاحياء ، والامعان فى اجراء شتى أنواع التجارب على الانسان للوصول الى تلك الغاية المنشودة ــ السوبرمان ؟ هل من صالح البشرية الالتجاء الى التلقيح الصناعى ، او الحمل خارج الرحم ، أو التحكم فى جنس المولود ذكرا كان او انثى ؟ لقد أزعجت هذه الآراء الكثيرين من رجال الدين والاخلاق والعلماء انفسهم ، فدقوا ناقوس الخطر ، خاشين أن يتمادى علماء الاحياء فى تجاربهم ، فى منابع الحياة ــ الخلايا التناسلية ــ فيختل التوازن فى طبيعة الانسان وتفكيره وعقليته

على أن هناك جانبا آخر ، ينبغى عدم اغفاله . ذلك ان الانسان الذى قهر قوى الطبيعة ، وسخر الهواء والانهار والبحار ، وروض الوحوش الضارية ، وقضى على المسافات بين البلدان ، واخضع الكثير من الامراض والعلل بسيوف العقاقير الطبية ، والمشارط الجراحية ــ ذلك الانسان

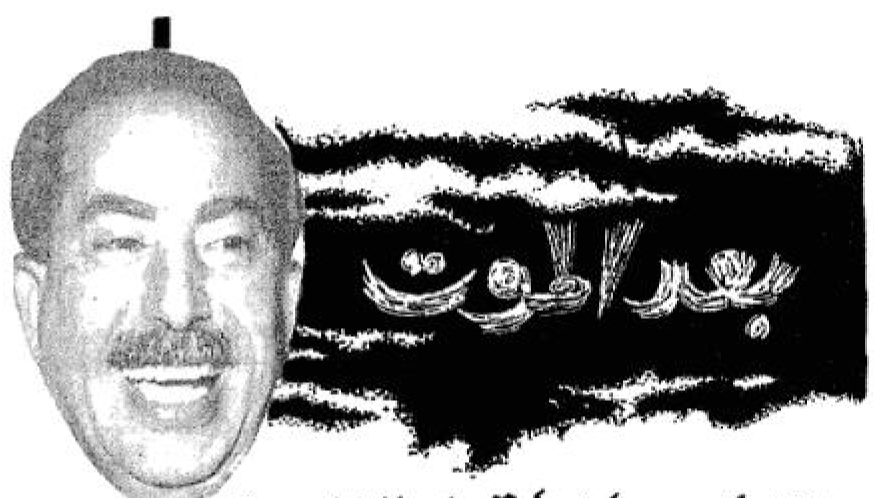
الذى يعد ذاته أسمى مخلوقات الكون ، الا يعتز بنفسه ، ويحاول السمو بها بكافة الوسائل ؟ انه يعلم جيدا أن خطوات التطور وئيدة بطيئة وأنه لم يتغير عما كان عليه منذ مئات الالوف من السنين ، فلم لا يحاول أن يعجل عملية التطور هذه بما لديه من عقل جبار وحيلة فتاقة وعلم غزير ؟ ألم يفشل عشرات المرات بل المئات فى كثير من المخترعات والمكتشفات قبل أن يبلغ ما يريد ؟ فلم لا يغامر فى هذه المحاولة الجديدة، بدلا من أن يقف مكتوف اليدين ؟ ان من اقدس واجبات الانسان نحو ذاته السمو بها والتفوق عليها ، وان كان ذلك يبدو كالحلم البعيد ، والسراب الخلاب والخداع البصرى

لا ننكر أن هناك عقبات جسام فى سبيل تحقيق هذا الحلم . من ذلك أن العلم ينبغى الا يقصر جهوده على السمو بالعقل ، انما فوق ذلك، بل قبل كل شىء ، يجب السمو بالخلق . ومن السهل أن نضع مقاييس للذكاء المفرط والعقل الراجح ، فهل هناك وسيلة لوضع مقاييس للخلق السامى ؟ وهناك عقبة أخرى تتصل بهذه النقطة اتصالا وثيقا ، الا وهى أن العلم لا يعنى بالاخلاق ، انما يعنى بالحقيقة أينما وجدت . لذلك يتهم الرأى العام العلماء بالزندقة أحيانا أو على الاقل اهمال البحث عن الفضائل . غير أن هذه تهمة باطلة . ان اكثر علماء الرياضيات والفلك والطبيعة من أشد الناس تمسكا بالدين (بمعناه العام) والفضيلة . وهذا اينشتين شيخ العلماء مثال لذلك . لقد صدق العالم الجليل « كارل » فى تعريفه الفضيلة بقوله :

« الفضيلة هى أن يتجنب الانسان الاساءة الى الطبيعة وارتكاب الآثام نحوها »

امبراطور وشاعر

• قضى الفيلسوف « فولتير » وقتا فى قصر الامبراطور فردريك الأكبر ملك بروسيا . وكان فردريك يميل الى قرض الشعر ، وينظم قصائد ركيكة ثم يعطيها للاديب الكبير كى يقوم أبياتها . فلما اختلفا فيما بينهما ، قرر الملك طرده وهو يقول : « سوف نلقى بقشرة البرتقالة بعد أن اعتصرناها ! »
فقال « فولتير » على الفور وهو يشير الى تنقيحه لشعر الامبراطور :
« لقد كنت اغسل للملك ملابسه القذرة ! »



ماذا أريد أن أقول للناس ؟

بقلم الأستاذ توفيق الحكيم

في يناير سنة ١٩٣٧ كنت رئيس التحرير مجلة « الدنيا المصورة » فاقترحت هذا الموضوع على الاستاذ توفيق الحكيم ، فكتبه لها . وهنا ننشره بعد اثنين وعشرين سنة ليطلع القراء على ما فيه من نظرات طريفة وآراء في الناس للاستاذ الحكيم (مدير التحرير)

لطالما خطر لى انا ايضا هذا السؤال كلما شاهدت جنازة مارة في الطريق . ترى لو سمع الميت ما يقال خلف النعش من كلام ، ماذا كان يصنع ، لو علم أن هؤلاء المشيعين لا يتكلمون عنه طول الوقت ؟ وان فيهم من يستنزل عليه اللعنة اذا طال المشى ولم يبد بعد اثر المسجد الذى سيصلى عليه فيه ، وان منهم من يسلى نفسه وجاره في أثناء السير بحكايات ونوادر قد تدعو الى الضحك والابتسام ، وان منهم من يتكلم في عمله وتجارته وبيته وغيطه . لو علم الميت أن كل ما خصه هو من كل هذا الكلام الذى يدور خلف خشبته لا يعدو دقائق معدودات وان كل ما انفق من وقت المشيعين في الخشوع لجلال الموت لا يتجاوز لحظات . وان الصمت الرهيب الذى كان يحسب انه يحيط بنعشه لم

يدم أكثر من دقيقة ، ثم بدأ الهمس يعلو ، والهمهمة ترتفع ، والكلام والثرثرة يدويان بين الصفوف في طنين كطنين الذباب • ذلك أن الناس غير قادرين على نسيان انفسهم والسمو عن هذه الارض والارتفاع عن شئون حياتهم العادية الصغيرة أكثر من خمس دقائق

ومع ذلك ، لماذا نريد من الناس الوقوف أمام الموت موقفا أجل من هذا • ان الموت لا يجل ولا يعظم حقا الا في نظر من يموت • في تلك اللحظة التي يشعر فيها المحتضر انه مفارق هذه الدار التي عرفها وعرف أهلها الى مكان مجهول ، فراقا لارجعة بعده • في تلك اللحظة يرى المحتضر الدنيا تبتعد عنه كما تبتعد المحطة عن أنظار المسافر في القطار •• ويرى دموع المودعين من الاهل والخلان تتساقط على باقات الازهار يقدمونها اليه فيخيل اليه أن ذهابه سيغير وجه الارض ولايعلم أن هؤلاء المودعين سينصرفون من باب المحطة الى شئونهم ضاحكين كأن لم يحدث شيء • ترى لو رأى الميت كل ذلك في صندوقه وأعطى القدرة على الخروج منه والنهوض • أما كان يصيح في الناس :

ـ أتسمون انفسكم مشيعين ؟ انصرفوا أيها اللكعاء !

اني شخصيا لا أعتقد أن الميت يفعل ذلك أو يقوله لو قدر عليه • ان الميت اذ يجتاز عتبة العالم الآخر ويدخل منطقة « الصفاء » ينظر الى الناس وأحوالهم من عل كما ينظر الانسان الى سرب من النمل يحمل جناح صرصار الى ثقب في أسفل الجدار • انه يستكثر على الناس مجرد التحرك في تابوته لينظر الى ما يفعلون • انه يستكثر على المادحين له والقادحين حتى مجرد ابتسامة سخرية تعلو شفتيه الجافتين الباهتتين .

وعلى كل حال لو تمنيت شيئا بعد الموت لرغبت في أن أقول أنا رأيي في الناس وقد تركتهم ، قبل أن يقولوا هم عني شيئا

وهذا مستطاع • وقد فعل ذلك فيما أعلم أحد الامريكان أو الانجليز غريبي الاطوار • اذ سجل خطبة له في اسطوانة «فونوغراف»، وأوصى المشيعين أن يطلقوها على قبره تنطق بصوته وانفاسه وضحكاته وكلماته• فماذا يمنعني من أن اصنع مثله، وان أقوم في الناس خطيبا بعد موتي •• أقول فيهم :

« سيداتي وسادتي

أولا فلتجفف السيدات أعينهن حتى لا يضيع كلامي بين الشهقات وحتى لا تضيع الدموع طلاءوجوههن وصبغة شفاههن ، وهذا هو المهم، فاني مازلت حريصا على أن تكون المرأة جميلة ، فالجمال هو العذر الوحيد الذى به نغتفر للمرأة كل تفاهتها وحماقتها • عفوا • لقد نسيت انى ميت • وانه مـا كان يليق بى أن أوجه اليكن ايتهـا السيدات هذه الالفاظ فى مثل‌هذه اللحظة الرهيبـة • أنتن ولا ريب تصغين الى الساعة والغيظ بـاد عليكن ، ولولا جلال الموت ، لالقيتين على قبرى بأحذيتكن ذات الكعب العالى • أن كل ما ستفعلنه الآن امتهانا لى هو أن تخفين فى الحال مناديل العبرات العاطرة وتخرجن أصابع الاحمر الناضرة ، وتنظرن فى مرآة الحقيبة الصغيرة وتهززن اكتافكن قائلة احداكن للاخرى : «والنبى الدموع فيه خساره ! » وهذا ما أريد أن أصل اليه ، وهذه نصيحتى الثمينة لكن معشر الاحياء من النساء : حذار أن تتلفن هدبا واحدا من أهدابكن الجميلة من‌اجل شىء على هذه الارض ، فان الارض كلها لا تساوى هدبا واحـدا من اهدابكن !

أما انتم ايها الرجال والاصدقاء والمعجبون المرتدون السـواد على فقيد الادب ، المحزونون لفداحـة المصاب الجلل ، الباكون لما رزئت به العربية ، والناطقون بالضاد ٠٠ الى آخر هذا الهراء الذى سـيملأ به خطباؤكم وشـعراؤكم تلك المراثى البليغة والقصائد العصماء ٠٠ وانى لالمح الساعة جيوب بعضكم منتفخة بشعر ونثر قد كتب خاصة للتأبين ولعل أكثره قد وضع قبل الاحتضار حتى يكون معدا للالقـاء فى الوقت المناسب ، ولعل احدى تلك القصائد قد نشرت اليوم فى صحف الصباح بينما نشر الى جانبها خبر الوفاة ، كأنما القصيدة العصماء قد خرجت من صدر صاحبها ساعة خروج‌روحى ٠٠٠ لم كل هـذا الاسراع !؟ الا يتركنى الادب وشـأنى وقد صرت ترابا ، أيظل يلاحقنى ويصيح فى اثرى وانا افر منه الى عالم أرجـو الا أرى وجهه فيه • أما يكفيه انه اضاع على حياة نابضة ، أنا الذى صنعه خالقه من لحم ودم ، ووضعه فى دنيا جميلة زاهرة ، وقال له . «انطلق وعش حياتك فى هذه الحياة» فلم افعل ذلك ، ولكنى احلت لحمى ودمى الى ورق

٠٠ آه ٠٠ انكم لو انصـفتم معشر المشيعين لوضـعتم جثتى مع كتبى وأشعلتم النار فى كل هـذا

.. عجبا . انى أبصر احدكم وهو شاب فيما أرى لايريد أن يصدق ما أقول ، وان فمه ليرتجف كأنما هو يريد ان يصرخ متحمسا : « فى ذمة الخلود .. فى ذمة الخلود »

أيها الصديق الصغير ليس من اللطف أن اضحك الساعة منك ومن « خلودك » وان أبدد تلك الاحلام التى تخيم على عشرين ربيعا من حياتك النضرة كما تخيم خمائل الازهار على خلوة المحبين ، ولكنى أقول لك أن كلمتك هذه ان صلحت لسنك وكان لها عندك اعمق المعانى فانها عندى الآن لا معنى لها . ولست أدرى ماذا تقصد بها ؟ تقصد أنى قد أكون تركت لكم بعض آثار ربما بقيت .. فليكن .. ماذا يهمنى انا من ذلك ؟

وبعد ، لا احب أن استبقيكم وقوفا أمام قبرى أكثر من ذلك ، فان من بينكم من قد أرتبط بمواعيد سابقة ، وهو يختلس النظر فى ساعته من آن لآن ، وليس عندى بعد ما أقول لكم ، غير انى أرى فى أول صفوفكم اصدقاء لى لايمكن أن استخف بعواطفى نحوهم . ولعل صداقتهم هى خير ما خرجت به من تلك الدار ..

والآن ، اسمحوا لى أن اسكت سكوتى الابدى ، وأنا أرجو منكم ان تنصرفوا الى شئونكم فى صمت كأن لم يحدث شىء . فلست فى حاجة الى كلامكم ، واذا اردتم أن تعقبوا على قولى هذا بشىء فى دنياكم تلك ، فضعوا مكان اسطوانتى هذه اسطوانة موسيقية لأحد الموسيقيين الذين كنت أحبهم . تلك اللغة الوحيدة التى استطيع أن افهمها عنكم فى كل وقت ... والوداع »

عطلة مدرسية

كان الواعظ يقول :
« حين تقوم القيامة ، سيزمجر الرعد ويبرق البرق ، وستفيض البحار والمحيطات ، وسينزل من السماء لهب من نار ، وستزلزل الارض زلزالها ، وتدك الجبال دكا ، وتثور العواصف »
والتفت الصبى الى جده وقال :
— هل ستكون هناك عطلة مدرسية فى ذلك اليوم ياجدى ؟

غرور الاديب

دعى جورج برناردشو الى حفلة . وانزوى مع شابة فى مكان يتحدثان فيه .. عن جورج برناردشو ، وبعد انقضاء ساعة ظل يتحدث خلالها مادحا فى نفسه وفيا عمله التفت الى الشابة ، وقال :
— لقد اطلنا الحديث عنى الى ما فيه الكفاية ، وجاء دورك لتحدثينى عن نفسك ، مارأيك فى مسرحيتى الاخيرة ؟



شبابنا الجديد

لماذا لا يقبل على القراءة ؟

آراء

- الدكتور عبد العزيز الأهواني
- « محمد كمال
- « عبد الحميد يونس
- « محمد شكري عياد

من الظواهر الملموسة في هذا العصر ، عدم اقبال الشباب على القراءة الجدية ، على غير ما كان عليه شباب الامس القريب . ولا مراء في أن عدم اقبال الشباب على القراءة والمطالعة يعد امرا خطرا ، لا على الشباب وحدهم ، بل على مجموع الامة كلها . لهذا راى الهلال ان يستفتي بعض رجال الثقافة في شان هذه الظاهرة

رأى

الدكتور عبد العزيز الاهوانى

وكيل وزارة الثقافة والارشاد القومى

« ارى أن الحاجة ماسة الى تنشئة الابناء تنشئة صحيحة على حب القراءة والاطلاع »

ان هذه الظاهرة ترجع الى ان القارىء العربى يحتاج الى قدر من معرفة لغة القراءة اكثر من القدر الذى يحتاج اليه الرجل الاوربى ، لان لغة التأليف والتدوين عندنا تختلف عن لغة الحديث اختلافا كبيرا ، وهذا الاختلاف لا يظهر فى اللغات الاوربية بمثل هذه الصورة

التى نجدها عندنا ، لذلك لا يكفى أن يفك المرء « الخط » ليصبح قادرا على قراءة الكتاب والمجلة والصحيفة اليومية ، وعلاج هذا الامر يتطلب التوسع فى سياسة التعليم والتثقيف بين جميع الطبقات، حتى تقبل على القراءة فى الميادين التى تختارها . زد على ذلك اننا اذا اردنا أن نعقد المقارنات بين اقبال القارىء عندنا واقبال القارىء الاوروبى ، وجدنا أن قدرة الاول المادية دون قدرة الثانى ، ومن هنا كان شراء الكتاب لدى عدد كبير من الراغبين أو القادرين على القراءة مشكلة مالية تحتاج الى كثير من التردد قبل الاقدام على القراءة ، ولاشك أن المشروعات الاقتصادية الكبرى وسياسة التصنيع التى تتبعها الجمهورية العربية المتحدة الآن ، سوف يكون لها أكبر الاثر فى انعاش الحالة الاقتصادية ، وتمكين افراد الشعب عامة من الشراء

وأرى أننا فضلا عن ذلك فى حاجة ماسة الى تنشئة الابناء تنشئة صحيحة على حب القراءة والاطلاع، فاغلب الطلاب لا ينشئون على حب الكتاب ، ولعل مصدر هذه الظاهرة يرجع الى الجيل السابق الذى كان أكثره لا يجيد القراءة ولا الكتابة

ولكننا مع هذا يجب الا نسرف فى عدم اقبال الشباب على القراءة ، فلابد أن نقدر الظروف التاريخية التى فرضت على أكثرية مواطنينا جهل القراءة والكتابة جهلا تاما ، وليس من الحق ان يقاس مدى حب القراءة والاقبال عليها بالنسبة العددية لسكان لا سبيل اطلاقا أمامهم لممارسة القراءة بسبب عدم التعليم أو الامية

واذا كانت لنا نصيحة لترغيب الشباب فى القراءة فهى وجوب عناية الناشرين بالكتاب . فاخراج الكتاب يجب أن يكون طيبا ، كما أن الاعلان من الوسائل التى تدفع الى الاقبال على الكتب ، والاعلان بالنسبة للناشرين عندنا اعلان ضعيف ، لايلاحظ نفسية الجماهير الا بقدر ضئيل ، ولدى ناشرين محدودى العدد

وتساهم وزارة الثقافة والارشاد القومى فى هذا الميدان مساهمة فعلية ، وتعمل على تنمية الرغبة فى القراءة ، وعلى أن يحتل الكتاب مكانه فى البيت وبين أيدى الناس ، باعتبار أن الثقافة التى تكون الشخصية ، والتى تتيح لصاحبها فرصة التأمل واستكمال التثقيف والنضج ، تعتمد فى المقام الاول على المدرس والكتاب ، قبل ان تعتمد على الصحيفة أو المجلة أو الاذاعة أو السينما ، فهذه العناصر الاخيرة التى أضعفت اقبال الناس على القراءة ، قل ان تترك آثارا عميقة فى نفسية الناس ، وسرعان



مايتلاشى تأثيرها بعد انتهاءمشاهدتها او سماعها

ولكنى أحب ان اوضح قبل نهاية حديثى جانبا هاما من الجوانب التى دفعت الى رواج بعض الكتب فى السنوات الماضية ، واضعفت من رواج الكتاب فى أيامنا الحاضرة ، هذا الجانب هو نشوب المساجلات الادبية، ومع ان بعض هذه المساجلات كان يصدر عن خلاف مذهبى ، أو عن خلافات شخصية ، أو نزاع عن مكان الزعامة الادبية — الا انها رغم كل هذا ، بل ربما لهذا ، كانت تثير حركة القراءة وتثير الحماسة بين جمهور القراء ، ولو أردنا ضرب أمثلة على ذلك ذكرنا تلك المساجلات الادبية التى نشبت بين طه حسين والعقاد ، أو بين العقاد والمازنى وشوقى والمنفلوطى ، حول الادب الجاهلى ، وتاريخ العصر العباسى ، وقيمة الشعر العربى الحديث وما استتبعه ذلك من حركة تأليف وجدال كان لها أثر فى الاقبال على قراءة القديم والحديث ، وهذه المساجلات أو المعارك الادبية بطبيعة الحال تستلزم وجود مجلات ادبية دورية ، لان اقتصارها على الكتب لايتيح لها الحرارة التى توجد فى سرعة المجلة ، على ان هذا أمر شائك معقد يحتاج قبل اثارته عند الادباء والمفكرين الى توخى المصلحة والفائدة الثقافية الكبرى ، حتى لاينقلب الامر الى مهاترات او الى تهريج وسفسطة وهو ما نربأ بأدبائنا ان يلجئوا اليه.

رأى
الدكتور محمد كفافى

الاستاذ المساعد بجامعة القاهرة



« ان النشء فى بلادنا حتى عهد قريب قد تلقوا العلم على طريقة الكتاب الواحد ، ولا يحاولون قراءة غيره من الكتب »

هذا السؤال فى الواقع يستفسر عن جانب من أوضح جوانب الضعف فى مجتمعنا الحديث . فالقراءة وسيلة من اعظم الوسائل للترويح عن النفس . وهى وسيلة مثلى لكسب المعرفة . ومهما تعلم الطالب فى المعاهد والجامعات فلن يستطيع الحصول على قدر معقول من الثقافة الا عن طريق القراءة الخاصة

ان الاختبارات التى يجريها ديوان الموظفين وتكشف عن جهل مخجل عند طلاب الوظائف الحكومية ، تبين لنا بوضوح انصراف الشباب عن القراءة ، ولا تبين بالضرورة ان الشبان لم يتلقوا قدرا كافيا من المعارف فى المدارس والجامعات .

فالجامعات لا تستطيع ان تزود الشباب المتخرج فيها بالثقافة الواسعة . واذكر انني عندما كنت أعمل بجامعات الولايات المتحدة منذ بضع سنوات ، اخذت في دراسة نظم التعليم الجامعي . وكان مما لفت نظري من بين هذه النظم ماذهبت اليه جامعة شيكاغو ، وهي من أكثر الجامعات الامريكية تقدما وارفعها مكانة ، في بيان فلسفتها التعليمية ، فاوضحت ان مرحلة البكالوريوس هي المرحلة التي يتعلم فيها الطالب القراءة والكتابة . هذه الفكرة تبدو بسيطة في حد ذاتها ، واذا اخذت على ظاهرها فهم منها ان الجامعة العتيدة قد انقلبت الى معهد لمحو الامية . ولكن الحقيقة المقصودة من وراء هذه العبارة الموجزة هي ان الجامعة تعلم الطلاب كيف يحسنون التعبير عن أفكارهم ، وكيف يحسنون فهم مايقرءون ، وأين يجدون المعلومات المختلفة . وهذه الاهداف في نظرهم أنفع وأجدى من حصر جهود الطلاب في حفظ المعلومات واستيعابها لان مثل هذه المعلومات تتبخر من عقولهم حالما ينقضي وقت الامتحان

ويمكننا ان نتطرق من هذه النقطة الى بيان الاسباب التي تجعل شبابنا منصرفا عن القراءة

واول هذه الاسباب أن النشء في بلادنا حتى عهد قريب قد تلقوا العلم على طريقة الكتاب الواحد . فكان الطلاب يقرءون كتابا مقررا في كل مادة ، ولا يحاولون قراءة غيره من الكتب ، ولذلك تنحصر عقولهم في المقررات ، ولا تنشأ عندهم عادة القراءة من الصغر

وثم سبب آخر ، وهو مرتبط بسابقه ، وهو انه لم يكن لدى المدرسين في المدارس الابتدائية والثانوية حتى عهد قريب ، فكرة واضحة عن أهمية القراءة الحرة ، ولذلك لم يعملوا على توجيه النشء اليها

ولم تكن المكتبة حتى عهد قريب جزءا أساسيا في المدرسة . كانت هناك مكتبات ، ولكن لتختزن فيها كتب قليلة ، وكان ينظر اليها على انها عهدة لا تمس ، ولم تدخل المكتبة في الماضي ضمن برنامج المدرسة التعليمي ، ولهذا حرم طلاب ذلك الجيل ـ حتى عهد قريب ـ من مصدر من أهم المصادر التي يحصلون منها على مادة القراءة ، فالمكتبة المدرسية هي المعهد الذي ينمي في نفوسهم حب القراءة والاقبال عليها

ومن بين الاسباب الهامة ان الطلاب الذين يتخرجون في المدارس والجامعات ، لا يجدون مكتبات عامة كافية تشعرهم بوجودها ، وترغبهم في القراءة بمختلف الوسائل التي تتبعها المكتبات في بلاد العالم التي سبقتنا في تلك السبيل

وجدير بنا الا ننسى ان ثمن الكتاب العربي مرتفع بالنسبة لمتوسط دخل الفرد ولذلك فكثيرون من القراء يعجزون عن شراء الكتب . وهذا السبب يلقي من المسئولين الآن علاجا ، وذلك بالعمل على اصدار

كتب رخيصة معقولة الاثمان

ومن بين هذه الاسباب ان كتابنا لم يظفر باهتمام الكثيرين الذين عالجوا مختلف النواحي التى تتناولها الكتب فى العصر الحديث . فنحن اذا نظرنا الى انتاج الانجليز او الامريكيين او غيرهم من الشعوب الغربية فاننا نرى كثيرا من الكتب المتباينة فى مستواها والتى تعالج مختلف الموضوعات بدرجات متفاوتة من الاساليب ، فمنها مايقدم المعرفة الى الطفل ، ومنها مايقدمها الى المتخصص ومثل هذه الاساليب لم يتطور عندنا حتى الآن

والمكتبة العربية تكاد تخلو خلوا تاما من المراجع العامة التى تبسط المعرفة وتيسرها للقراء . فهناك دوائر المعارف وامثالها من كتب المراجع . والمكتبة العربية قد عرفت مثل هذه الاعمال بصورة متواضعة فى الماضى ، ولكن مثل هذه الاعمال تحتاج الى المراجعة الدائمة ليمكن الاعتماد عليها . وهناك جهود تبذل فى الوقت الحاضر نرجو ان يتحقق لها النجاح

والنشء فى بلادنا يتجاوز مرحلة الصبا دون أن نحاول تنمية الهوايات المختلفة عنده . والهوايات المختلفة تدفع أصحابها الى القراءة عنها ومحاولة اشباعها

ان هذا الانصراف عن القراءة مرض خطير . ومما يزيد فى خطورته انه ظهر عندنا قبل أن تتطور اسباب الترفيه المختلفة التى تصرف الشباب عن القراءة واهمها التليفزيون الذى يتسبب فى ضياع وقت القراءة المنزلية

فاذا تذكرنا ان القراءة وسيلة أساسية لخلق المواطن الصالح ، ادركنا لماذا يجب علينا ان نعمل جاهدين على ازالة كل سبب يصرف الشباب عن الاخذ بها والافادة منها

رأى

الدكتور عبد الحميد يونس

استاذ الادب الشعبى بآداب القاهرة



« ان الوسائط الجديدة كالاذاعة والسينما جعلت الناس يستقبلون اكثرمما يشاركون فى التفكير والتفنن »

ليس صحيحا ان الشباب فى هذا الجيل لا يقبل على القراءة ، ومن الاخطاء الشائعة أن تنظر الاجيال التى دخلت فى مرحلة الكهولة الى الشباب المتفتح على انه أسوء حالا او خطأ منهم ، فالواقع أن المعرفة تأخذ فى الاتساع والتنوع والامتداد ، ولقد دخلت وسائط جديدة ميدان الثقافة ، فالمشكلة تنحصر فى رايى لافى انصراف الشباب عن القراءة ، ولكن فى مادة هذه القراءة ، وكما

يقول الاقتصاديون : « لقد تعرضت الثقافة للانتاج الكبير كما تعرضت السلع » ولذلك اتخذت شكل القوالب من ناحية ، واحتفلت بالكم لا بالكيف من ناحية اخرى ، وانا اضرب لذلك مثلين : الاول الصحافة التى اثرت فيها آلة الانتاج الكبير ، ونأت بجانبها عن الفن الادبى ، وعن التأمل الفلسفى ، وعن الفكر الموضوعى الى الخبر والصورة ، وايثار التشويق ، واختيار العجيب أو الشاذ . وان المثقفين ليذكرون للرئيس جمال عبد الناصر توجيهه الصارم للصحافة بأن تحاول ايثار الجد والمنفعة ، اما المثل الثانى فهو الكتاب الذى تعرض لما تعرضت له الصحافة نفسها من التنوع والرغبة فى سرعة الانتشار ، والتخفف مما يكد الذهن ، أو يدفع الى التأمل ، ومن هنا نرى ان المشكلة تقع على كاهل الانتاج اكثر مما تقع على كاهل الشباب نفسه

وثمة سبب ثالث هو هذه الوسائل الجديدة كالاذاعة والسينما التى ادخلت الحركة والصورة واللفظ المجهور ، فان هذه الوسائط جعلت الناس يستقبلون اكثر مما يشاركون فى التفكير والتفنن ، وانا هنا اضرب لك مثلا ايضا ، فقد كان الشباب قبل الاذاعة يحاول المشاركة فى التفكير والتعبير ، وكان هناك الكثيرون الذين يعزفون على الآلات الموسيقية ، اما الآن فلا حاجة بأحد الى العزف أو غيره ، لان الناس يحصلون على اللذة الفنية والعقلية من غيرهم ، وأدى هذا بطبيعة الحال الى وجود طبقة متخصصة قليلة تكاد تحتكر الفن فى هذه الوسائط الجديدة

اما الكتب التى يقبل عليها القراء، فالامر فى استقصائها يحتاج الى دراسة موضوعية لقطاعات مختلفة من القراء انفسهم ، ومع ذلك فان اتصالى بالنشر واجهزة الثقافة تتيح لى ان اقول انالناس يقبلون اولا على ماكان يسمى عند الاقدمين « بكتب الآلة » اى الكتب التى تفيدهم فى امر دنياهم ، ومثال ذلك رواج الكتب القانونية التى يقبل عليها المحامون والقضاة وطلاب الحقوق وغيرهم ، والكتب التى لابد من قراءتها لطلاب الكليات والمعاهد ، وتأتى فى المحل الثانى الكتب الترويحية التى يقبل عليها المراهقون ، ومن لف لفهم من الفارغين ، ومنها كتب تنسب خطأ الى الفن الادبى ، ثم تأتى بعد ذلك الكتب الجادة الموضوعية والقصص الفنى القائم على بناء صحيح ووظيفة سليمة ، أما الكتب التى تتعلق بالاحداث العامة ، وتتصل بحياة كل فرد من الناس فقد اخذت تشق طريقها ، ولكم دهشت عندما علمت من احد الناشرين ان كتابا علميا مبسطا عن الذرة وتأثيرها فى حياة الناس كان اروج من كتب بعض المؤلفين الكبار !!

ويتحدث الموجهون للثقافة دائما عن رواج الكتب الجنسية وما اليها ، ولقد سبق ان ذكرت لك أن الانتاج الكبير هو العامل الاول فى رواج

الكتب ، ومن هنا نرى ان اغراق السوق بكتب معينة ، هو ذاته ميل الى احتكار السوق . وليس ذنب الشباب ان يجد المطبعة تعرض عليه هذه السلع ، وتكثر من الاعلان عنها، وتستهوى غرائزه ، ويحدث احيانا ان تطرد العملة الرخيصة العملة الجيدة فى ميدان الكتاب ، والمجلة ايضا ، وعلاج ذلك ان نتنبه الى الجانب الثقافى أو المعنوى من حياتنا كما انتبهنا الى الجانب المادى او الاجتماعى ، ولقد اقترحت فى مؤتمر ادباء العرب بالكويت أن تنشأ مؤسسة مالية لاغراض الثقافة ، تقوم بتحويل المشروعات الثقافية الكبيرة ، وتلائم بين مصلحة راس المال الخاص المشتغل بالثقافة وبين المصلحة العليا للمجتمع من ناحية اخرى ، وتحمى الافراد المستهلكين من الاستغلال الذى هو فى نظرى اسوأ من اى استغلال اقتصادى آخر ، واطلقت على هذه المؤسسة « البنك الثقافى » الذى يمكن ان يقرض ويعين ، ويدخل فى نطاقه تصنيع المواد الخام العربية لاخراج الورق ، ونحن نعلم اننا نستورد كل ورق الكتابة من الخارج ، وتدخل فيه أيضا الصناعات المتصلة بالطباعة كما تدخل فيه اجهزة النشر والتوزيع فى العالم العربى كله

واهم من هذا الاحتفال بالانتاج الثقافى نفسه ، وذلك بتحريره من ربقة راس المال الذى كاد يصبح احتكارا عند بعض المؤسسات، ومن الممكن أن يتسع نطاق المؤسسة الاقتصادية ، فيشمل هذه الاغراض، وليست الصحيفة ولا الكتاب بأقل شأنا من السينما التى يفكرون فى انشاء بنك لتدعيمها

رأى

الدكتور محمد شكرى عياد

الاستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وقسم الوثائق والكتبات بجامعة القاهرة



« ربما كانت مشاغل الحياة من اهم الاسباب التى دفعت الشباب الى الاعراض عن القراءة ، وعدم استقبالها استقبالا حسنا »

ان ظاهرة انصراف الشباب عن القراءة واضحة ملموسة لا تحتاج الى دليل أو برهان ، فنحن فى أيام الشباب كنا نميل الى الكتب والمقالات الطويلة في الجرائد والمجلات ، وكان ظهور كتاب أدبى جديد لاحد أعلام الادب فى مصر حدثا أدبيا هاما يسترعى الانظار ، وكانت المعارك الأدبية متطاولة الامد ، بل انى اذكر أن أحدى المعارك الادبية ظلت سنة كاملة على صفحات الرسالة القديمة بين الاستاذين سعيد العريان وسيد

قطب ، أما اليوم فالشباب لا يتقبل هذه الامور بصدر منشرح ، وقلما توجد مثل هذه المعارك فى هذه الايام ، اذ انصرف الشباب عنها لاسباب لا صلة لها بالادب والقراءة، وربما كانت مشاغل الحياة من اهم الاسباب التى دفعت الشباب الى الاعراض عنها ، وعدم استقبالها استقبالا حسنا

أما الكتب فلا تزال تصدر ، ولكن اهتمام الجمهور بها فى الميدان الادبى لايمكن أن يدانى اهتمامنا نحن بها أيام الشباب ، اذ كان صدورها كما قلت حدثا هاما من الاحداث ، ومن المحتمل ان يقل الاقبال على القراءة بالقياس الى كتب الادب ، فى الوقت الذى زاد فيه هذا الاقبال على كتب العلوم والطب والصناعة وما الى ذلك

ولكننا اذا ما اردنا ان نجمل الأسباب التى تصرف الشباب عامة من القراءة . قلنا أن هناك أشياء كثيرة تشغل الشباب فى الوقت الحاضر ، كالسينما والراديو ، وهذه الوسائل قد تغلغلت فى كل انحاء البلاد ، وقد شهدنا الزمن ، ونحن صغار ، الذى كنا نعد فيه عدد أجهزة الراديو فى مدينة كبيرة الحجم نسبيا كمدينة « شبين الكوم » أما اليوم فان عدد أجهزة الراديو فى هذه المدينة يربو على عدة آلاف

ونحن لا نستطيع ان نكتشف بمجرد الحدس الانواع التى يقبل عليها القراء ، والتى يعرض عنها القراء ، الى ان يظهر كاتب يكتب بطريقة جديدة ، ويشوق الناس الى قراءته ، ويثبت أن العيب فى نوع ما يقدم ، لافى الجمهور نفسه ، أو باجراء استفتاءات علمية واسعة النطاق فى المدن والارياف ، يقوم بها عدد كبير من الاخصائيين الاجتماعيين ولكنى فى حدود تجربتى وخبرتى الشخصية ارى ان الاهتمام بالسطحية اكثر من الاهتمام بالعمق والبحث

وقد يقول قائل ان اقبال الشباب على الكتب الجنسية ملحوظ لايحتاج الى برهان ، والواقع ان هذه الكتب الجنسية كانت موجودة منذ اقدم العصور ، وليست ظاهرة مرضية ، وقصص الف ليلة وليلة عامرة بهذا اللون من أدب الجنس ، وكانت من اشهر الكتب المتداولة بين القراء

وقد سافرت الى جامعة « هارفارد » بالولايات المتحدة الامريكية : فوجدت الشباب يقبلون على هذا اللون من الكتب ، ووجدت الشبان الصغار ينصرفون الى التسكع فى الشوارع والذهاب الى السينما ، والتسلية المفضلة عندهم هى التليفزيون ، اما دور الكتاب عندهم فدور متواضع ، ولكن هناك طبقة من الشباب المثقفين ، الذين يقبلون على الكتاب بشغف عظيم

فالظاهرة موجودة فعلا فى جميع المجتمعات ، ولكن بعض الهيئات الناشرة فى الخارج استطاعت ان تعالج المشكلة بصورة عملية ، فأصدرت طبعات رخيصة جميلة

لبعض الكتب وأطلقت عليها Paper bound Editions ، وهذه الكتب متنوعة ، وتساهم الهيئات فى توزيعها بشكل يستلفت الانظار ، فالكتاب يعرض فى الصيدليات كما يعرض فى مخازن الادوية ، ويستطيع الشخص أن يتناول فنجانا من القهوة فى ركن من أركان مخازن الادوية ثم يشترى كتابا ويحمله ، تحت ابطه!! والكتب معروضة كذلك فى شتى الاندية ، بصورة تستلفت الانظار ، وتبهر العيون !

والخوف فى مصر أن نترك الحياة الفكرية ، وننصرف الى ميدان الحياة العملية أكثر مما انصرف اليها الامريكيون انفسهم ، ويعتقد أن المهنة التى تربح أكثر ، أعظم من المهنة التى تربح أقل ، فنقدر الجرسون مثلا ونفضله على أستاذ الجامعة لانه يكسب أكثر منه ، فالامريكيون وهم عمليون من الطراز الاول لا يزالون يقدرون أستاذ الجامعة حق قدره ، ويفضلون منصبه على أرفع المناصب فى الدولة

فالمادة ليست كل شىء ، ومن هنا نحتاج الى تنبيه الراى العام الى مقاومة « المودرنيزم » المزعومة حتى لاننفدفع فى تيار المادية أكثر من الدول المادية نفسها ، فالمودرنيزم تهدف الى احتقار الاسلوب الجميل ، واحتقار المقالة ، والدعوة الى الخبر القصير ، واحتقار انواع معينة من الثقافة غير ذات قيمة عملية ، ونحن يجب أن نقاوم هذه الروح ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، لسبب بسيط وهو انها ليست لباب المودرنيزم الحقيقى !



الجواب ...

رأى رجل فى الطريق صديقا له ، وقد نكبه الدهر ، واختلت به الحال فقال له : « ماذا أصارك الى ما أرى ؟ »

فأجابه : « بخل مثلك بماله ، وصون وجهى عن سؤاله ! »

دفاع عن الثرثرة

عاب رجل « خالد بن صفوان » بأنه يكثر من الكلام ، فقال له « خالد » .

« انى أتعمد الاكثار لتمرين اللسان ، فان حبسته تورث العقلة ، وما اللسان الا عضو اذا مرنته مرن ، واذا اهملته ضعف ، كاليد التى تخشنها بالممارسة ، وكالبدن الذى تقويه برفع الحجر ، وكالقدم اذا عودتها المشى اعتادت ! »



للقصاص الكبير جي دي موباسان

حين ركبت القطار من مدينة « كان » ، وجدت « الديوان » الذى جلست فيه مزدحما بطائفة من الركاب ، بينهم بضع سيدات ، لكن الجو بدا لى حافلا بالمرح ، اذ كان الجميع يتجاذبون اطراف الحديث فى سرور وغبطة

ومر القطار بمحطة « تاراسكو » دون أن يتوقف ، فانبرى أحد المسافرين يقول : « لقد حدثت هنا جناية فى القطار منذ عدة أيام ! » .
وكأنما فتح هذا المسافر الباب لفيض من القصص عن حوادث القطارات ، ولم تكد تنقضى لحظات حتى ساد « الديوان » جو من الخوف والفزع ، وقد ضاعف من وطأته هبوط الظلام وسرعة القطار ، الى حد انى شعرت أن السيدات يتطلعن فى فزع الى النوافذ ، كأنما يتوقعن فى كل لحظة أن يطل منها رأس قاطع طريق ، أو يبرز وجه مجرم من مجرمى القطارات

والواقع ان بعض الركاب كانوا يروون قصصا مفزعة عن عصابات اللصوص التى تتخذ مثل هذه القطارات السريعة مسرحا لنشاطها ، وبدا كما لو أن احدا منهم لم يشهد حادثة واحدة فى حياته ، وحتى ذلك الطبيب الشيخ الذى كان منزويا فى ركن « الديوان » أراد ان يسهم هو الآخر فى هذا السبيل من القصص ، فقال فى تؤدة ، بصوته الهادىء العميق النبرات :

« لم يحدث لى شخصيا ما أقصه عليكم وانما حدث لواحدة من مريضاتي ، وهي كونتس روسية ماتت منذ بضعة أيام

« تعلمون جميعا ان للروسيات جمالا متألقا ، والحق انهذه السيدة المسكينة كانت رائعة الجمال ! كانت دقيقة الانف ، رقيقة الشفتين ، ناعمة البشرة ، فاتنة العينين ، وكانت تجمع ، مثل بنات جنسها ، بين البرودة والدفء ، وبين الخلاعة والجد ، وبين الحب والبغض ، فالروسيات عادة يجمعن بين المتناقضات . .

« وكانت غادتنا الفاتنة هذه تدعى الكونتس « بلرانوف » ، وكان طبيبها الخاص قد أشار عليها منذ بضع سنوات أن تسافر الى فرنسا لعلاج صدرها فى بلدة « منتون » ، غير انها كانت عنيدة تركب رأسها ، فرفضت أن تترك مدينة « بطرسبرج » حيث كانت تقيم مع زوجها النبيل

« ومضت الايام حتى كان الخريف الماضى ، فتدهورت حالة الكونتس ، ولم يجد الطبيب مناصا من أن ينبه زوجها الى ما فى بقائها فى مثل هذا الجو البارد من خطر على حياتها ، واستطاع الزوج أخيرا أن يرغم زوجته المريضة على السفر امتثالا لاوامر الطبيب ، وهكذا استقلت القطار وحدها فى عربة خاصة ، وكان يرافقها فى رحلتها خادمها الخاص « ايفان » ، ووصيفة روسية جميلة ، وقد استقلا العربة التالية لعربتها

« ويبدو ان الكونتس «بارانوف»

قد ملت التطلع من نافذة القطار وهو يقطع بها الطريق مغادراً بلادها الى فرنسا . ولاشك ايضا في ان الافكار السوداء كانت تتردد على ذهنها في أثناء الرحلة ، فهذا زوجها لم يرافقها في سفرها ، وانما يكتفي بارسالها الى فرنسا كما لو كانت خادمة ضئيلة الشان ترسل الى المستشفى ، ولم يكن يخفى عليها أن حب زوجها لها قد فتر وتلاشى منذ ان مرضت ، ومن ناحية اخرى فقد كانت وحيدة لا اسرة لها ولا ولد !

« تلك هي الافكار القاتمة التي كانت تراود راسها الجميل ، بينما كان القطار يسرع ويبطىء ثم يسرع من جديد ، وهو ينطلق بها الى مكان ناء غريب !

« وحاولت الكونتس ان تسلم نفسها الى النوم حينما هبط الظلام ، غير أن أفكارها القاتمة كانت من القوة بحيث تعذر عليها الرقاد ، ففكرت أخيرا في ان تسلى نفسها بشيء ما ، وفتحت حقيبتها ، واخذت منهـا قطع النقود الذهبية والفضية التى كان زوجها قد اعطاها اياها لتنفق منها أثناء الرحلة ، واخذت تعدها في حجرها في بطء ودون مبالاة

« وفجأة ، احست الكونتس بلفحة من الهواء البارد تعصف بخصلات شعرها ، فعجبت لهذا ، غير انها ما كادت ترفع رأسها عن حجرها حتى لا حظت ان باب « الديوان » اخذ ينفتح ببطء ، فأسرعت تخفي النقود في وشاحها ، وسرعان ما دلف الى داخل « الديوان » رجل طويل القامة ، عارى الراس ، بادي الاضطراب ، لاهث الانفاس ، يرتدى ثيابا سوداء ، وما آن مد هذا الرجل الغريب يده ليقفل الباب خلفه ، حتى روعت الكونتس حين رات دما متجمدا على راحة يده !

« وجلس الرجل امامها في سكون ، وهو يتطلع اليها بنظرات يطل منها القلق ، وعيناه لاتفارقان وجهها . ومضت لحظة قصيرة رأته بعدها يخرج من جيبه منديلا ويلفه حول يده الجريحة ، فجمدت اطرافها من الخوف ، واخذتها رعدة قاسية ، ذلك انها قد ايقنت ان هذا الرجل الغريب رآها وهي تعد النقود ، فتسلل الى الديوان ليسلبها هذا المال ! . . ومن يدرى ? فقد يقتلها كما يفعل اللصوص والاشرار !

« وساد الديوان صمت ثقيل بدده الرجل الغريب اخيراً بان قال في صوت خشن جاف النبرات : « لا تخافي ياسيدتي ، لا تخافي شيئا » ، غير ان الجزع كان قد تملك الكونتس فأحست بحلقها يجف ، وبجسمها النحيل يرتعد ، فلم تنطق بكلمة واحدة . ومرت لحظة صمت اخرى ثم لوح الرجل بيده في ضجر وهو يقول : « انا لست مجرما يا سيدتي ، لست مجرما ! » ، غير أن الكونتس اساءت فهم حركة يده ، فتحركت من مكانها في فزع ، وعندئذ تناثرت قطع النقود من حجرها لتستقر على ارض العربة ، وكان بريقها رهيبا مغريا ، وتحرك الرجل

من مقعده ، وقد اطلت من عينيه دهشة بادية ، ثم أسرع بجمع قطع النقود المتناثرة ، فلم تطق الكونتس صبرا على أن تظل ساكنة ، ففزعت الى البـاب تبغى الفرار ، غير ان الرجل حال بينهما وبين الباب ، واضطرها الى الرجوع الى مكانها ، وهو يقول بصوت مضطرب النبرات:

ـ صدقينى يا سيدتى فانا لست مجرما . انما انا اجمع المال لاعيده اليك ! فلست أريد مالك ولكنى التمس مساعدتك ، فبعد ساعة واحدة سوف يصل القطار الى الحدود الروسية ، وسوف تنتهى حياتى عندها اذا لم تساعدينى على اجتيازها »

« وركع الرجل على ركبتيه ، واتم جمع النقود ، ثم قدمها للسيدة، فوضعتها فى حقيبتها . وعاد الرجل الى مقعده فجلس فيه صامتا لا يأتى بحركة ، بينما اخذت هى تفكر ، وقد هدأ روعها بعض الشىء فاستطاعت ان تتأمله : كان الغريب الغامض شابا فى العقد الثالث من عمره ، وسيما جذاب الملامح رغم شحوب وجهه ، وكانت تبدو فى قسمات وجهه امارات النبل

« ومضى القطار مدويا يطوى الارض طيا ، وهو يقترب من الحدود الالمانية . وقبل ان يبلغها توقف فى آخر محطة روسية ، وعندئذ ظهر الخادم « ايفان » بباب الديوان وهو يقول :

ـ هل تريدين شيئا يا سيدتى الكونتس ؟

« فصمتت السيدة لحظة قصيرة قبل ان تقول :

ـ أريد أن ترجع الى سيدك وتقول له انى لم اشأ ان آخذك معى الى فرنسا ! ثم انى اريد قبعتك ومعطفك ، فاتركهما هنا على هذا المقعد ، والآن .. يمكنك ان تغادر القطار قبل ان يتحرك

« واستولت على « ايفان » دهشة بالغة لهذه المفاجاة غير المنتظرة ، ولكنه لم يسعه الا ان يمتثل ، فأحنى قامته لسيدته فى احترام وهو يضع المعطف والقبعة حيث أشارت ، ثم بارح القطار لا يلوى على شىء

« وما كاد القطار يستأنف المسير حتى التفتت الكونتس الى الشاب الغريب وقالت له :

ـ ان هذه الملابس لك ياسيدى ، وانت خادمى « ايفان » منذ هذه اللحظة ، على ان تقسم لى على انك لن تسألنى شيئا آخر ، أو توجه الى كلمة واحدة بعد الآن ، فلست اريد حتى أن تقول لى كلمة شكر !

« فاقسم لها الشاب على ما ارادت ثم ارتدى معطف الخادم ووضع قبعته على رأسه

« وانقضت لحظات وصل بعدها القطار الى الحدود ، فأحنى الضابط قامته فى احترام ، وهو يتناول جواز سفر الكونتس التى آبتدرته بقولها:

ـ انى قاصدة الى فرنسا وهذا هو خادمى « ايفان » .. اما الوصيفة

ففى العربة التالية ..

« فأحنى الضابط قامته من جديد ولم يحفل بالقاء نظـــرة على جواز السفر

« واستمر القطار يواصل سيره فى غير هوادة ، واصبح يجـــرى فى أرض المانية ، وبقى الشاب والكونتس يتبادلان النظرات فى صمت طوال الليل ، فلمـــا أقبـل الصباح ، خلع الرجل القبعـة والمعطف ، ثم وقف لحظة وقد بدا عليه التردد ، وكان القطار وتئـذ يقترب من أحـدى المحطات ، وأخـيرا قال متعثرا فى صوت مضطرب النبرات :

ـ أرجو أن تغفر لى سيدتى اذا نسيت وعدى مرة واحـــدة . انى حرمتك من خادمك « ايفان » فهل انت فى حاجة الى شيء ؟

« فقالت له الكونتس فى برود واقتضاب :

ـ ارسل الى وصيفتى !

« فاستدار ثم انصرف ، غير أنه لم يبرح القطار كما خيل اليها ، بل انتقل الى عربة أخرى وظل بها حتى وصل القطار الى منتون »

وسكت الطبيب قليـلا ثم عاود حديثه قائلا :

« وفى أحد الايام ، كنت فى عيادتى استقبل مرضاى ، عندما دخل على شاب طويل فى مقتبل العمر، فسألته عما اذا كان يريد شيئا ، فأجاب وقد تملكه الاضطراب :

ـ انا صديق قديم لعائلة الكونتس « بارانوف » وقد أتيت لاسأل عن صحتها ... فقلت له فى صراحة :

ـ ان حالة الـكونتس يا سيدى ميئوس منها ولا امل فى شفائها !

« فلم ينطق الشاب بحرف واحد واستدار لينصرف وهو يمشى كالثمل وكأنما اذهله جوابى ، وفى طريقـه الى الباب رأيت دموعه تنهمر على وجنتيه !

« وعندما ذهبت لأعود الكونتس فى المساء ، أخبرتها بقصة هـــذا الشاب العجيب ، فانتابتها رجفـة ظاهرة ، واطرقت قليلا ، ثم روت لى هذه القصة التى اقصها عليكم ، ثم اردفت تقول :

ـ هـــذا الشــاب ... لست اعرف عنه شيئا ، بل انى لاجهل اسمه ، ولكنه يتبعنى كظلى ، فما خرجت مرة الا وجدته فى الطريق ، غير أنه بر بقسمه فلم يحاول قـط ان يتحدث الى

« ثم ارتسمت على شفتى الكونتس ابتسامة حزينة وهى تقول :

ـ ولست اشك فى أنه ينتظرنى الآن على مقربة من هذا المكان

« وتقـدمت من النـافذة فأزاحت الســـتائر ، وأطلت على الطريق ووقفت انا الى جانبهـــا ، فرأيت الشاب جالسا على أحـد المقاعد وقد بدا القلق واضحا عليه. غير انه لم يكـد يرانا حتى اسرع مبتعدا عن المكان »

وصمت محدثنا الطبيب لحظـة ثم استطرد يقول :

« وقد اثر هذا الحادث فى نفسى ايما تأثير . يا الهى ! ايمكن ان يوجد

شخصان يتبادلان مثل هذا الحب الهائل ثم لا يتكلمان !!

« وعلى أية حال ، فقد ظل هذا الشاب الغامض مثابرا على المجيء الى كل يوم ليسالنى عن صحة المريضة ، وكان الحزن يكسو وجهه ويتضاعف وهو يراها تذبل يوما فى اثر يوم . واخبرتنى الكونتس ذات يوم بأنها لم تتحدث اليه غير مرة واحدة ، ومع ذلك فقد كانت تشعر كما لو كانت تعرفه منذ امد بعيد ، ولكنها اكدت لى انها لم تستقبله فى بيتها ابدا ، ولم تحله من قسمه قط ، وحافظ هو من ناحيته على هذا القسم ، فلم يحاول ان يتحدث اليها ولو مرة واحدة

« وفى اليوم الذى ماتت فيه ، لقيته وانا خارج من الفندق الذى كانت تنزل فيه ، ولست أشك فى انه قد قرأ من وجهى كل شيء ، اذ انه اقترب منى وهو يقول فى أسى عميق :

– أرجو أن تسمح لى يا سيدى الطبيب بأن اراها لآخر مرة .. لحظة واحدة فقط !

« فرجعت به الى غرفتها ، ورأيته يركع الى جوار فراشها ، ويقبل يدها فى خشوع ، ودموعه تتساقط من عينيه ! ثم اسرع خارجا لا يلوى على شيء ، ولم اره قط بعد اليوم ! »

وصمت الطبيب الشيخ ، وكان صمته طويلا هذه المرة . كانت قصته قد انتهت ، وقالت احدى السيدات فى صوت متهدج :

– هذان المحبان ! .. أنهما ...

ولم تكمل المسافرة عبارتها ، اذ كانت قد خنقتها الدموع ، ولم نعرف ما الذى كانت تريد ان تقوله ، ولكننا غيرنا مجرى الحديث . ومع هذا فقد ظل الحزن مخيما علينا حتى أشرف القطار على نهاية الرحلة

« العمر أقصر من أن يحتمل الاسفاف »

• هذه احدى الكلمات التى اتمثل بها وهى احب الاقوال المأثورة الى نفسى ، وقد نفست عنى فى كثير من اوقات الشدائد والمحن

اننا كثيرا ما نتهاون فندع نفوسنا تضطرب بسبب اشياء تافهة كان ينبغى لنا ان نحتقرها أو نتجاهلها وننساها . وقد يسدى احدنا معروفا الى انسان فلا يشكر له بل يكفر به ويجحده ، وقد يظن بامرأة انها صديقة له ، فاذا هى تغتابه وتذكره بالسوء .. وربما رأى الواحد منا انه يستحق جزاء طيبا فاذا به يحرم مما يستحق ، واذا الذى لاقاه من خيبة الامل قد استبد بنفسه استبدادا يؤرق نومه ويثبط همته

ولكن .. أليست هذه حماقة ؟

اننا قد خلقنا على هذه الارض لنقضى فيها اعواما قد تطول وقد تقصر ، فاذا بنا نستهلك وقتا ثمينا لا يمكن أن يعوض فى الاسى والحزن ، على اشياء لا تلبث الا قليلا حتى ننساها وينساها الناس !

فينبغى لنا الآن أن ننفق ايام العمر فى الامور المجدية ، وان نصرف وقتنا وجهدنا الى كل ماله قيمة من عمل أو شعور ، والى الافكار السامية والعواطف النبيلة والاعمال الباقية ، لسبب بسيط ، وهو ان العمر أقصر من أن يحتمل الاسفاف »

اندريه موروا



لولا قسوته وشراسته وجبروته وطغيانه لخلدت ذكراه في الصفحات الاولى للابطال الذين كافحوا في سبيل تحرير بلادهم

لبثت البانيا ، منذ خضوعها للحكم التركي ، عصورا تجاهد في سبيل استقلالها ، ومنذ استطاع بطلها الوطني اسكندر بك ، ان يستقل بحكمها حينا في اواسط القرن الخامس عشر ، لم يظهر في الميدان من ابطالها المغامرين ، من هو أعظم شخصية ، واقوى مراسا ، واحفل سيرة من علي باشا المعروف بعلي تبلين او باسد يانينا

ولد علي باشا سنة ١٧٤١ ، في اسرة عريقة تنتمي الى قبيلة « توسكي » الالبانية ، ببلدة تبلين الواقعة في سفح جبال كليسورا في غربي البانيا . وكان ابوه ولي بك ، واجداده من قبله ، حكاما لتبلين بالتعاقب . وامه خامكو ابنة أحد البكوات ، وقد انجبت بعده ابنة سميت « شاينتزا »

وماكاد علي يبلغ الرابعة عشرة من عمره ، حتى قتل ابوه بيد بعض جيرانه البكوات الذين استولوا على اراضيه ، فافتقرت الاسرة بعد غناها . وكانت امه خامكو امراة طموحة عنيفة ، مضطرمة الاهواء ، فاقسمت بالانتقام . وبثت في نفس ولدها هذه الرسالة الدموية بكل ما وسعت . وكان علي يعبد امه حبا ، وقد ورث منها في الواقع كل صفاتها وخواصها العنيفة ، وكان ايام سلطانه وعزه يفتخر دائما بانه مدين لامه بكل شيء

ونشأ علي رياضيا عنيفا ، يجوب الجبال والثلوج ، ويقارع المشاق

والاخطار ، وكان فتي وسيما اشقر ، أزرق العينين ، رخيم الصـــوت ، فصيح اللسان

وبدات امه بان هيات له سبيل العمل ، فجمعت حولها رجال زوجها الســابقين ، واستمالتهم بالاغراء والعطاء ، وتركت الحجاب ، وقادتهم الى اعمال الارهاب والسطو ، حتى استطاعت ان تسيطر على تبلين ، وتولى « على » قيادة العصابة من بعدها ، فجبى الاموال وحشد الرجال واصبح قوة يحسب حسابها

وتزوج على فى فتوته بامينة هانم ابنة كابلان باشا والى دلفين ولما وقعت الحرب بين تركيا وبين روسيا والنمسا ، التحق « على » مع رجاله بجيش السلطان ، وابلى فى القتال ، فانعم عليه السلطان بولاية (سنجق) تساليا ، وعاصمتها تريكالا ، وعهد اليه بمطاردة العصابات اليونانيـة الجبليـة فى تسـاليا وابيروس ، فطاردها وسـحقها ، وجند معظم

وقرر على باشا أن يخلى يانينا ويحرقها ، فارتد الى القلعة وأمر باطلاق المدافع



رجالها فى جيشه ، وجمع بالمصادرة والنهب ثروات طائلة ، واصبحت لديه قوة عسكرية خطيرة ، واخـذ يطمح الى السيطرة على ولاية يانينا ، التى يستطيع بواسطتها ان يسيطر على البانيا كلها

وكانت يانينا من الولايات الثائرة التى تتحدى الحكم التركى ، فانعم عليه السلطان بولايتها على شرط أن يخضعها لحكمه ، فقام على بالمهمة ، وهاجم يانينا وخرب ضـياعها ، ودخلها ظافرا ، وبسط حكمه عليها وذلك فى سنة ١٧٨٨ . واضحى بذلك واليا (باشا) لتساليا وترياخ ويانينا ، وقائدا للثغور وكان يعاونه فى الحكم والادارة ولداه من امينـة هانم ، وهما مختار بك وولى بك

وفى تلك الاثناء ماتت أمه خامكو ، وتزوجت اخته شاينتزا من احـد البكوات ، وعين ولدها الماس بك فيما بعد حاكما لتساليا

واستقر على باشا فى قصره الفخم فى يانينا ، يسيطر منه على جنوبى البانيا وشمالى اليونان . وكان يومئذ فى نحو الخمسين من عمره . وكان هذا الرجل الذى لم يعرف فى حياته سوى القتال ، وحكم الغابة ، والغدر والغيلة ، من أذكى وابرع المغامرين الذين عرفهم التاريخ ، لايؤمن بشىء ويحتقر الانسان ، ولا يوقر احدا ، ولايثق بأحد ، جسورا ، صـارم العزم ، قاسيا لايعرف الرحمة ، عنيفا وديعا فى نفس الوقت ، وكان يتظاهر بالصـداقة لكل ملة ، فهو مسـلم ورع مع المسـلمين ، وهو صديق للنصارى ، ومحب للدراويش والبكتاشية ، وهو يتظاهر بالطاعة للباب العالى ، ولكن يعمل فى نفس الوقت لطمس كل معالم سلطانه

وكان ابراهيم باشا والى البانيا ، ومقره فى مدينـة بيرات ، يتوجس من مشـاريع على باشا ونياته ، ويتربص كل منهمـا بالآخر ، ولم يلبث ان نشب القتال بين الرجلين ، ووقعت بينهمـا معارك عديدة ، انتهت اخيرا بالصلح ، على أن يتزوج مختار بك وولى بك ابنا على باشا ، بابنتى ابراهيم باشا . وكانت زايدة هانم زوجة ابراهيم باشا ـ قبل ان تتزوج ـ مطمح انظار على باشا ، ولكنها افلتت منه ، فحاول عندئذ ان يوقع بها ، وتلقى ابراهيم باشا خطابات سرية عديدة بأن زوجتـه سوف تقتله بالسم ، ولكن هـذه الدسيسة اخفقت لثقة ابراهيم بزوجته ، وبولائها وطهرها

وفى خلال ذلك كان على باشـا ماضيا فى خطته الدموية ، فعمـل على ابادة البكوات والقضـاء على سلطانهم ، وقتل منهم عددا كبيرا ، سواء بالقتال او الغيلة ، وقتل كل من يخشى مقـاومته ، أو يشك فى ولائه . وكانت اراقته للدم بهـذه الصورة المستمرة تزعج زوجته امينة هانم ، وتنغص حياتها ، حتى اضطرت اخيرا الى هجره والاحتجـاب فى الحريم ، تقضى وقتها هناك فى الصلاة والعبادة ، بعيدا عن معترك السفك والجريمة . وعبثا حاول على باشا ان يستعيد مودتها ، أو أن يقنعهـا

بالعودة الى الحياة العادية

وهنا يجنح على باشا الى حياة الفسق والفجور ، وينغمس فى تيار الملاذ الحسية ، ولم تكن المرأة قد لعبت من قبل فى حياته دورا يذكر ، فقد تزوج فى مستهل شبابه ، وكانت زوجته امينة هانم امراة وافرة الحسن ، وزوجة مثالية ، وكانت حياة الكفاح المستمر تستغرق كل وقته وتفكيره ، فلما شعر بفد أن تحققت معظم أمانيه ، بنوع من الاستقرار ، واضحى يتذوق حياة الدعة والترف فى قصره الباذخ فى يانينا ، مال الى حياة اللهو والفجور ، وهام بالنساء ، وملأ حريمه بالجوارى والحسان من كل ضرب ، وكذلك بالغلمان المرد ، وكان هذا الشيخ الذى تجاوز الخمسين يضارع الفتية فى شغفه واضطرامه . وكان فى أحيان كثيرة يجوب شوارع يانينا متنكرا ، باحثا عن الفتيات والغلمان ، وأحيانا كان يزور اماكن العبادة بالنهار ، فيختار من البنات والأولاد من يشاء ، ثم يصدر أمره باعتقالهم وحملهم الى الحريم

ولم يكن ولداه مختار وولى اقل منه فى هذا الميدان ، جراة وفجورا ، وكانت كل حسناء فى يانينا تخشى على نفسها من أولئك الذئاب البشريين . بيد ان هذه القدوة السيئة لم تلبث ان احدثت أثرها ، فقد غزا تيار الفجور سائر طبقات المجتمع فى يانينا ، وفى الولاية كلها ، واخذت الحسان تتنافس فى الظهور والاستهواء . وكثرت المآسى الغرامية فى هذا المجتمع الفاسد . وكان من اشهرها مأساة حسناء يونانية من اسرة محترمة تدعى يوفروزين وهى ابنة اخ اسقف المدينة ، وزوجة تاجر غنى . رآها مختار بك ولد الباشا فهام بها حبا ، وطلبها الى قصره ، فاضطرت خوفا ورعبا ان تجيب الدعوة ، وفر زوجها التاجر انقاذا لحياته ، واصبحت عشيقة مختار الاثيرة ، وغمرها بصلاته من المال والجواهر . ثم اضطر مختار للسفر فى حملة هامة ، فبادرت زوجاته بالشكوى الى الباشا من منافسة الحسناء اليونانية ، فسار الباشا الى منزلها ذات مساء مع نفر من سحبه فروعت يوفروزين ، وحملت فى الحال الى الباشا كل مالديها من المال والجواهر ، والقته عندقدميه . فحمله رجال الباشا ، ولكنه لم يكتف بذلك ، بل امر بحمل الحسناء الى الحريم ، حيث اعتقلت وعلمت ، ثم امر بالقبض على خمس عشرة فتاة اخرى من اعرق الاسر اليونانية فى يانينا ، وأمر باعدامهن جميعا « صونا للفضيلة والاخلاق » . ولما عاد مختار ، وعلم بموت يوفروزين ، كاد يجن حزنا فسار الى قصره وحبس نفسه فى الحريم مدى حين

وفى أواخر القرن الثامن عشر ، كان على باشا قد بلغ ذروة القوة والسلطان ، واخذ الباب العالى يتوجس من نياته ، ويعمل للحد من سلطانه ، فبدأ بأن سحب منه حكم

ولاية تساليا محتجا بكبر سنه وكثرة اعماله ، ولكنه تفاديا لاغضابه ، اسند حكمها الى الماس بك ابن شاينتزا اخت الباشا . ولكن الماس بك ماكاد يستقر فى منصبه الجديد ، حتى أصابه مرض مفاجىء ، وتولته حمى شديدة ، ولم يلبث ان توفى

وهنا تقول الرواية ان خاله على باشا ، قدم اليه ضمن هداياه معطفا فخما كان قد اهدى لفتاة مصابة بالجدرى ، فأشبع بالجراثيم ، ثم انتقلت العدوى الى الماس بك حين ارتداه ، وكانت سببا فى هلاكه . وهكذا ردت ولاية تساليا الى الباشا

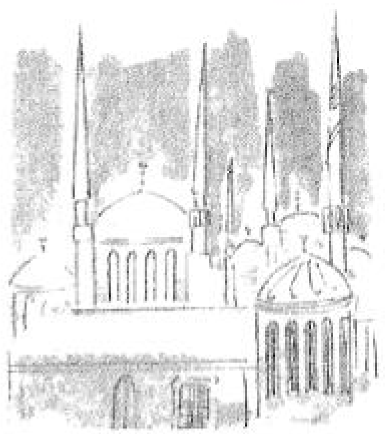
ورزق على باشا فى شيخوخته بولد ثالث من أحدى جواريه سمى صالح بك . وتوفيت زوجته الفضلى امينة هانم فى سنة ١٨٠٣ . فتاثر لفقدها ايما تاثر ، ولبثت ذكراها تطارده وتزعجه مدى اعوام ويساوره الندم على كثير من تصرفاته وجرائمه التى كانت تنعيها عليه . بيد ان القدر لم يلبث ان القى فى طريقه بزوجة جديدة تحمل اليه بعض العزاء والسلوى . وذلك انه خلال حملة قام بها لتاديب العصاة فى قرية « بلشفتزا » بناء على امر الباب العالى ، تقدمت اليه فتاة صغيرة رائعة الحسن ، وتضرعت اليه ان يحميها ، بعد ان قتل ابواها ، فاهتزت عواطفه لحسنها الى الاعماق ، وسألها عن اسمها فأجابت « فاسيلكى » ومعناه ملكة ، فوعدها ان ستكون « ملكة » قصره . وهكذا تزوج على باشا فى شيخوخته مرة اخرى ، وهام بحب زوجته الفتية ايما هيام ، ولبث على حبها بقية حياته ، وانجب منها ولدا رابعا هو محمد بك

وفى اثناء ذلك كان على باشا يقود حملاته ومشاريعه السياسية بنجاح . وحينما استولى نابليون بونابرت على الجزائر اليونانية المجاورة لساحل البانيا ، عقب سقوط جمهورية البندقية ، اتصل على باشا بنابليون وعقد معه صلات ودية . وعندئذ خشيت روسيا من تسرب النفوذ الفرنسى الى البلقان ، فعقدت مع السلطان محالفة انضمت اليها انجلترا . ونشبت الحرب بين تركيا وفرنسا ، وقاتل على باشا ضد الفرنسيين بنجاح ، واستطاع ان يحتفظ بالموانىء الالبانية على الشاطىء . ونال على باشا يومئذ لدى الباب العالى ذروة حظوته ، ولكن على باشا اخذ من جهة اخرى يعمل على توطيد استقلاله ، ويخابر بعض الدول الاجنبية سرا لمعاونته ، وكان يومئذ يسيطر على نصف البانيا الجنوبى وعلى شمالى اليونان ، ويبسط عليها حكمه المطلق ، ولم يكن ينقصه سوى الاستيلاء على ثغر بارجا الواقع جنوب غربى يانينا وكان الفرنسيون يحتلون هذا الثغر ، فحاول على باشا ان يتصل بنابليون مرة اخرى للحصول على هذا الثغر ، ولكن الامبراطور لم يوافق على ذلك . ثم تتابعت الحوادث وهزم الامبراطور ، وسلم اهل بارجا ثغرهم الى الانجليز ، ولكن بشرط ان يكون مصيرهم مصير الجزائر اليونانية

كلها . ولكن الانجليز اتفقوا في النهاية على أن يسلم الثغر الى تركيا نظير تعويض اهل بارجا ، وهكذا استطاع على باشا أخيرا ان يضع يده على هذا الثغر المنيع وكان ذلك في سنة ١٨١٩

ووصل سلطان على باشا يومئذ الى حد اخذ بحق يزعج الباب العالى ، وغدت سمعته وصولته مثار الاعجاب والروع ، لا في البانيا وحدها ولكن في سائر بلاد البلقان ، وكان السلطان محمود الثانى ، يحرص على الحد من سلطة الباشوات المحليين ، ويرقب بمنتهى الجزع نمو قوة على باشا وتوطد سلطانه ، ويتحين الفرصة الملائمة لتحطيمه وسحقه . وسنحت هذه الفرصة بفعل على باشا نفسه . وكان قائده السابق وعدوه الالد باتشو بك قد تدخل لدى السلطان في شأن بعض العائلات الكبيرة التي غادرت تساليا فرارا من ظلم ولى باشا ، ولد على باشا ، فأمر السلطان بعزله ونقله الى لبانتو . فغضب على باشا لذلك ، وأرسل بعض رجاله الى استانبول ليقتلوا باتشو بك ، واطلق الجناة عليه النار بالفعل على مقربة من جامع اياصوفيا ، فجرح ولكنه لم يمت ، وقبض على الجناة واعدموا . واستشاط الباب العالى غيظا لهذه الجراة ، وقرر انه لابد من التخلص من رجل خطر كهذا ، واتهم على تبلين بالخيانة والاعتداء على مقام الجلالة الشاهانية ، ثم جهزت لمقاتلته حملة بحرية وعين باتشو بك واليا ليانينا ودلفين ، وعين في نفس الوقت قائدا لهذه الحملة وأمر سائر الباشوات المجاورين بالتأهب للقتال وبعث السلطان الى أهالى ابيروس يحثهم على مقاتلة الثائر الذى أضطهدهم أعواما طويلة ، وانتهز اليونانيون هذه الفرصة فأخذوا في التحرك والاستعداد للقيام بثورتهم التحررية

وأدرك على باشا خطورة الموقف فبادر بالتأهب للدفاع ، وحشد سائر قواته ، وانفق المال بسخاء وكان قد جمع ثروة طائلة ، وكانت لديه مدفعية قوية وكميات هائلة من الذخائر . وبدأ الاسطول التركى بالاستيلاء على لبانتو ، ثم استولى على بارجا ، ولما راى على باشا تقدم القوات التركية ، قرر أن يخلى يانينا وان يحرقها ، حتى لا تغدو اذا سقطت ملجأ لخصومه . فارتد الى القلعة وتحصن بها وارسل على



المدينة وابلا من النار دمرها تدميرا واستعد مع نخبة جنده لدفاع مرير وحصار طويل الامد

ودخل باتشوبك المدينة المحترقة بجنده فى اغسطس سنة ١٨٢٠ وكان قد انفض عن على باشا كثير من جنده ، ولكنه كان فى قلعتــه الحصينة وبالاعتماد على مدفعيتــه الهائلة ، يستطيع أن يتحدى خصومه وطال دفاعه بالفعل زهاء عامين ، وأبدى فى هذا الدفاع معجزات من الثبات والبراعة واحتمال المشاق بالرغم من اعوامه الثمانين ، وفى تلك الاثناء عزل باتشوبك وعين للقيادة خورشيد باشا ، فبعث اليه على باشا يطلب الصلح ، وان يصدر امر الباب العالى بالعفو عنه ، وكان خورشيد باشا رجلا شديد الدهاء والمكر فارسل الى على باشا يعده خيرا ، ويقترح وقف القتال حتى يأتى مرسوم العفو الشاهانى ، فوافق على باشا ،وخرج من القلعة الى قصره الصغير فى البحيرة الواقعة اسفلها مع ثلة من حرسه ينتظر ورود المرسوم ، ولبث هناك أياما حتى بعث اليه خورشيد باشا ينبئه بورود المرسوم وأنه لابد لتسلمه واحتراما لمقام السلطان ، ان يخلى القلعة وان يدخلها الجند الترك ، ويرفع عليها العلم الشاهانى ،فوافق على باشا على ذلك بعد كثير تردد، وارسل رسالة سرية بذلك الى نائبه فى القلعة سليم بك ، وكان ذلك فى مايو سنة ١٨٢٢

وما كاد العلم الشاهانى يرفع على القلعة ، حتى سارت ثلة من الضباط الترك الى القصر فى البحيرة ونفذت اليه ، بيد انها لم تكن تحمل مرسوم العفو ، وانما كانت تحمل حكم الاعدام الذى اصدره السلطان ضد الباشا الثائر ، وفى الحال أدرك على باشا الحقيقة المروعة ، وثار فى وجه مهاجميه ، كالاســد الجريح ، واطلق النار من مسدسه يمينا وشمالا ، وأطلق حرسه النار معه فسقط من حوله عــدد من الفريقين ، ولكنه اصيب اخيرا فى صدره وفى جنبه ، وارتمى خائرا على اريكة بجانبه ، وعندئذ تقدم منه الجلادون ، وجرزه من لحيته الطويلة البيضاء ، وحزوا رأســه وحنطت ثم ارسلت الى الباب العالى فى صندوق من الفضة ، وفى اليوم التالى احتفل بدفن الجثمان مع التكريم ، وورى الباشا الشيخ الى جانب زوجه المحبوبة أمينة هانم ،

وكان لمصرع على باشا أعمق وقع فى البانيا ، وكان مثار الحزن العام ولا سيما بين القبائل الالبانيــة فى ابيروس وغيرها ، وكانت حياة البطل الشيخ دائما مثار الاعجاب بين مواطنيه بالرغم من طغيانــه وصرامته وقسوته ، ذلك انه كان يعتبر ، بتحديه للباب العالى ، رمز الاستقلال القومى الذى بدأت آفاقه تتفتح يومئذ بين الامم البلقانية

وهكذا كانت خاتمة على تبلين او على باشا اسد يانينا ، وهكذا كانت حياته الطويلة الفياضة بالاحداث المثيرة

من اعلام الفكر العربى

ابو عبد الله القزوينى

بقلم الدكتور عبد الحليم منتصر
عميد كلية العلوم - جامعة عين شمس

هو ابو عبد الله زكريا بن محمد ابن محمود القزوينى ، ولد فى مطالع القرن السابع الهجرى فى مدينة قزوين ، وانتقل الى دمشق وهو شاب ، ثم عاش فى بغداد زمنا طويلا حيث تولى القضاء فى زمن المعتصم ، وشهد حملة التتار على الشرق ، وتوفى فى نحو الثمانين من عمره

ويعتبر القزوينى من العلماء العرب المشهورين ، فهو عالم طبيعى بأدق ما تحمل هذه الكلمة من معنى فى العصر الحديث ، شغف بالفلك والطبيعة والنبات والحيوان والجيولوجيا بنوع خاص ، ويعتبر كتابه « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » من المراجع القيمة فى

علم من اعلام الفكر العربى ، ضرب بسهم وافر فى العلوم ، ونقلت كتبه الى كثير من اللغات ، وجاءت علومه الينا بلغات اجنبية ، وهى فى اصلها عربية بحتة

هذه العلوم • وكان يوصي بادامة النظر فى عجائب صنع الله، ويقول : « وليس المراد من النظر تقليب الحدقة فان الحيوان يشارك الانسان فى ذلك ، ومن لم ير من السماء الا زرقتها ، ومن الارض الا غبرتها ، فهو مشارك للحيوان وادنى حالا واشد غفلة • بل المراد من النظر التفكير فى المعقولات ، والنظر فى المحسوسات ، والبحث عن حكمتها وتصاريفها ، لتظهر حقائقها » ثم يقول : « والفكر فى المعقولات لا يتأتى الا لمن له خبرة بالعلوم والرياضيات ، بعد تحسين الاخلاق وتهذيب النفس ، فعند ذلك تتفتح له عين البصيرة ، ويرى فى كل شيء من العجب ما يحجز الادراك » ثم يقول ، موصيا بالتجربة ، والدقة فى ادائها : « فان احببت أن تكون على ثقة فشمر للتجربة ، واياك أن تفتر أو تمل ، اذا لم تصب فى مرة أو مرتين ، فان ذلك قد يكون لفقد شرط أو حدوث مانع • فاذا رأيت مغناطيسا لا يجذب الحديد فلا تنكر خاصيته ، فاصرف عنايتك الى البحث عن احواله حتى يتضح لك أمره • »

وقد قدم لكتابه بمقدمات أربع ، تعتبر دستورا رائعا لكل مشتغل بالعلم عامة وبالعلوم الطبيعية بصفة خاصة • فضلا عن الاشارة الجامعة فيها الى موضوعات الكتابة ، فقال : « لننظر الى الكواكب وكثرتها ، واختلاف الوانها ، فان بعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى البياض ، وبعضها الى لون الرصاص ، ثم الى سير الشمس وفلكها مدة سنة ، وطلوعها وغروبها كل يوم ،لاختلاف الليل والنهار ، ومعرفة الاوقات ، وتمييز وقت المعاش عن وقت الاستراحة ، ثم الى جرم القمر وكيفية اكتسابه النور من الشمس ، لينوب عنها فى الليل ، ثم الى امتلائه وانمحاقه ، ثم الى كسوف الشمس وخسوف القمر ، ثم الى ما بين السماء والارض من الشهب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والامطار والثلوج والرياح المختلفة المهاب ، ولنتامل السحاب الكثيف المظلم كيف اجتمع فى جو صاف لا كدورة فيه ، وكيف حمل الماء ، وكيف تتلاعب به الرياح وتسوقه وترسله فترات متفاصلة ، لا تدرك قطرة منها قطرة ليصيب وجه الارض برفق ، فلو صب صبا لافسد الزرع بخدشه وجه الارض ، ثم الى اختلاف الرياح فان منها ما يسوق السحب ، ومنها ما ينشرها ، ومنها ما يجمعها ، ومنها ما يعصرها ، ومنها ما يلقح الاشجار ومنها ما يروى الزرع والثمار ،ومنها ما يجففها • ثم لننظر الى انواع المعادن المودعة تحت الجبال فمنها ما ينطبع كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص ، ومنها ما لا ينطبع كالفيروز والياقوت والزبرجد وكيفية استخراجها وتنقيتها واتخاذ الحلى والآلات والادوات منها ، ثم الى

معادن الارض كالنفط والكبريت ، وأنواع النبات ، واصناف الفواكه ثم لننظر الى اصناف الحيوان وانقسامها الى ما يطير ويقوم ويمشى وانقسام الماشى الى ما يمشى على بطنه ومايمشي على رجلين ، ومايمشى على اربع ، والى أشكالها والوانها وصورها واخلاقهاوأفعالها ، والنمل والعنكبوت والنحل كيف تبنى بيوتها ، وتجمع غذاءها وادخارها القوت لوقت الشتاء وحذقها فى هندستها » وهكذا تابع القزوينى فى مقدماته الاربع عرضا شاملا للموجودات والكائنات التى عالجها فى كتابه ، معالجة الباحث المدقق مستشهدا بأقوال من سبقوموخاصة ابن سينا

وقد قسم القزوينى الكون الى علوى وسفلى وقد عنى بالعلوى ما يتعلق بالسماء من كواكب وبروج ومدارات ، ومجرات والشمس والقمر وتحدث عن كواكب الزهرة والمريخ وعطارد والمشترى وزحل ، وعن كسوف الشمس وخسوف القمر ، وقال عن الاخير انه يحدث عند ما تتوسط الارض بينه وبين الشمس وتحدث عن المد والجزر وعلاقة ذلك بالقمر كما تكلم عن الايام والشهور والسنين والفصول . فقال عن الربيع : « يستوى الليل والنهار فى الاقاليم ، ويعتدل الزمان ، ويطيب الهواء ، ويهب النسيم ، وتذوب الثلوج ، وتسيل الاودية ، وتمد الانهار وتنبع العيون ، ويتلألأ الزهر ويورق الشجر ، ويتفتح النوار ، ويخضر وجه الارض ، وتدر الدروع وتنتج الحيوانات ، ويطيب العيش لاهل الزمان » . وعلى هذا النحو كان حديثه عن الخريف والشتاء والصيف مما دل على حسن تفهمه للفوارق بين الفصول

وعندما عالج القزوينى الكائنات السفلية وهى المتصلة بالارض ، تكلم عن نظرية العناصر الاربعة وهى النار والهواء والماء والتراب ، وهى التى نادى بها العلماء الاقدمون ، وتحدث عن الهواء والسحاب والرياح والامطار ، فقال : « أن أصول الرياح أربعة ، وهى الشمال والجنوب والصبا والدبور ، وريح الشمال باردة لانها آتية من منطقة لاتسامتها الشمس اصلا بل ولا تقترب منها وريح الجنوب حار رطبة لانهبوبها من ناحية خط الاستواء ، والحر مفرط هناك لان الشمس تسامتها فى السنة مرتين ، والصبا قريبة من الاعتدال وتكون مائلة الى البرودة فى أول النهار ، والدبور تهب والشمس مدبرة عنها فلا تسخنها تسخين الصبا ، كما تهب فى آخر النهار . وعرف الزوبعة بأنها الريح التى تدور على نفسها شبه منارة »

وقال فى تكوين السحاب : « ان الشمس اذا اشرقت على الماء

حللت منه اجزاء لطيفة مائية تسمى بخاراً ، فاذا ارتفع البخار في الهواء حتى برد الزمهرير ، تداخلت اجزاؤه في بعضها البعض وتكون السحاب» ثم تحدث عن الرعد والبرق ،والهالة وقوس قزح وعن البحار والمحيطات والجبال والانهار والعيون والآبار وقال عن البحار العظيمة انما هي بمثابة خلجان من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى أن المكشوف من البوادي والجبال ،انما هي بمثابة جزيرة صغيرة في بحر عظيم ، وبقية الارض مغمورة بالماء وقال عن نهر النيل : « ليس في الدنيا نهر مثله ، يصب من الجنوب الى الشمال ، ويمد في شدة الحر حين تنقص الانهار كلها ، ويزيد بترتيب وينقص بترتيب » وحدد طوله بمسيرة شهر في بلاد الاسلام ، وشهرين في بلاد النوبة ، واربعة أشهر في الصحراء الى ما خلف خط الاستواء

وخصص القزويني فصلا من كتابه للحديث عن الفلزات ، وقال انها سبعة ، تتولد من اختلاط الزئبق بالكبريت ، منها الذهب والفضة ، والحديد والنحاس والرصاص والخارصين

ومع ما في هذا الكلام من مخالفة لأصول العلم الحديث ، الا أن ما ذكره في هذا الفصل للتفريق بين الفلزات وغير الفلزات ، وبين الاحجار والمعادن في الارض ، وبيان مواضعه تدل على شغفه بالعلوم الكيميائية والجيولوجية ، فضلا عن اننا نلاحظ أنه يردد قول جابر وغيره من كيميائي العرب القدامى • كما أنه تحدث عن النفط وقال انه يطفو على الماء وان منه اسود وابيض • وان الاسود يتحول بالتكرير الى أبيض •

أما ما ذكره القزويني عن النبات والحيوان ، فانه ليشهد له بطول الباع في دراسة الاحياء فتكلم عن الاشجار المختلفة من ابنوس وبلوط وآس وسرو وصنوبر وكذا التوت والتين والتفاح والسفرجل والفستق والموز والنارنج وعن الخضروات من جزر وخردل وحمص وباذنجان ، والزهور والنسرين والورد والناردين

وقد خالف بعض من تقدمه من العلماء العرب في عدم ذكر الاشعار التي وردت في وصف مثل هذه النباتات ، او على الاقل لم يذكر الكثير منها وانما كانت ملاحظاته ودراساته دراسة عالم اكثر منها دراسة اديب

وعلى هذا النحو من براعة في العرض ودقة في الاستقراء والوصف عالج القزويني الانسان وشرح اعضاءه عضوا عضواً ، وصف الغضاريف والاعصاب والشرايين والاوردة والجلد والاعضاء الداخلية من دماغ ورئة وقلب وكبد وطحال ومرارة ومعدة وكلية ومثانة ثم الاعضاء الخارجية من رأس وعين

واذن وانف وفم ولسان واسنان وغيرها • ثم انتقل الى وصف الحيوانات من سبع وثعلب وخنزير ودب وسنور وكلب وكركدن وفيل وقرد ونمر ، وكذا الطيور من باشق وبازى وشاهين وصقر وعصفور وعقاب وكروان وهدهد ،وطواط وكركى ،وحشرات من جراد وصرصور ونحل ونمل ، ومن هوام أخرى كالعناكب والعقارب والثعابين •وانه ليعجب من أمر النحل كيف تقوم بعمل المسدسات المتساوية الاضلاع التى يعجز عن مثلها المهندس الحاذق مع الفرجار والمسطرة ومن أين لها هذا الشمع الذى اتخذت منه بيوتها المتساوية التى لا تخالف بعضها بعضا كأنها افرغت فى قالب واحد ومن أين لها هذا العمل الذى اودعته فيها ذخيرة للشتاء وكيف عرفت ان الشتاء يأتيها وانها تفقد فيه الغذاء وكيف اهتدت الى تغطية خزانة العسل بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطا بالعسل من جميع جوانبه ، فلا ينشفه الهواء ولا يصيبه الغار

وعلى هذا النسق يسير القزوينى فى معالجة موضوعات كتابه « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» الذى لفت أنظار طلاب العلم فى الشرق والغرب على السواء ،فطبع على هامش كتاب حياة الحيوان للدميرى ، ثم اعيد طبعه عدة مرات • كما ترجم الى الفارسية والى الالمانية وطبع فى ليبزج ، كذلك ترجم الى اللغة الفرنسية ، وطبع فى باريس فى أوائل القرن الماضى ، كما ترجم الى اللغة التركية ونشر بها منذ حين وقد اهتم المستشرقون بدراسة أعمال القزوينى واضافاته الى علوم الفلك والنبات والحيوان والجيولوجيا ، وتوجد نسخ خطية من كتابه فى دور الكتب الشهيرة فى العالم

وللقزوينى كتب اخرى لا تقل روعة عن كتاب « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » منها «آثار البلاد واخبار العباد » يتناول علم الفلك ، وبعض الاحداث التاريخية ، وكتاب آخر يشبه خطط المقريزى أتى فيه على وصف القاهرة

وبعد فتلك لمحة خاطفة ، من العلامة العربى الاشهر ابى عبد الله زكريا بن محمد القزوينى ، اردت بها أن ادل ابناء الوطن العربى على سالف امجادهم ، وتالد تاريخهم ، ليعلموا انهم أصلاء فى العلم والمجد وانه حتى هذه العلوم الطبيعية التى يظن الكثيرون من ابنائنا وشبابنا انها مستوردة من الغرب ، وانها ينبغى أن تدرس بلغة اجنبية ليعلموا انها بضاعتنا ترد الينا ، استولى عليها الغرب حين طالت اغفاءتنا ، وها نحن نخلع ثوب الخمول الذى تسربلنا به حينا ، ونركض نحو المجد وثبا ، لنعيد لامة العرب مجدا مؤثلا ، متخذين العلم وسيلة للنصر المؤزر ، ان شاء الله تعالى



قطعة الصابون

بقلم الروائي الانجليزي ساكي

وقال « كورتسبى » لنفسه وهو يتخذ طريقه الى مقعده الذى شاهد تلك المأساة الصغيرة : « لقد تلقيت اليوم درسا . ان على المرء الا ينخدع بظواهر الاشياء ! »

كان الوقت عصرا وقد شعر « جون كورتسبى » بالملل والضيق يستوليان عليه ، فأخذ يفكر فى مكان يذهب اليه عسى أن يذهب عن نفسه السأم ويتخلص من ذلك الضيق الذى جثم على صدره ، وخطر له أخيرا ان يذهب الى حديقة « هايد بارك » فاتجه اليها من فوره ، وهو يمنى النفس بالاستمتاع بمنظر الشمس وقت الاصيل فى هذه الحديقة المترامية الاطراف

وما ان بلغ « كورتسبى » الحديقة حتى انتحى ناحية هادئة ، وجلس على احد المقاعد المتناثرة هنا وهناك واخذ يتسلى برؤية الرائحين والغادين من رواد الحديقة . وفيما هو جالس ينظر الى سيل العربات المتدفق الذى يمر أمامه ، رأى رجلا يناهز الستين من عمره يتقدم نحوه وكان يرتدى حلة عتيقة من نوع « الردنجوت » ، قد حال لونها حتى بات من العسير على المرء أن يميزه ، وكان يبدو على ملامح وجهه المكدود انه من أولئك الذين أفنوا عمرهم فى دواوين الحكومة بين المكاتب والملفات ثم احيلوا الى المعاش وهم اجساد بلا ارواح

وتقدم الرجل من المقعد الذى جلس عليه « كورتسبى » فى بطء واعياء ، وما كاد يبلغه حتى تهالك عليه ، وكان واضحا من أنفاسه اللاهثة انه قد طوف طويلا بأرجاء الحديقة الواسعة حتى أنهك التعب قواه

وجلس الرجل المسن جامدا لا ينبس بكلمة زهاء ربع ساعة حتى استرد انفاسه ، ثم نهض من على المقعد فى تثاقل واستأنف السير فى سكون ، وشيعه « جون كورتسبى » بنظره الى ان اختفى بين ممرات الحديقة

□

وكان قدوم هذا العجوز ثم انصرافه قد قطع على « كورتسبى » حبل احلامه وخواطره ، ولكنه ما كاد يسترسل فى تأملاته مرة ثانية ، حتى ابصر شابا طويل القامة وسيم الملامح يرتدى معطفا فاخرا ، يلقى بجسمه على المقعد الى جواره وهو يدق كفا بكف ويزفر من الاعماق !

واسترعت حركة الشاب انتباه « كورتسبى » وادرك أن هذا الشاب الجالس الى جواره لابد أن يكون مكروبا ، أو فى ضيق شديد ، فابتدره قائلا دون مقدمات :

— يخيل الى ياصديقى انك تعانى ضيقا فهل أستطيع أن أؤدى لك خدمة ما ؟

فالتفت اليه الشاب والدموع تكاد تطفر من عينيه ، وقال له بصوت تهتز نبراته من الانفعال :

— الحق اقول لك ياسيدى انى واقع فى مازق من احرج المآزق التى لايمكن ان يتصورها عقل الانسان . ذلك انى قد وصلت الى « لندن » اليوم لاول مرة فى حياتى ، كى اقضى بعض الوقت طلبا للترويح والاستجمام ، فاستأجرت سيارة

« تاكسى » لتقلنى الى « جاكسون هوتيل » ، وهو فندق زكاه بعض اصدقائى فى « كوفنترى » مسقط راسى ، ونصحونى بالاقامة فيه ، غير أن سائق السيارة ، وقد أدرك على الفور اننى غريب ، ذكر لى اسم فندق آخر ، وقال ان الخدمة فيه ممتازة فضلا عن ان تكاليف الاقامة فيه اقل بكثير ، ثم قادنى الى فندق لست أذكر اسمه ولا اسم الشارع الذى يوجد به فوافقته على ما اقترح

وصمت الشاب الوسيم لحظة كانما ليستجمع شتات أفكاره ثم استطرد يقول :

ـ وبعد ان أودعت حقائبى الغرفة التى خصصت لى ، أردت أن أغتسل لازيل عن وجهى ما كان قد علق به من غبار خلال السفر ، فأخذت انقب فى متاعى عن قطعة صابون ولكنى سرعان ما ادركت انه قد فاتنى ان أحضر معى قطعة من الصابون لاستعمالى الخاص ، ولما كنت بطبعى لا أحب استعمال صابون الفنادق ، فقد وجدت لزاما على أن أنزل بنفسى لاشترى قطعة من صابونى المفضل، فاخذت شلنين من نقودى التى احتفظ بها فى احدى حقائبى وغادرت الفندق على الفور

وصمت الشاب لحظة اخرى ليلتقط انفاسه ، ثم عاد يقول :

ـ ومضيت أسير فى الشارع وقد استرعى نظرى ما تحويه واجهات المحال التجارية من السلع والعروضات . وأخيرا ابتعت قطعة الصابون ، وحينما أردت العودة رأيت مقهى أنيقا فى شارع متفرع من الطريق الذى كنت أسير فيه ، فجلست بداخله وطلبت كوبا من الجعة أروى به ظمئى ثم اتبعته بقدحين آخرين ، حتى نفد ما كان قد تبقى معى من الشلنين

ولابد انى قد سرت يا سيدى فى الاتجاه المضاد بعد أن انصرفت من المقهى ، اذ ما كدت أمشى قليلا ، حتى تبين لى انى ضللت الطريق ، ولبثت هكذا هائما على وجهى ، انتقل من شارع الى شارع حتى وصلت الى هنا ، فدخلت هذه الحديقة ، يراودنى الامل فى أن ينعش هواؤها نفسى ، ويريح أعصابى، فيساعدنى هذا على التفكير فى طريقة اخرج بها من هذا المازق الحرج . ان رأسى يا سيدى يوشك أن ينفجر ، واخشى ما أخشاه ان اظل هائما على وجهى فى الشوارع والطرقات ، الى أن أرسل برقية لاهلى فى « كوفنترى » كى يعجلوا بارسال مبلغ من المال على فندق آخر انزل فيه واذكر لهم اسمه وعنوانه فى برقيتى

■

وكان « كورلسبى » يستمع الى قصة الشاب الانيق فى صمت ، وما ان وصل هذا فى روايته الى هذا الحد حتى نظر الى وجهه ، وأخذ يتأمله فى شىء من الشك والحذر ، وهو يوازن فى نفسه بين اقواله ومظهره ، غير ان الشاب أسرع يقول له :

ـ اكبر الظن يا سيدى انك سوف

تشك فى صدق روايتى وتعتقد انها غير ممكنة الوقوع

ـ ليس ثمة شيء يستحيل وقوعه فأنا مثلا قد وقعت لى حادثة شبيهة بهذه ، غير انى لم اكن وحدى وانما كان معى صديق من اصدقائى ، وكنا وقتئذ فى بلد أجنبى ، ولكننا تذكرنا ان الفندق الذى كنا نقيم فيه يقع فى شارع يشرف على نهر صغير ، ومن ثم استطعنا ان نتابع السير فى محازاة النهر حتى اهتدينا اخيرا الى الفندق المنشود !

ـ ان حادثة كهذه يا سيدى اذا وقعت فى بلد أجنبى فان الموقف يكون مختلفا تماما من غير شك ، اذ يسهل على المرء عندئذ ان يتصل بالقنصل الذى يمثل دولته فى هذا البلد الاجنبى ليحصل منه على المساعدة الممكنة . اما هنا ، فى وطنى فالموقف بالغ الحرج ، ولن يكون فى وسعى ان اخرج منه الا اذا هيأ الله لى شخصا كريما يقرضنى شيئا من المال اتخلص به من هذا المازق ، على ان أرده اليه بعد يومين ، والا اضطررت الى قضاء الليل على قارعة الطريق ! ارجو ان تكون ياسيدى عند حسن ظنى بك وان تكون قد صدقتنى . . .

فنظر « كورتسبى » الى الشاب فى امعان ثم قال له على الفور :

ـ ان كانت قصتك صحيحة كما ذكرت ، فأين اذن قطعة الصابون التى قلت أنك قد اشتريتها قبل ان تضل الطريق ؟

فاجفل الفتى حينما القى عليه هذا السؤال المفاجيء ، واخذ يبحث فى جيوب معطفه فلم يجد فيها اثرا لقطعة الصابون ، واخيرا صاح قائلا فى غضب :

ـ آه ! . . لابد انى قد اضعتها فى مكان ما !

وعندئذ قال له « كورتسبى » فى صوت تفيض نبراته بالسخرية :

ـ انه لمن المؤلم حقا ان يفقد المرء فندقا وقطعة من الصابون فى يوم واحد !

وما كادت عبارة « كورتسبى » الاخيرة تطرق سمع الشاب ، حتى نهض من فوره ومضى فى سبيله لا يلوى على شيء ، دون ان ينطق بكلمة واحدة

□

وما ان اختفى الشاب الانيق عن الانظار حتى اخذ « كورتسبى » يستعرض فى خاطره تلك الحيلة التى عمد اليها هذا الغريب ، وقال فى نفسه : « لو انه كان على شيء من الذكاء وبعد النظر لاحضر معه قطعة من الصابون ، لتكون دليلا على صدق ما يقول ! » . . ثم قام من مقعده ليمشى قليلا ، ولكنه ما كاد يهم بالسير ، حتى رأى ربطة صغيرة ملفوفة فى قطعة من الورق ، ملقاة على الارض الى جوار المقعد ، وسرعان ما تبين له انها قطعة من الصابون ، فادرك الرجل من فوره انها لابد ان تكون قد سقطت من الفتى عندما القى بجسده على المقعد ، واجتاحت نفسه موجة من

الالم عندما تبين له انه قد اساء الظن به ، فأخذ يجد في السير في الاتجاه الذي سار فيه الشاب المسكين ، حتى استطاع اخيرا ان يدركه ، فقال له وهو يلهث :

ـ معذرة يا صديقي ، لقد وجدت عقب انصرافك الدليل المادي الذي يثبت صحة دعواك ، اذ سقطت منك قطعة الصابون عند جلوسك على المقعد ، وقد عثرت عليها بنفسي بعد ابتعادك بدقيقة واحدة !

ثم أخرج « كورتسبي » من جيبه ورقة نقدية من فئة الجنيه واضاف يقول :

ـ اوتظن ان جنيها يمكن ان يفي بالغرض ؟

فبادر الشاب في الحال الى اخذه من يده ، ثم دسه في جيبه وهو يتمتم ببعض كلمات الشكر وعرفان الجميل ، وعندئذ اخرج « كورتسبي » من جيبه بطاقة قدمها الى الشاب وهو يقول :

ـ اليك بطاقتي وبها عنوان البيت وفي استطاعتك أن ترد لي هذا المبلغ الصغير وقتما تشاء

ثم مد يده الى الشاب بقطعة الصابون واضاف قائلا :

ـ اسمع ! .. اياك ان تفقدها مرة اخرى فقد كانت لك نعم الصديق !

ـ شكرا يا سيدي ، شكرا جزيلا .. وثق تماما انني لن افعل !

وشد الفتى الانيق على يد « كورتسبي » محييا ومؤكدا شكره ثم مضى في سبيله . ووقف الرجل يشيعه ببصره حتى غاب عن الانظار ، ثم قال لنفسه وهو يتخذ طريقه ثانية الى مقعده الذي شاهد تلك المأساة الصغيرة : « لقد تلقيت اليوم درسا نافعا ، اذ يجب على المرء الا ينخدع بظواهر الاشياء ! »

وما كاد « كورتسبي » يبلغ المقعد حتى عاد « الرجل المسن ذو « الردنجوت » العتيق » ، والذي كان جالسا الى جواره ثم انصرف قبيل مجيء الشاب الوسيم ، وقد الفاه يبحث وينقب هنا وهناك تحت المقعد وعلى مقربة منه في اهتمام بالغ ، فقال له :

ـ هل يبحث السيد عن شيء ؟

ـ نعم .. اني ابحث عن قطعة من الصابون اظن انها قد سقطت مني حينما كنت جالسا هنا منذ قليل !!

جزاء الخير

• من يفعل الخير من أجل الخير فهو انسان ، ومن يفعل الخير كي ينال جزاءه فهو نصف انسان

« الفيلسوف باسكال »



أندريه بروتون

لمح الكاتب المشهور « أندريه بروتون » ذات يوم ، فى أحد الاندية ، شابة فاتنة تسير فى رفقة كهل جاوز الخمسين فما كان منه ، وقد بهره جمالها ، الا أن أخرج من جيبه ورقة وقلما وخط لها هذه الكلمات القليلة على عجل : « منذ أن وقعت عيناى عليك صرت لا أفكر الا فيك ، وأشعر برغبة جنونية فى التعرف اليك . قد يكون هذا الرجل أباك أو خالك فاذا لم تكونى متزوجة فلا يسعنى الا أن أطلب يدك . »

ومنذ نحو خمسة وسبعين عاما كتب لورد « لينيسون » قصيدة فى الشعر الغنائى أسماها « ابنة الطحان » ، وهى أنشودة يتمنى فيها العاشق الصب أن يكون نطاقا يشد حول خصر حبيبته النحيل كى يتمكن من سماع دقات قلبها ، ثم عدل عن ذلك فى المقطوعة التالية فتمنى لو كان عقدا يتدلى على صدرها الرطب الحنون ، فيهبط ويرتفع عليه النهار كله هانئا سعيدا وهو غارق فى بحر من الاحلام الخالدة !

فيكتور هيجو

كتب « فيكتور هيجو » الشاعر والكاتب العملاق الى حبيبته وعروس أحلامه « أديل فوشيه » عددا من رسائل الغرام قبل أن يتم زواجهما ، جمع جزء منها فى كتاب يربو على مائتى صفحة ، أما رسائل « أديل » اليه فقددمرتها الفتاة واحتفظت برسائله فقط

واننا لنطالع الآن هذه الرسائل فنطالع فيهاحبا دافقا وعفة بالغة ، ونجدها حافلة بآلام الفتى ومخاوفه وبآماله وأفراحه التى تنطلق عفوا

كأفراح الطفل ، وبأنباء العتاب والخصام والتأنيب ، يتبعها الصفح والغفران

ان رسائل غرام « فيكتور هيجو » الى حبيبته من أروع ما كتب فى ميدان الحب ، وفيها ألقى الشاعر الشاب كل شيء عند قدميها • ولست تجد في هذه الرسائل ذكرا لكتاباته او ما أصابه من نجاح أدبى ، أو شهرة آخذة فى الانتشار ، وان هو أشار الى شيء من هذا ، فانما يذكره ليؤكد لفتاته أن ذلك كله لها وحدها ومن أجلها فحسب ، وأنها هي مصدر وحيه ومنبع الهامه وكان المحور الوحيد الذى تدور حوله تلك الرسائل هو الحب ، والحب وحده دون سواه • ولهذا فسوف تبقى رسائل غرامه مثلا فذا نقيا للحب السامي

ومما يزيد فى روعة هذه الرسائل ويرفع من قيمتها الادبية فى تصوير عواطف «فيكتور هيجو » والكشف عن جوانب نفسه ، أنها لم تكتب كقطع أدبية يراد نشرها على الناس وانما كتبت لتقرأها «أديل» وحدها فقد كان يتوسل الى حبيبته دائما أن تحرقها بعد قراءتها ، ومن هنا كانت مرآة صادقة لمشاعره ، يطلق فيها الفتى نفسه على سجيتها ، ويفيض فيها بغرامه كما يتدفق النبع الصافي ، فلا عجب اذا ذكر الشاعر بعد ذلك رسائل غرامه فى ديوانه « أوراق الخريف » ويحن اليها فيخاطبها بقوله :

يا رسائل الحب ، والفضيلة ، والشباب •

ها هى ذى أنت ، فليخفق فؤادى مرة ثانية ،

مستجيبا اذ أجثو على ركبتى لاقرأك

ولاستعيد عهدك القديم ثانية فأعود صالحا وسعيدا كما كنت ذات مرة

ثم دعيني

أختبيء لاذرف الدمع ، لانى صرت غير ما كنت •

كنت اذن فى الثامنة عشرة •• ما أسعد أحلامي وقتئذاك !

كان الامل يهز سريرى ، وهو يغنى لى ، كذبا وخداعا

وكان يسطع فوقى نجم لامع

أما الآن فقلبى يتنفس بذكرك فحسب ،

مع انى كنت عندئذ بمثابة رب لها •• ولكن

الرجل يكاد يحمر اليوم خجلا

أمام الطفل الذى كان •

يا زمان التأمل والقوة والرشاقة

لقد كنت ، فى شبابى ، أنتظر كل



مساء حتى تمر بى
فاقبل قفازها حين يسـقط على الارض
كنت وقتئذ اريد من الحياة كل شيء :
الحب والقوة والمجد
فكيف السبيل لاعود نقيا ، فخورا متساميا
مؤمنـا بـكل ما هو نـقى فى الحياة !

هيكتور برليوز

وقد حرص المؤلف الموسيقى العظيم « هكتور برليوز » على أن يحج فى خريف حياته الى مسقط رأسه اقليم الايزير بفرنسا « L'Isère » • وقـد أيقظت هـذه العودة المتأخرة فى قلب الفنان الشيخ عاطفة دفينـة •• ذلك أنه كان قد أحب فتاة من هـذه المقاطعة حبا جنونيا منذ أكثر من خمسين عاما خلت ، ولكنها لم تكن تبادله هذا الحب • وقد التأم هذا الجرح فى نفسه بعد ذلك أثناء حياته الطويلة الحافلة بالعمل والكفاح والاخفاق والمجد • ولـكن ما كاد الرجل يرجع الى موطنه ، ويقوم بجولته فى المقاطعة ، حتى أحس بأنه يعود فى عنف واندفـاع الى عهد العواطف الكبرى ، عهد القوة والشباب ، فأخذ يبحث فى اصرار وبغير هوادة ، وهو فى الخامسة والستين ، عن حبيبته السابقة وكأنه فتى مراهق يتدفق قلبه بالحيوية والشباب

وبعد بحث مضن ، اسـتطاع المؤلف الشيخ أن يحصل على عنوان « مدام فورنييه » حبيبته القديمة التى كانت تدعى أصلا الآنسـة « استيل دى بوف » ، فكتب اليها على الفور خطابا مؤثرا طلب منها فيه أن تحدد له موعدا لمقابلتهـا وقال فيه :

« ان ثمة نوعا من الاعجـاب المخلص العنيد الذى لا يموت الا بموت الانسان • لقد كان عمرى اثنى عشر عاما عنـدما رأيت الآنسة « استيل دى بوف » لاول مرة ، ولا يمكن أن تكونى قد جهلت حينئذ الى أى حد أصبت قلب ذلك الصبى الذى كان يتحطم تحت وطأة شعور وجهد أقوى ممـا كان فى



مقدوره أن يحتمل • واعتقد أنـك كنت من القسـوة بحيث كنت تضحكين منى فى بعض الاحيان ، ولعلك كنت معذورة فى كل هذا • آه يا سيدتى ! ليس لى فى هـذه الدنيا غير هدف واحد فحسب ، هو الظفر بعطفك ! »

ولا ريب أنه لا يوجد حب متأجج أو رغبة مكبوتة أو مقابلة مستحيلة يعجز عن أن يثيرها خطاب غرام صادر من القلب ، ومكتوب بمداد الصدق والاخلاص ، وهذا شيخ فنان بلغ قمة المجد والشهرة ، قد وجد في نفسه القوة والحرارة وهو في سن الخامسة والستين ،ليكتب معبرا عما سكت عنه مدى نصف قرن من الزمان ، دون أي تحفظ. وفي غير حياء مصطنع

شارل بودلير

وكان الشاعر الكبير «شارل بودلير» يشعر بعاطفة جارفة نحو « أبولوني ساباتييه » ، التي كانت باريس بأكملها مفتونة بها اعجابا وكان يتغنى بجمالها الكتاب والشعراء وكبار الفنانين في عصره ، فظل « بودلير » يرسل اليها قصائده مشفوعة برسائل غفل من التوقيع مدى خمس سنوات ٠ كتب في احداها يقول :

« ٠٠ ان الشعور الصادق العميق لا يمكن الافصاح عنه ، وهو أمر يستوجب الحياء ٠ ان عدم التوقيع على هذه الرسائل انما يعتبر دليلا على الخجل والحياء العميق ٠ والذي وضع هذه الابيات وهو في حلم لذيذ مصدره صورة المرأة التي يبعث اليها بهذا الشعر ، انما هو شخص يحبها بقوة دون أن يواجهها بذلك أبدا واذا ما بدا لك هذا العمل سخيفا ، فاعلمي ان هناك قلبا ليس في استطاعتك أن تسخري منه الا ان تكوني قاسية ، قلبا تعيش فيه صورتك ٠٠ الى الابد »

وفي عام ١٨٥٧ ، قام الناشر « بوليه مالاسيه » بنشر ديوان « بودلير » وعنوانه « زهور الشر » « Les fleurs du mal » وضمنه كل القصائد التي كان الشاعر قد أهداها الى « مدام ساباتييه »،ومن بينها قصيدته الاولى التي مطلعها « الى المرأة المرحة أكثر مما ينبغي» وقد صودر هذا الديوان ، وقدم « بودلير » بسببه الى المحاكمة ، فكتب الى محبوبته أول رسالة غرام مذيلة بتوقيعه يقول :

« هذه أول مرة أكتب اليك فيها بخطي الحقيقي ٠ ان جميع الاشعار الموجودة فيما بين صفحتي ٨٤ ، ١٠٥ من ديوان « زهور الشر » ، هي ملك لك ، ومن المستحيل على أن أنساك ٠ يقال أن هناك شعراء عاشوا كل حياتهم وصورة من يحبون لا تفارق أنظارهم ، أما أنا ٠٠ فانك بالنسبة الى أكثر من صورة أحلم



بها وأحبها . انك فألى السعيد ، وعندما أخطىء أقول فى نفسى : « يا الهى !.. ليتها لاتعرف ذلك !» وحينما آتى عملا طيبا أقول : « هذا عمل يقربنى منها » . تذكرى أن هناك شخصا يفكر فيـــك ، وأن أفكاره نحوك سامية على الدوام . أنت سرى وتوأم نفسى ورفيقتى التى ألفتها ، وان اعتيادى أن أعيش معك دائما فى الخيال منذ أمد بعيد ، هو الذى يجعلنى أكتب اليك بهـــذه البساطة وبدون كلفة . وداعـــا ياسيدتى العزيزة ، انى أقبل يديك بكل اخلاص . »

هذا الخطاب الذى يبدو حنونا محبا رقيقا وفيه اجلال لشخصية الحبيبة فى آن واحد ، قد فعل فى قلب « أبولونى الضاحكة » فعـــل السحر ، ومس أعمق أعماق نفسها فأحبت الشاعر « بودلير » حبا لم يحلم بمثله قط منذ خمسة أعوام !

ريترماريا ريلك

ولا شـــك أن خطـــاب الغرام يزداد جمالا ويشتد تأثيره كلما قل فيه التكلف ، وبعدنا عند كتابته عن المبالغة واصطناع البلاغة والبيان ، ذلك أن الادب الرفيـــع والبيان وكل فنون البلاغة ، لا قيمة لها على الاطلاق الى جوار الـــكلام البسيط الذى يصدر مبـــاشرة من قلب الى قلب ، ولا يكون موجها الى قارئة مثالية كتلك الخطابات المطبوعة التى نجدها « جاهزة » فى الكتب ، وانما يكون الخطاب موجهـــا الى الشخص الوحيد فى هذا العالم الذى يمكنه أن يفهمه وأن يشعر به

وهذا أمر طبيعى ، لان أحاسيس الحب وأماراته وصور التعبير عنه أمور لا يمكن أن تخترع اختراعا ، ومن ثم كان وصفها والتعبير عنها فى غير ما خجل أو حياء قاعدة أولية فى ميدان العواطف

كتب الشاعر « ريتر ماريا ريلك » « Rainier Maria Rilke » قبيل وفاته الى « ميرلين » «Merline» التى كان يحبها من الاعماق يقول :

« يا عزيزتى المحبوبة .. اننى أحس برغبة عارمة فى أن أطبـــق بذراعى على خصرك حتى أنهمـــا لتنفرجان فى كل لحظـــة دون أن أدرى .. وعند خروجى من البيت أحرص دائما على لبس القفاز الذى صنعتيه لى بنفسك ، واذا خلعتـــه أشعر بأن يدى لهما رائحة يديك ، وصابونك ، وهواء نافذتك ! آه لو كنت أستطيع وأنا المس هذه الورقة بيدى أن أنقل اليك بعض هـــذا الحنان الذى لا نهاية له ، والـــذى لم أتمكن قط من أن أقدم اليك منه الكفاية . انى أحمل معى دائما هذا المنديل الصغير الذى بللته دموعك أحمله كرمز لها ، تلك الدموع التى سوف تجف دائما على قلبى .. »

جوته

ومثل هذه الرسالة من حيث البساطة وصدق التصوير وعدم الالتجاء الى التكلف واصطناع الحياء ، ما كتبته بتينافون برنتانيو الى الشاعر العبقرى « جوته » . . و « بتينا » «Bettina» هذه فتاة ذات نزعة « رومانتيكية » متأصلة ، أحبت الشعراء تارة ، وخفق قلبها تارة أخرى بحب ملوك وعظماء العصر الذى كانت تعيش فيه

ورأت الفتاة فى منامها حلما ذات ليلة ، فكتبت الى الشاعر العظيم تقول (وكان عمره وقتئذ ستين عاما) :

« لقد حلمت بك من جديد فى هذه الليلة . انك كنت جالسا مشغول البال مستغرقا فى تفكير عميق ، وعندما بلغت مكانك طلبت منى على الفور الا ازعجك . . فآلمنى ذلك أشد الالم ، لانى كنت قد قطعت مسافة طويلة كى أراك ، واظلم وجهى ، وامتلأت عيناى بالدموع فاقتربت منى عندئذ . ووضعت يدى على قلبك فى حنان لا يوصف وأنت تقول لى : « اطمئنى يا صغيرتى ، فأنا أعرف كل شىء » . واستيقظت من نومى فى تلك اللحظة . ان خاتمى الذى كنت قد ضغطت به على صدرى وأنا نائمة قد ترك به أثرا ، فوضعته مرة أخرى على هذا الاثر ، ثم ضغطت به على صدرى من جديد ، وبقوة أشد . . لانى كنت لا أستطيع أن أحتضنك »



□

ان رسالة الحب الحقيقية شىء جدى وليست مسالة هينة . ولقد كان جميع شعراء وكتاب القرن السابع عشر يتفننون بالغزل ، وهاهو ذا الكاتب « سيرانو دى برجراك » يزهو أمام حبيبة قلبه وهو يقول :

« اننى عندما أسلمتك حريتى لم أفقد قلبى يا سيدتى ، بل اننى أشعر منذ ذلك اليوم بأن قلبى قد صار أكبر وأعظم »

ولكنى أعتقد انه أخف ظلا وأصدق تعبيرا وأشد تأثيرا عندما يدع التكلف جانبا ، فيقول لهامعبرا عن الالم الذى يشعر به لغيابها :

« يا الهى ! . . لقد مضى يوم طويل دون أن أراك ، يوم بأكمله .

انني لا أريد أن أصدق ذلك . والا كان على أن أستسلم وأموت . انى أرى الآن فى وضوح أنى لست كالشمس كما قلت لى مراراً ، لان المزولة لا تتفق معى فى حساب الساعات . لقد عددت أكثر من ألف ساعة منذ أن غبت عنى هذا الغياب الاليم ! »

وكتبت «ماري ولستونكرافت» الى زوجها « جلبرت املاى » رسالة فى عام ١٧٩٥ قالت له فيها :

« لقد مكثت يا حبيبى أياما تعذبنى المخاوف ، وكنت أتلهف على رؤيتك فى كل يوم . انى سمعت أن بعض السفن قد اجتاحتها العواصف ، وأرجو أن يطمئن قلبى الى أنك فى مأمن ، وأن البحر لم يفرق بيني وبينك الى الابد .

لقد كنت اشعر بأننى أكثر سعادة مما كنت فى أى يوم من أيامى ، فهل تعجب ان خشيت أن يكون القدر قد تأهب لمعاداتى ؟ تعال الى ، يا زوجي ووالد ولدى .. ويا أعز الناس لدى .. فكل هذه الروابط الحبيبة تخفق فى قلبى فى هذه اللحظة ، وتملأ عينى بالغيوم والدموع . »

▭

وفى بعض الاحيان ، ينتج عن الفراق بين الحبيبين تبادل حقيقى فى الشخصيات فيتصور كل واحد منهما كل فكرة وكل حركة للآخر وينتهى به الامر بأنه يكون شبيهاً به تمام الشبه .. فقد كتب «فيكتور هيجو » وهو فتى مراهق الى حبيبته « آديل فوشيه » يقول : « منذ عام وأنا أتصرف تماما وعلى الدوام كما لو كنت أمامك ! » ، وكتبت اليه «جولييت درويه» بعد ذلك بخمسة عشر عاما تقول له : « انك قد وجدت فى خطابى الاخير نفس تعبيراتك ، اذ أنها تصف حبى وصفا دقيقا حتى أننى لم أتردد فى استعمالها فى خطابى اليك !.. »

▭

واذا نحن وصلنا الى هذا الحد ، فلم تعد أمامنا والحالة هذه الا خطوة واحدة لنصل الى ميدان التمائم والسحر

يسأل الكاتب القصصى الكبير « جوستاف فلوبير » (مؤلف رواية مدام بوفارى) حبيبته « لويز كوليه » فيقول لها فى خطاب أرسله اليها : « أتعرفين يا حبيبتى فيم أفكر ؟.. انى أفكر فى مكتبك الذى تعملين فيه (وكانت لويز صحفية) وارى رأسك الشاحب وأنت تنظرين الى فى جد واهتمام وأنت جالسة على الارض بين ركبتى .. والمصباح .. آه ! .. لا تحطمى هذا المصباح أبدا ، بل أشعليه كل ليلة ثم فكرى فى ! .. ان لدى فكرة : عندى ماء من نهر « المسيسيبى » كان قد جلبه لوالدى أحد قباطنة البواخر ثم أهداه

اليه على أنه هدية قيمة .. أريدك حينما تفصلين شيئا تجدينه جميلا أن تغسلى يديك بهذا الماء ، أو أسكبه على صدرك لادشن به حبى .. »

ان تطور علم النفس ، وخاصة علم النفس التحليلى ، لم يغير أى شىء فى أصول خطابات الغرام وقوانين رسائل الحب التى مافتئت تكتب منذ العهود الغابرة ، بل ان « فرويد » نفسه ـ هذا العالم العملاق الذى ارتاد ومحص ميدان العقل الباطن لم يكن أمام حبيبته « مارتا بارنابز » الا محبا غيورا يخطب ود حبيبته ويلتمس رضاهـا .. لقد ظلت « مارتا » مخطوبة له مدى أربع سنوات قبل أن تصبح « مدام فرويد » وكان يرسل اليها فى كل يوم وردة ، وبلغ عدد رسائل الغرام التى أرسلها العالم العظيم الى « الاميرة » ـ كما كان يسميها ـ أكثر من تسعمائة ، كل واحدة منها تتراوح بين ١٢ ، ١٤ صفحة من الخط الصغير



شىء لا ينسى !

كانت للشاعر « الاعشى » مدائح فى « قيس بن معديكرب » فى العصر الجاهلى ، وقد قال احد الخلفاء الامويين لحفيد « قيس » : « ماذا اعطى جدك لشاعره الاعشى » ؟

فأجابه : « أعطاه أشياء أنسيتها »

فقال الخليفة : « ولكن « الاعشى » أعطاكم شيئا لا ينسى ! »

الحق قديم ...

كتب « عمر بن الخطاب » الى من تولى القضاء : « لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه الى رشدك ، أن ترجع الى الحق ، فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ... »



اسمه زراق خان ، وهو من أشهر واخطر الخارجين على القانون فى العصر الحديث . وكان مزيجا عجيبا من الخير والشر

وكان زراق خان ذا شجاعة لايتصورها العقل ، قاسيا قسوة غير معقولة . عانى منها آله الاقربون ، وجميع سكان الحدود الهندية . عندما جيش الجيوش واقتحم المدن والمواقع . وقد بلغ عدد الذين لقوا حتفهم بيديه شخصيا بضع مئات . ولكنه فى الوقت نفسه كان يوزع جانبا كبيرا من غنائمه على الفقراء . ويؤدى الصلاة فى مواقيتها وكان عطوفا على الكهول ، واكثر من ذلك انه ختم حياته بأن مات بطلا من أبطال الحرب العالمية الثانية !

وقد بدات مغامرات زراق خان العجيبة وهو فى سن الثامنة عشرة حينما عاد فى أجازة دراسية من الكلية العسكرية البريطانية فى نيودلهى الى قصر أبيه فى شمالى الهند ، ليجد أباه قد تزوج بزوجة رابعة ، حسناء كشميرية سوداء

المقلتين بديعة التكوين لم تبلغ السابعة عشرة . فجعل يغريها ، وساعدته هي على كتمان سرهما ، وكانت امه تحذره من مغبة هذا العمل ، ولكن السر اخيرا نما الى والده بطريقة ما .. ووالده شيخ القبيلة الغيور المستبد

ومن حسن طالع زراق خان ان والدته نبهته الى الخطر وساعدته على جمع كل ماوصلت اليه يده من الأموال والنفائس ، وضعها فى عربة ابيه ، ووضع معها عشيقته زوجة ابيه الصغرى التى تعلقت بعنقه ، وانطلق صوب الحدود الافغانية . ولكن العربة تحطمت بالقرب من مدينة اسماعيل خان . فادركه فرسان قبيلة ابيه المسلحون،وقتلوا الفتاة على الفور . اما زراق خان فضربوه حتى فقد الصواب بسياط من عروق الجمال . ثم جدعوا انفه ليكون ذلك آية باقية على انتهاكه حرمات رجل من بنى جلدته

وعثر عليه تاجر متجول ضمد جراحه ومنى به الى ان استرد عافيته وهربه عبر الجبال حيث انضم الى عصابة من قطاع الطرق . ظل فيها سنتين يشترك فى السطو على المزارع والقوافل الصغيرة . واتم تعلم فنون السطو لكى يغدو رئيس عصابة

ولما بلغ زراق خان سن الحادية والعشرين صار عملاقا ملتحيا ، طوله ١٩٠ سنتيمترا . قوى البنية يستطيع أن يصرع بيديه ثورا،حاذقا فى استعمال السيف واصابة الهدف بالمسدس والبندقية على السواء . ولديه معلومات حسنة عن التنظيم العسكرى ورسم الخطط مما كان تعلمه فى الكلية الحربية . ولغته الانجليزية ممتازة . ولكنه رغم كراهيته السياسية للانجليز كان يحب اسلوبهم فى الحياة والرياضة فنظم داخل قواته فى وقت من الاوقات ست فرق للعب البولو

ولم يكن ينغص على زراق خان سوى انفه المجدوع . فحرم على خدمه ان يتركوا بقربه اية مرآة ولكن فى بعض الاحيان تتمرد نفسه ويطلب ان يأتوه بمرآة ، ويظل يتفرس فى منظر انفه المشوه الى ان تغلى الدماء فى شرايينه ، ويهيج كالثور ، ويحطم الاثاث ، ويركل الخدم ويصرع كل من يحاول تهدئة ثائرته

فلو أراد عالم نفسانى ان يبحث عن مفتاح سلوك زراق خان الملتوى، لوجده حتما فى انفه المجدوع !

وبعد ان بلغ الحادية والعشرين بقليل خيل اليه أن زعيم العصابة يسخر بأنفه ، فتحداه للمقاتلة ، وضربه حتى أفقده رشده ، ثم قتله بصخرة تزن خمسين رطلا . وبذلك غدا هو الزعيم الاوحد

وفى سنة ١٩٢٧ ، حينما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، تجمع تحت قيادته جيش يزيد على الف قاطع طريق . قسمه الى فرق وكتائب وسرايا . وجميع ضباطه

كانت امامهم الدعوة مفتوحة لمبارزة الزعيم بالسيوف أو المسدسات أو بالملاكمة فى اى وقت يخيل لاحدهم انه اكفأ منه لتولى القيادة، ولكن قليلين جدا هم الذين استفادوا من تلك الرخصة . ومن استفادوا منها لم يجنوا الا الموت!

وكانت أهداف زراق خان ورجاله قطارات البضاعة والبريد والقوافل الكبرى والمدن التى بها بنوك. ولدى رجاله أوامر مشددة الا يسرقوا مسلما ، أو يعتدوا على امراة مسلمة أو طفل مسلم . وأن يوزعوا ربع الغنائم التى تصل الى ايديهم فى اى بلد على فقراء ذلك البلد نفسه . أما الهندوس فلا يظفرون باقل رحمة . ومن وقع منهم فى يد زراق خان قتله بيده . اما السبايا من النساء الهندوسيات ، فكان يحتفظ لنفسه بأجملهن بعد أن يعتنقن الاسلام . ويوزع الباقيات على رجاله أو يسخرهن فى أعمال الزراعة

وكانت نتيجة ذلك أن تجمع فى حريمه بقصره الكبير خمسون من أجمل الفتيات تحت تصرفه فى اية لحظة . وخمسون أخريات موزعات على معسكراته المتناثرة ليكن تحت تصرفه اذا اضطر لقضاء الليلة فى معسكر منها

وفى سنة ١٩٣٠ رصدت السلطات البريطانية فى الهند خمسة وعشرين الف جنيه استرلينى لمن يأتى بزراق خان حيا أو ميتا ، بعد أن لاقت جيوشها الامرين سنوات طويلة عند الحدود الشمالية ، فى الوقت الذى تغير فيه العصابات الافغانية على الحدود أيضا مما يجعل مؤخرة الجيوش البريطانية فى خطر مستمر

وأخذت الطائرات الانجليزية تضرب معسكرات زراق خان ومقر قيادته فى الجبل . ففرت معظم قواته الى بلاد الافغان ؛ ولحق بهم زراق خان هناك . وأخذ يعد معهم الخطة . وكان هدفه هذه المرة الهجوم على مدينة هندية قرب الحدود هى مورجا كيبزاى . وأصر زعيم عشيرة أفغانية تحت امرته ثلثمائة مقاتل على أن يشاركه فى الحملة والغنيمة . وقبل زراق خان ذلك الاقتراح ، وبيت فى نفسه امرا

ولم يكن أحد يعرف الطريق السرى الى تلك المدينة سوى زراق خان نفسه . فوجه الافغانى ورجاله وجهة أخرى صوب مدينة فورتساندمان . وهى موقع حصين للجيوش الانجليزية . وأرسل زراق خان فى الوقت نفسه أحد رجاله لينبه الانجليز . فاستقبل الافغانيون بنيران حامية ابادتهم . وفى الوقت نفسه كانت القوات قد سحبت من المدينة المنشودة لتعزيز الدفاع ضد الافغان المهاجمين ، فاستطاع زراق خان برجاله السبعمائة أن يقتحم مدينة مورجاكيبزاى وينهب خزائنها وفيها أكثر من مائتى ألف جنيه استرلينى . فشيد على الفور قصرا فخما جديدا عاش فيه عيشة ترف وبذخ . ونصب من نفسه طاغية لا يرحم

وفى سنة ١٩٣٩ قتل بيده أحد المسافرين . ثم اكتشف رجاله أن

القتيل « مللا » وهم طائفــة من الصلاح المقدسين لدى المسلمين فى الهند . فثار رجاله عليـه وكادوا يقتلونه لولا أنه ركن الى الفرار

وبعد سنتين ظهر زراق خان مرة اخرى على عتبة باب أبيـه وقد استحال شخصا آخر ، كسير القلب محطم النفس مهلهل الثياب ، لانه عاش عامين على صدقات الناس فى أزقة دلهى تكفيرا عن قتل المللا . وهو اليوم ينشد مغفـرة أبيـه وصفحه ...

وصفح أبوه عنه ، ولكن الانجليز قبضوا عليه والقوا به فى السجن ثم حكمت عليه المحاكم بالاعدام . وكان ذلك فى اواسط سنة ١٩٤٢

وعندئذ تقدم زراق خان باقتراح عجيب . قال لهم :

— ان الموت جزاء سهل مخفف لخطايا رجل مثلى . لماذا لاتتركوننى اكفر عن ذنوبى بمقاتلة اليابانيين ؟

وكان الموقف العسكرى متحرجا والهجوم اليابانى متوقع بين يوم وآخر . ولا يدرى أحد بالضبط أين تكون ضربتهم التالية. فقبل الضابط الانجليزى اقتراح زراق خان، وارسلوه الى بلاد الافغان جاسوسا لهم ، بعد ان قيدوه بكلمة الشرف . وبعـد اسابيع قليلة عاد اليهم بمعـلومات ثمينة جدا أفادت الطائرات الانجليزية فى تدمير التجمعات

وأرسـلوه بعد ذلك الى بورما لينضم الى فرق الكوماندوز . فأبلى بلاء حسنا . وسقط مرتين فى كمين يابانى ، ولكنه استطاع ان يقـاتل بشجاعة الى أن أفلت من الاسر فى المرتين

وكانت نهاية حياته غاية فى الغرابة سقط قائد فرقته الكابتن والاس فى يد اليابانيين ، وأخذوا يعـذبونه حيث وجدوه ليدلهم على مواقع الانجليز . فتصدى لهم زراق خان، فتحول اليابانيون اليه يعذبونه عذابا لا يتصوره عقل الى ان لفظ انفاسه فى اللحظة التى وصلت فيها النجدة لتنقذ القائد من موت محقق

ودفن زراق خان حيث استشهد ونقش والاس على قبره مرثية بليغة يشيد فيها بنخوته ووفائه وبسالته

(من مجلة « كورنت »)



فتحول اليابانيون اليه يعذبونه عذابا لا يتصوره عقـل



قال الكاتب الفرنسى المعروف اندريه موروا حين راعه انشغال الناس يوم وفاة ديكنز وتزاحمهم واجتماعهم: « هل مات مستر ديكنز حقا ، ام يحتفل الناس الليلة بعيد الميلاد ؟ » ...

كان عشاق الادب الانجليزى يرون فى ديكنز رجلا فاضلا قديسا حتى كتبت ابنته « كيتى » مقالا عن ابيها جاء فيه : « لقد احببت والدى .. اكثر مما احببت اى رجل فى العالم .. لقد كان رجلا شريرا .. شريرا جدا .. غير انى احبه .. »

هذه هى الكلمات التى انبعث بها صوت كيتى ابنته عن ابيها .. وهى فى التاسعة والثمانين من عمرها وتلقى بصرها عبر الماضى لتجمع من الاحداث مواكب الذكريات وقد جعلت وجهها امارات الشيخوخة .. واحنت ظهرها خطوب السنين ..

استمع الى كيتى وهى تقول عن ابيها : « قد تكون فضيحة أن اتحدث عن ديكنز وهجرته لزوجه واندفاعه فى طريق الغواية ، ومصاحبة الشيطان وتفانيه فى حب « الين ترنان » التى تدله بحبها أعواما طوالا وتزوجها وحملت منه أبنا مات وهو فى نضارة الصبا وزهرة العمر .. لقد حدث انى كنت أنقب مع مستر روبرتس وهو احد الناشرين المهتمين بروايات شارلز ديكنز فى مكتبته فعثرنا هى مذكرات تلقى اضواء على حياته الخاصة وقصة حبه وغرامه .. »

فى احدى مدائن انجلترا الصغيرة عرف ديكنز الكاتب الك عائلة

هوجارت حيث عاش هادئا ناعما في كنفها وعكف على كتابة كتابه المشهور (بكويك) وكان مستر هوجارت في ذلك الوقت قد تعدى الخمسين من عمره .. كان رجلا هادئا وقورا .. وكان رجلا اديبا فنانا فكان له حظ في الادب والموسيقا وكانت زوجته ابنة لجورج تومسون المؤرخ لحياة بيتهوفن وكان لمستر هوجارت ثلاث بنات أثرن تأثيرا كبيرا في حياة ديكنز . هن كاترين ، وماري وجورجينا ولقد كانت كاترين في العشرين من عمرها ، وماري في السادسة عشرة ، وجورجينا كانت ماتزال طفلة صغيرة وكانت الفتيات الثلاث بمثابة نسيم عطري يعطر حياته ويملأ صدره فتبعث فيه النشوة ، وتتسرب الى قلبه السعادة ـ تلك السعادة التي فقدها في حبه الاول

□

كان ديكنز ينظر حواليه فاذا بفتيات في عمر الزهور يحطنه من كل جانب ويملأن فراغ حياته ويشعرنه بالحنان المفقود ، والراحة الضائعة .. فهذه تنثر عليه ابتساماتها كاللآلىء ، وتلك ترنو اليه بنظرة قد جمعت كل آيات الفنون ، وتلك الفتاة الثالثة تثير فيه الخيالات الجميلة ، والاحلام السعيدة ، فيردد في اذنها بعض اشعار شكسبير وملتن ، ويسكب في مسمعها أناته الحائرة ونغماته الثائرة

ولكن ماذا ؟ ماله يستيقظ من نومه أرقا قلقا ؟ ماله يرنو الى كاترين فيحس في تقابل نظراتهما شيئا اقوى من النظرة ؟ ماله يقف ساهم الفكر حائر اللب ، معقود الكلمات كلما دنت منه ، او لاحت امامه ، او خطرت عابرة من حجرة الى حجرة ؟!

هل تراه حضر الى هذا المكان .. لينبثق في قلبه حب وليد ؟ هل تراه حضر الى هذه البقعة ليتدفق من فؤاده حب قوي جارف لا تقيده الحدود ولا السدود ؟ لقد كان ديكنز مترع الشباب تتدفق منه الحيوية ويسيل منه النشاط ويتوقد قلبه حساسية وشعورا ، فانقلب في غمضة عين محبا مستهاما

كان الليل يهبط على ديكنز وهو لا يزال يقظا في غرفته عاكفا على كتبه واوراقه فتاتي كاترين مشفقة عليه من السهر ، وتشاركه الله وتجاذبه اطراف الحديث

ونحن لا نستطيع أن نتصور كاترين اسمى واصدق من التصوير الذي وضعته لنا مسز كريستان في احدى رسائلها ، فهي تقول : وكانت كاترين فتاة لطيفة ، وادعة ذات اهداب جميلة طويلة ، وعيون ساحرة زرقاء تستلب أفئدة الرجال . أما الانف فدقيق والجبهة جميلة ، والفم صغير ، والشفاه لمياء ، تتراءى في شفتيها ابتسامة جميلة معبرة ، وتنساب من عينيها نظرات وسنانة حالمة ، غير ان ناحية العيب في وجهها ان ذقنها كانت تنحني سريعا الى

عنقها »

كانت تقف أمام المرآة تنضـح بالعطر فكانت تراود ذهن ديكنز فى هذه اللحظة افكار وخيالات .. ايه ايها العطر .. « لقد خرجت من ازهار عبقة جميلة مائسة . وستعلم حين تسكبك كاترين على جسمها الفـاتن انك رجعت الي أجمل من ازهارك ، واحلى من شذاك ، وانـك كالقديسين . تركوا الدنيا ولكنهم ظفروا بنعيم الجنة »

■

وكان شارلز ديكنز يرسـل الي صاحبته كاترين قصاصات من الورق يكتب فيها هذه الكلمات : « حياتي العزيزة .. ارسل اليك قبـلاتي الحارة ولثماتي الثائرة .. » وكان ديكنز يسال كاترين بعد تلاوة هذه القصاصات ان تصارحه رأيها فيه فكانت تجيب على سؤاله بابتسـامة معبرة .. وقد انتهى بهمـا الوله والحب الى عقد قرانهما فى ٢ ابريل عام ١٨٣٦

ولقد عاشت ماري اخت كاترين مع أسرة ديكنز مدة طويلة . غير أن القدر لم يشأ ان تدوم هذه الصحبة طويلا ، فقد حدث ان ذهب الثلاثة : ديكنز وكاترين وماري الى احـد المسارح فاصيبت ماري منذ هـذه الليلة بمرض خطير لم يمهلها سوى ساعات قلائل فطارت نفس ديكنز شعاعا من اجلها . وقد اثر هـذا الحادث فى نفس ديكنز تاثيرا بالغـا

وكتب يقول : « بعـد أن ماتت كان خيالها يراودني فى كل ليلة لشهـور عديدة » . ولا عجب فى هذا فقـد كان ديكنز رقيق الشعـور مرهف الحس تراوده الافـكار ، وتلازمه الاشباح ، وتؤثر فى حياته الصور ، وتتراءى فى كتاباته كما فعـل فى اوليفرتوست ، او دافيد كوبر فيلد ، ومأساة ماري اشبـه بمأساة نللي الصغيرة فى احدى رواياته

■

ولكن حياة ديكنز لم تمض هادئة وادعة كما كان يظن انما عصفت بها الاحداث واجتاحتها الخطوب، وثارت فى جوانبها الاعاصير ، وانقلب ذلـك العاشق الواله الذى يذوب عشقا فى حب كاترين شخصا باردا ثقيلا ، وانقلب الوجه المعشوق شيئا تافهـا بسيطا لا يأبه له ديكنز ولا يعيره التفاتا . وازاء هذا الفتور والنفور هجر ديكنز كاترين

حقا لقد كانت كاترين تحـاول دائما أن تثيره . وكان يحضر الى منزله فيجدها غارقة فى لعب النرد مع احد اقاربها فلا تحفل بوجـوده ولا تعبأ بحضوره . غير انها كانت فى اغلب الظن تفعل ذلك لاثارة حبـه وكان هو مشغـولا عنها بحب الين ترنان

ومهما يكن من شيء فقـد دبت القطيعة بين ديكنز وكاترين فهجرها. وعندما كانت كاترين تمـرض كان يبعث اليها من بيته برسالة لا تدل

على أنها رسالة زوج الى زوجة ، أو والد الى ولده ، انما تدل على انها رسالة رجل ثائر حائر ، عصفت به الاقدار واجتاحت رأسه الهواجس والظنون

لقد عرف ديكنز في الايام الاولى من زواجه انه رجل أعماه الحب وأساء الاختيار ، فلم تفهمه زوجته، ولم يفهم زوجته ، ولم يكن أهلا لها ولم تكن أهلا له ، وان كان له منها عشرة أبناء . فكتب يقول : « انني انا وكاترين ليس احدنا أهلا للاخر ، وليست هي وحدها التي جعلت حياتي ضيقة عسيرة بائسة بل انا ايضا فهي كما تعلم محبوبة لطيفة، ولكن واسفاه — ليست الرابطة بيننا وثيقة ، ولا العاطفة قوية . وربما تكون كاترين اكثر سعادة لو انها تزوجت رجلا آخر — فان الفراق بيننا لابد ان يكون ليسعد كل منا . ان قلبي يتقطع اربا اربا ، وان نفسي تطير شعاعا عليها ، حينما اعلم انها حزينة عندما أكون عليلا ، أومنحرف المزاج . ولكن ما الحيلة ، وليست هناك قوة على وجه الارض تستطيع ان تجعلها تفهمني أو تجعل مزاجها يساير مزاجي »

□

وهكذا عصفت الاقدار بحب كاترين وديكنز ، ويبس الثرى بينهما، ودبت القطيعة والجفاء بين روحيهما وقد يظن ظان أنها لم تكن تملك (الاسلحة الكافية) — لاستهواء ديكنز ، غير ان من يقرأ رأى ديكنز الاول ، وخطاباته اليها ، وتشبيبه بها ، يطرح هذا القول عرض الحائط

والواقع أن ديكنز كان من اللون المتقد . كان من الكتاب الذين يجدون اللذة في التغيير . والذين يؤثرون الثورة والانقلاب في ذروة المجد لمجرد خاطر طاف بأذهانهم او فكرة المت بعقولهم

كان ديكنز من الكتاب المفرطين في الشعور ، المسرفين في الادراك ومثل ذلك كان الكاتب تولستوى الذى كانت زوجته تحيا بلا خدم ولكنه دفعها ان تسامر عشرة أو اثنى عشر من اصدقائه تحت سقف واحد

ولما مات ديكنز عام ١٨٧٠ طار نبأ موته في الآفاق ، وروعت بموته انجلترا وامريكا وكندا واستراليا وغيرها من بلاد العالم .. فقد عرفه كل الناس حتى الصغار ، غير انطفلا صغيراً على حد تعبير الكاتب الفرنسى المعروف اندرية موروا راعه أنشغال الناس في هذا اليوم وتزاحمهم واجتماعهم فتساءل ، قائلا : « هل مات مستر ديكنز حقا ام يحتفل الناس الليلة بعيد الميلاد ؟! »



شارلز ديكنز

من قصص الجاسوسية



الراهب المغامر

ان الراهب فى اليونان غير منعزل عن الحياة العامة ، وفى اوقات خاصة يقف موقف الدفاع عن عقيدته وعن وطنه ، ويلتمس فى دفاعه كل السبل حتى ذلك السبيل العجيب الذى لجا اليه هذا الراهب

الراهب الجاسوس

وقع نظـــرى على الاب يوجين عندما أتوا بى الى سجن كالتسيا فى اثينا المحتلة ربيع عام ١٩٤٣ . فاذا لحية ضخمة وســط زحام الاسرى . واكبر الظن انى ما كنت

لاميزه لولا لون قفطانه . فمن عادة قساوسة الروم الارثوذكس ان يختاروا تلك القفاطين التي يرتدونها تحت الطيالس السود من لون مهيب، منها الازرق الداكن والاخضر القاتم والنبيذى والرمادى والقرمزى . ولكن قفطان الاب يوجين كان من لون ازرق صارخ يتنافى مع لحيته المهيبة التي تصل الى خاصرته ، وملامحه الوسيمة الرزينة وحاجبيه الكثيفين . ولكن عينيه الزرقاوين كانتا نموذجين للبراءة والصفاء

ولم يكن احد من نزلاء السجن يعلم على وجه التحقيق ماهى التهمة الموجهة الى ذلك الراهب . بيد ان الالسن كانت تتناقل اشاعات غريبة عن اعمال غامضة كانت تجرى فى ديره الخاص . فبعضهم يزعمون أن ذلك الدير كان ملاذا للاسرى الانجليز الهاربين من اليونان المحتلة. وغيرهم يعتقدون انه كان مركزا لعمليات الاتجار فى السوق السوداء على نطاق واسع . ولكن الآراء اتفقت على انه يملك ديرا خاصا به فى شمالى اليونان . وهو اول راهب اسمع فى حياتى انه يملك ديرا !

وكل أسير فى سجن كالتسيا له قصة يتظاهر بها امام النزلاء . لان الجميع ينتظرون التحقيق والمحاكمة ولا يأمنون أن يكون بين زملائهم فى السجن جواسيس من قبل الطليان . فلابد من اخفاء اسرارهم بقصص مصطنعة وكانت القصة التى اصطنعها الاب يوجين هى أغرب تلك القصص جميعا . لانه ظل من اول يوم الى آخر يوم مصرا على براءته ، وانه راح ضحية السحر الاسود . وكان يستدعى كل يوم تقريبا لسؤاله على يد بوليس المحور الرهيب . فكنا نتساءل على الدوام عن قدرته على التمسك بذلك الزعم امام ضرباتهم وفظاظتهم . ولكننا لم تلمح على جسده اثرا للضرب او العنف . واعنى بذلك صفحة وجهه . لان احدا منا لم ير مطلقا الاب يوجين عاريا . وهو شخصيا لم يكن يذكر شيئا عن اعمال التعذيب . فخطر لنا أنه ربما كان متعاونا مع سلطات المحور للتجسس علينا

ولم يكن من النادر أن يشترك قسيس يونانى فى المقاومة الوطنية ضد جيوش المحور . فجميع قساوسة اليونان اسهموا فى المقاومة حتى أن قسيسا جاوز السبعين من عمره دبر جنازة وهمية فى الكنيسة ووزع على الحاضرين الاسلحة المهربة . ثم نقلت الاسلحة داخل التابوت الخاوى عبر القرية والقسيس العجوز يتقدم الموكب مترنما بالاناشيد الجنائزية، والنسوة فى الخلف يولولن ويلطمن الخدود !

ولفت نظرى أن الاب يوجين كان يقيم فى زنزانة من اسوأ زنزانات سجن كالتسيا . وكان يرفض بكل اباء وشمم ان ينتقل الى الزنزانة رقم ١٧ التى تعتبر افخم الزنزانات واكثرها استكمالا لوسائل الراحة ، رغم تكرر الدعوات الموجهة اليه . وكان ينام دائما بعد ان يكون جميع

زملائه فى الزنزانة قد ناموا بوقت طويل ، ويستيقظ قبل يقظتهم بوقت طويل ايضا . ولم يره أحد يغتسل او يستحم مع المجموعة ، ومع ذلك كان دائما نظيفا انيقا . ولم نر أحدا يحضر لزيارته . ولا طعاما يأتيه من الخارج . ولم يسال احـدا أن يعطيه من طعامه . ولكنه لم يرفض مرة واحدة دعوة الى طعام

اما قدرته على الشراب فلم يكن لها حد . ولا يتأثر بكثرة مايشرب. وله قدرة على انشاد الاغنيـات الشعبية والترانيـل البيزنطيـة الكنسية بصوت جهورى عميـق جميل . ولم يكن يتورع عن ارتكاب الاكاذيب . ويحب النكتة .. ولكن من غير أن يسف بحيث يسـقط هيبته . ويروى من الحكايات والنوادر والملح مالا ينضب لمعين. وهو فى جميع أحاديثه يؤكد ايمانه بوجود السحر الابيض والاسود وانه من ارباب السحر الابيض !

وعرفت منه الكثير عن ماضيـه البعيد ، ولكنى فشلت فى استخلاص شيء عن سبب سجنه . فعلمت انه ولد فى تفليس ببلاد القوقاز . وهاجر منها عند قيام الثورة الشيوعية الى بلد من بلاد الاتراك . فلما قامت الحرب بين الترك واليونان سـنة ١٩٢٢ وحدثت المذابح المشـهورة فى الاناضول ، هرب مرة اخرى الى شمالى اليونان

وكان من عادة الاب يوجين وهو فى سجن كالتسيا ان يبكر بالحضور كل صـباح الى الزنزانة رقم ٧ لينقل الينا آخر الانباء التى تذيعه دار الاذاعة البريطانية ، ولا يدرى أحد حتى اليوم كيف كان يحصل على تلك الانباء . أجل كان منا من يحصلون على نتف من تلك الانباء مهربة فى سلال الغذاء . ولكن هذه السلال لم تكن تدخل السجن قبل الظهر

وذات يوم علمنـا أن تشرشل سيذيع خطابا خطيرا فى السـاعة الثامنة من صباح اليوم التـالى . وماحل الصباح حتى اقتحم علينا الاب يوجـين الزنزانة والحماسة تفيض من جوانحه ، وصاح بصوته الهادر :

ـ اتعلمون ماذا قال تشرشل فى خطابه الآن ؟ قال ان قاذفات القنابل التى تحلق فوق المانيـا بلغت من الكثرة والقوة ماجعل قذائفها المتفجرة ومصابيحها الكاشفة تحول ليـل ذلك البلد المنكود الى نهار دائم . فلو كانت المانيا جبلا من الجـرانيت فى حجم الهملايا لدكتها الطـائرات دكا !

ورقصت قلوبنا جميعا لهذا النبأ الضخم . ولكن هذا السرور لم يطل كثيرا . لان زميلنا فى السجن عمدة اثينا قال له ساخرا :

ـ لاشك ايهـا الاب الموقر انك استعنت بسحرك الابيض كى تعرف كلمات تشرشل قبل أن يتفوه بهـا فعلا . السـاعة الآن قبـل الثامنـة بدقائق !



ونظرنا فى ساعاتنا فوجدناها فعلا لم تبلغ الثامنة بعد . وأخرج الاب يوجين ساعته الكبيرة العتيقة من جيبه ببطء شديد . ونظرت من فوق كتفه فوجدتها تشير الى الثامنة والثلث . ولكن عقرب الثوانى كان ساكنا لا يتحرك . فلابد أن الساعة العتيقة توقفت فى الثامنة والثلث مساء . وهز الاب يوجين الساعة ورفعها الى أذنه ثم أحمر وجهه وتسلل خارجا واقفل الباب

ومنذ هذا اليوم صارت من العابنا المفضلة ان نكتشف اكاذيبه . ولكنى لا أذكر حادثة اخرى ضبطناه فيها متلبسا كتلك المرة . وذات يوم أخذ يحدثنا عن زيارته لجبل أرارات الذى يقال ان سفينة نوح رست فوقه ، وزعم لنا أنه عثر على بقايا الفلك مغروسة فى شعب فوق أعلى قمة هناك . وأخذ يصف باسهاب السفينة الضخمة ، ذاكرا إبعادها بالارقام الدقيقة فى ثقة تامة مما يقول حتى لقد بدأنا نصدقه ! وفجأة صاح أحدنا وكان مهندسا متخرجا فى كامبريدج :

ــ وما حجم المسامير يا ابانا ؟

فلم يتردد الاب يوجين ولم يتلعثم لحظة ، بل قال بثبات

ــ لقد نسيت ان أخبركم عن ذلك . لقد كانت أجزاء السفينة متماسكة بطريقة بارعة ، باوتاد من الخشب غاية فى الدقة . ولم يكن هناك مسمار واحد ، لسبب بسيط لابد أن تعرفوه يا أبنائى ، حتى من كان منكم متخرجا فى اكسفورد ، وهو أن الحديد لم يكن قد اخترع بعد فى زمن الطوفان !

وبعد قليل بدأت احداث الحرب تجرى بسرعة . فنجحت الحملة على شمالى افريقيا . وفى الوقت نفسه جرت محاكمتى مع زميلين لى من رجال المخابرات البريطانية وصدر الحكم علينا بالاعدام . فاقام الاسرى مادبة وداع لنا . وقام الاب يوجين بالصلاة ومنح البركات . وبعدها وضعت فى أيدينا وأرجلنا الاغلال توطئة لنقلنا الى افيروف اكبر وامنع سجون أثينا انتظارا لتنفيذ الاعدام او لتمضية السجن المؤبد ان صدر أمر بتخفيف الحكم

وفى اليوم العاشر من اغسطس لمحت الاب يوجين بين سجناء

افيروف فعلمت انه أذين وتنقـل لتمضية الحـكم . ورآنى من وراء القضبان التى تحيط بالفناء المخصص للمحكوم عليهم بالاعدام فأقبل نحوى وعجبت لان الحراس لم يمنعـوه وتركوه يدخل . فعانقنى وقبـل وجنتى وقال لى

ـ هذا يوم مبارك ! لقد حصلت من القائد على اذن باقامة قـداس عام فى الفناء

ـ بأية مناسبة يا ابانا ؟

ـ بمناسبة عيد صعود العذراء مريم !

ثم غمز بعينه وانصرف. فادركت أن فى الامر سرا لان ذلك العيد عند الارثوذكس يقع بعد اربعة ايام ! وبعد قليل جمعنا الحراس فى الفناء الكبير . وجميع الحراس والضباط والقائد من الطليان، وكانوا متشوقين لسماع قداس يونانى على الطريقة البيزنطية . ورأيت منصـة عالية فوقها مذبح ومقعد للقائد الايطالى . والاب يوجين مرتديا حلة كهنوتيـة مزركشة بالقصب وشرع على الفور فى مراسم القداس باللغة اليونانيـة القديمة . ثم ارتفع صوته بترنيمة مشهورة فى مدح العذراء . وعقدت الدهشة السنتنا لانه جعل يشطرها بانباء مثيرة عن نزول الحلفـاء فى ايطاليا وهـرب موسولينى وتأليف الماريشال بادوليو للحكومة الجديدة لعقد الصلح . وتصببت جباهنا عرقا خوفا من افتضاح الحيلة. ولكن الاب يوجين استمر يهدر فى نغمات كنسية بذلك الخليط من السياسة والصلاة وعيناه تلمعان . فرقصت قلوبنا واوشكنا ان نرقص باقدامنا ونتعانق !

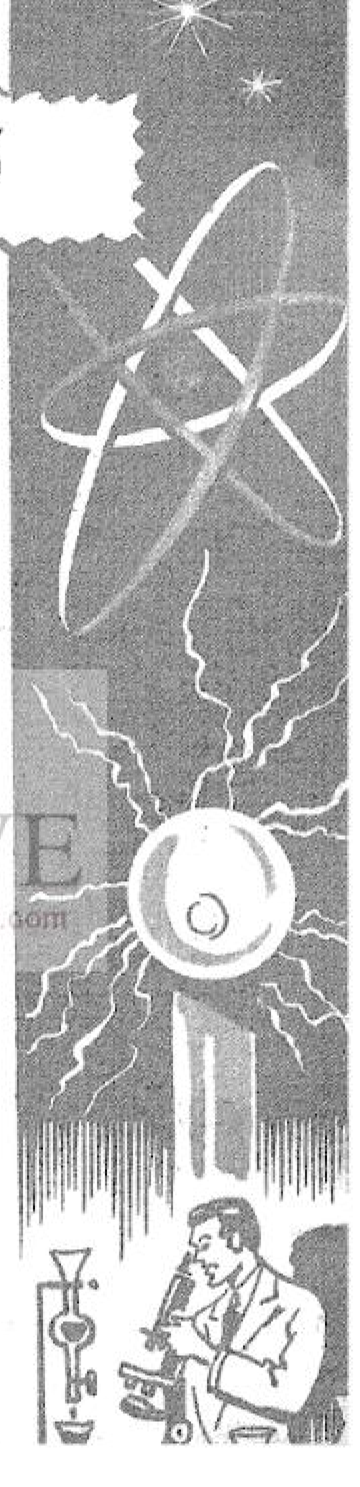
وبعد شهر تهاوت الجبهة الايطالية فى اليونان وانسحبوا من السجن . وقبل استيلاء الالمان على السـجن بساعات تمكنت من الهرب مع فريق من صحابى ولم يقع نظرى على الاب يوجين بعدها ولم اسمع عنه شيئا الى أن تم التحرير وذهبت لزيارة مدير مكتب المخابرات الانجليزى . ووجدته ثائرا . فلما استوضـحته سبب ثورته أرانى بطاقة شـخصية تحمل صورة شـخص ومختـومة بختم انجليزى «فى خدمة المخابرات» وتحتها امضاء مصـدر البطـاقة « يوجين »

وذكر لى الضابط أن راهبا غامضا أصدر الآلاف من هذه البطـاقات المزورة . فكان كل يونانى يحصل على أحداها يظن نفسه بطلا يعمل على هزيمة المحور . وبذلك ارتفعت الروح المعنوية فى اليونان . بيد أن ذلك سبب ارتباكا لرجال المخابرات الحقيقيين . وتسبب فى اعدام مئات من الابرياء الذين ضبطت معهم هذه البطاقات . وختم الضابط قوله :

ـ لقد لقى هذا المغامر الخيالى جزاءه . أعـدمه الالمان . ولو لم يعدموه لاعدمناه نحن الانجليز لما سببه بشبكته الجاسوسية المزعومة من مآزق وخسـائر لجاسوسيتنا الحقيقية

(عن مجـلة « هاربر »)

موكب العلم .. والعالم



مساعد مدرس الكتروني !

ابتكر أحد الاخصائيين «مصححا» الكترونيا يعاون المدرسين وأساتذة الجامعات في تصحيح اجابات الطلبة ، يتلخص عمله فيما يلي:

يثبت في الجانب السفلي من ذراع مقعد كل طالب زر أحمر وآخر أزرق ، بحيث اذا ضغط الطالب على أحد الزرين لايرى الطلبة الآخرون أى زر ضغط عليه · وأمام المحاضر لوحة صغيرة عليها عدد من الازرار ، وعلى الحائط لوحة بها مجموعة من العدادات الكهربائية ، كل عداد منها يخصص لطالب معين في الفصل ومتصل بطريقة خاصة بمقعد الطالب

ويستطيع المحاضر أثناء الدرس أن يوجه للطلبة أى سؤال قدير توجيهه اليهم ، فيضغط الطالب على الزر الاحمر اذا كان الجواب «نعم» وعلى الزر الازرق اذا كان الجواب « لا » ، ولا يترك للطالب سوى وقت قصير كي يقرر فيه اجابته · ثم يضغط المدرس في اللوحة التى أمامه على الزر الذى يظهر الاجابة الصحيحة ، واذا بعداد كل طالب يدور مسجلا له « نمرة » اذا كانت اجابته صحيحة ولا يسجل له شيئا اذا كانت اجابته خاطئة · وفى نهاية الفترة الدراسية يبين العداد مجموع الاجابات الصحيحة للطالب أثناء المحاضرات

وعلى الرغم من أن هذا الجهاز الاوتوماتيكي يصلح فقط لتصحيح الاسئلة التى تكون الاجابة عنها « نعم » أو « لا » ، فمما لا شك فيه أنه يوفر على المدرس وقتا كبيرا ، ويحفز الطلبة على متابعة الدرس أثناء القائه

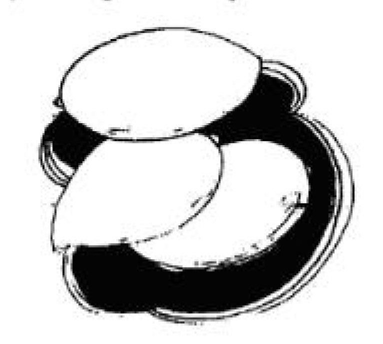
هذا باب يطوف بك العالم وينقل اليك ما حققه العلم من اكتشافات واطرف انباء العالم واحداثه

ملكة الفاكهة

يطلق كثير من الاخصائيين على فاكهة « المانجو » ملكة الفاكهة فى البلاد الحارة

ويعتقد أنها أول فاكهة خصصت لزراعة أشجارها مساحات واسعة وقد جاء فى احدى الوثائق التاريخية أن امبراطورا فى الهند أمر فى أوائل عام ١٥٠٠ م بزراعة مائة الف شجرة من أشجار المانجو فى بستان واحد من بساتينه • ويقال أن « بوذا » أهدى ـ قبل ذلك بكثير ـ بستانا من المانجو حتى يستظل بأشجارها الضخمة الجميلة أثناء النهار ، ويعيش على فاكهتها الشهية • وما تزال تحتل أشجار المانجو فى بلاد الهند مكانة خاصة فى نفوس الكثيرين ، حتى أنهم يقيمون حفلات يدعى اليها جميع الاقارب والاصدقاء عند اقتطاف أول ثمرة من ثمار أشجار هذه الفاكهة والمرجح أن جميع أنواع هذه الفاكهة ـ وقد بلغت حوالى الالف نوع ـ قد تطورت من نوع كان ينمو تلقائيا فى سهول جبال الهيمالايا ومن الهيمالايا انتقلت ، المانجو الى جميع البلاد الحارة

ولان الانواع الحالية من ثمار المانجو سريعة العطب ، فانها لا تصدر الا نادرا ، وعن طريق الطائرات ، الى البلاد التى لا تزرع فيها • ولكن الاخصائيين نجحوا أخيرا فى استنبات انواع من اشجار « المانجو » لثمارها قشور سميكة تقاوم ما تتعرض له من مؤثرات أثناء الشحن ، كما انها اذا حفظت فى الثلاجات تظل وقتا طويلا دون أن تصاب بعطب



حقن فى بنادق !

تثور الحيوانات وتنتابها نوبات هياج شديد عندما تصاب ببعض الامراض ، أو عندما تتعرض لالم شديد لسبب أو لآخر ، وقد جربت

بنجاح العقاقير المهدئة التى تعطى للانسان فى حالات مشابهة ، ولكن العقبة كانت فى تقديم هذه العقاقير للحيوانات ، وحفزها على تناولها أثناء هذه النوبات . لقد كانت تخلط بقدر من الطعام الذى تقبل عليه هذه الحيوانات ثم تلقى اليها ، فاذا أكلتها هدأت وعادت الى حالتها الطبيعية ، ولكنها كثيرا ما تمتنع عن الاكل ، فانها أثناء هذه النوبات لاتكاد ترى ما يلقى اليها من طعام كما أن أحدا لا يستطيع أن يقترب منها . وقد ابتكر أخيرا جهازا شبه بالبندقية تركب فيه حقنة تملأ بالعقار ، وخلف العقار خزان مملوء بغاز يتمدد تدريجيا نتيجة دفع البندقية بحيث أنه حالما تصل الحقنة الى الحيوان ـ بعد اطلاقها من البندقية ـ وتنغرس ابرتها فى جلده ، يضغط الغاز على الدواء الذى بداخلها فيندفع الى جسم الحيوان

عباد الشمس

يتكهن علماء النبات والاخصائيون فى التغذية بأن النبات المعروف باسم عباد الشمس « Sunflower » قد يمد الانسان فى المستقبل القريب بأنواع من الاطعمة التى تحتوى على نسب عالية من العناصر المغذية فزهوره وبذوره قد تدخل فى صناعة الخبز ، والسلطات ، والمكرونة ، والحلوى وما اليها ، فقد اكتشف



العلماء أن بذور انواع مختلفة من هذا النبات تحتوى على نسبة عالية من البروتينات ، تزيد عما يحتوى عليه فول الصويا المعروف باحتوائه على نسبة كبيرة منها ، كما انها تحتوى على نسب كبيرة من الكلسيوم وفيتامين ب وفيتامين د . وهى اذ تعصر تنتج زيتا يمكن استعماله فى الطهى أو فى اعداد السلطات أو كمادة اساسية لصناعة نوع من المسلى الصناعى يمتاز بامكان حفظه مدة طويلة دون أن يفسد والبذور اذ تطحن تنتج دقيقا نحو ٥٠ ٪ منه بروتين ، وبه نسب عالية من الحديد لايماثله فيها سوى « صفار » البيض والكبدة . وقد أجريت تجارب على سيقان هذا النبات ، فوجد انها تصلح ـ بعد تجفيفها ـ وقودا طيبا ، كما تصلح لصناعة نوع ممتاز من الورق الابيض

ومن حسن الحظ أن هذا النبات ينمو فى أى مكان ـ وان كان نموه يعاق كثيرا اذا حرم من ضوء الشمس . ولذلك فان العلماء يعملون

الآن على تعميم زراعته ويعقدون عليه آمالا كباراً في سد النقص الملحوظ في المواد الغذائية في البلدان الفقيرة المزدحمة بالسكان

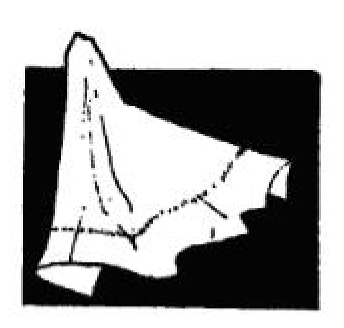
ماذا يسبب النعاس ؟

من النظريات الشائعة عن سبب النعاس بعد تناول الطعام أنه نتيجة تحول الدم من المخ الى الجهاز الهضمي ، ولكن اخصائيا في جامعة « أوهيو » بأمريكا أجرى دراسات عديدة في هذه الناحية دللت على خطأ هذه النظرية ، فالدم بعد تناول الطعام يجري في جميع أعضاء الجسم بسرعة اكبر ، ولا يزداد الدم في الجهاز الهضمي ـ كما كان يظن من قبل ـ على حساب الاعضاء الاخرى ، بل ان جميع الاعضاء تستفيد من هذه الزيادة التي تصحب عملية الهضم

وعندما يزود المخ بنسبة أكبر من الدم فان نشاطه يقل ويفتر ، ويبدو على المرء الميل للنعاس · ونفس الأثر يحدث بعد شرب الخمور او تعاطي بعض مشتقات الافيون ، لانها تزيد نسبة الدم الواصل للمخ ، وذلك بعكس القهوة والشاي فانهما يقللان كمية الدم الواصلة للمخ ، وبالتالي يساعدان على مقاومة الميل للنعاس

مناديل تقتل البكتريا !

سوف تعرض قريبا « مناديل » قاتلة للميكروبات ، فهي تحتوي على مادة مطهرة ، لايضعف أثرها بمرور الزمن ، يطلق عليها اسم «افرسان» · وهي اذ تثبت بالياف النسيج تجعل جزئياته قاتلة لجميع



الميكروبات · ويقال أن هذه المادة لا رائحة لها ولا تؤثر في لون النسيج ، وتقاوم أثر الغلي والغسل بالمساحيق التي تستعمل لتبييض الاقمشة · ويعتزم مبتكرو هذه المادة استعمالها في صناعة أغطية أسرة المستشفيات والمناشف ، وكذلك الملابس الداخلية وملابس العمل

دهان بودرة !

ابتكرت احدى المؤسسات الصناعية دهانا يعرض في صورة مسحوق · ولاستعماله يسخن الجسم المطلوب دهانه ، ثم يوضع في اناء ملىء بالدهان المسحوق ، فتصهر سخونة الجسم ذرات المسحوق ويلتصق به · وقد ابتكر هذا الدهان الجديد لاستعماله للاجسام الدقيقة التي لا يسهل دهانها بالطرق العادية مثل الزنبركات وما شابهها

مطاط سائل !

ابتكر أحد العلماء مستحضرا يعتمد في تركيبه على مادة « السليكون » يمكن أن يستعمله المحققون في نقل آثار بصمات

الاصابع وأثار القدمين وما شابهها بطريقة دقيقة ، وعلى رقائق غيرقابلة للكسر • فالسائل اذ يصب على أي جسم يتجمد في صورة مطاط في أقل من خمس دقائق • ولانه سائل فانه ينفذ الى الاخاديد الدقيقة على سطح الجسم معطيا صورةدقيقة لأي أثر فوق هذا السطح • وهذا المطاط السائل يتجمد على السطح الذي يصب فوقه مهما كانت درجة الحرارة مما يجعله صالحا لنقل البصمات وأثار القدمين في أي مكان وفي أي وقت

ويمكن استعمال هذا السائل ايضا في تحقيق شخصيات ضحايا الحوادث ، اذ يمكن بواسطته عمل « قوالب » دقيقة لاعضاء الجسم البشري ، وحتى للخدوش والتشويهات

هيكل سيارة لايتحطم

ابتكرت اخيرا احدى المؤسسات طريقة لصنع هيكل سيارة ـ يتألف من ثلاثة أجزاء ـ لايتحطم اطلاقا • وكل ما يحدث اذا اصطدمت هذه السيارة في حادث صدمة شديدة أن هذه الاجزاء قد تتفكك ولكنها لاتتأثر قط • أنها تصنع من نوع خاص من البلاستيك ومن رقائق من القماش الزجاجي • ويحاط جانب من الهيكل بجدارين يملأ الفراغ بينهما بزبد من بلاستيك مسلح •

ويعطي مثل هذا الهيكل بسبب شفافيته أفضل اضاءة لسائق السيارة

زهور طبيعية بالوان صناعية

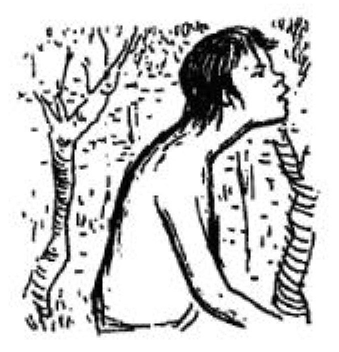
منذ أن عرف الانسان قيمة الزهور وهو يحاول أن يحافظ عليها أطول مدة ممكنة وهي نضرة محتفظة بلونها ، وقد أدرك المرء انه لكي يحقق ذلك ، لابد له من أن يغذيها مع الابطاء في سرعة تمثيلها لهذا الغذاء، وأن يحتفظ بالاوعية الموصلة للغذاء مفتوحة حتى لاتتكاثر بداخلها أحياء تسدها • وقد نجح المعنيون بالزهور في تحقيق ذلك الى حد ما ، فأطالوا عمر الزهور من ستة أيام الى اثنى عشر يوما عند وضعها في الماء والى اربعة عشر يوما في المحاليل الكيميائية

وقد ابتكر أخيرا كيميائي من جامعة « كولورادو » طريقة اطال بها عمر الزهور الى ٢٨ يوما ، وامكن اطالة عمر أنواع معينة الى ٣٨ يوما، وذلك باستعمال ثلاثة انواع من الكيميائيات لم يعلن عن حقيقة تركيبها • ولكنه فضلا عن ذلك ، ابتكر طريقة يمتص بها ساق الزهرة صبغة توزع توزيعا طبيعيا متعادلا على سطح الزهرة ، فيزداد لونها نضارة ، بل أنه أحيانا يغيرها تغييرا يزيدها جمالا ويضفي عليها طابع الندرة والجاذبية

الطريق الوعر !

ماذا يحفز الشاب على اختيار طريق التخصص فى العلوم ..ذلك الطريق الوعر الشاق؟..هل هو الاطلاع على أخبار التقدم العلمى ورغبته فى تقليد المكتشفين والمخترعين ؟ أم هل هو نتيجة تأثير الوالدين عليه ؟ .. ان هذين الجانبين لهما أهميتهما فى تحديد هذا الاتجاه، ولكنه من المرجح أيضا ان يكون نتيجة تحد لفشل صادف الشاب فى المراحل الاولى من حياته ، أو نتيجة توجيه مدرسى العلوم فى المرحلة الثانوية

لقد أجرى استفتاء لـ ١٦٩ عالما معروفا ، ظهر منه أن عددا كبيرا جاهدوا جهادا كبيرا فى هذه الناحية كرد فعل لالوان من الفشل فى حداثتهم ، فالبعض فشلوا فى كسب الاصدقاء والاندماج فى المجتمع الذى يعيشون فيه ، والبعض تعرضوا لمتاعب عائلية أو كانوا ينتمون لاقليات . ولكن تشجيع الاساتذة فى مرحلة التعليم الثانوية كان من أهم العوامل للاتجاه لدراسة العلوم ، فقد دلت هذه الدراسة على أنه اذا لم يوجه اهتمام الطالب للناحية العلمية قبل اتمام الدراسة الثانوية ، فالغالب انه لن يهتم بهذه الناحية بعد ذلك !



الاطفال الذئاب !

يذاع من وقت لآخر نبأ طفل بشرى وجد فى منطقة تكثر بها الغابات، وهو يمشى على يديه ورجليه، وكثيرا ما يفسر ذلك على ان ذئبة اختطفت الطفل ورعته وربته كما تربى أولادها . ولكن ذلك لم يتحقق علميا حتى الآن .وقد نشر أحد كبار العلماء أخيرا بحثا ضمنه ان الاوصاف المبالغ فيها التى تنسب لامثال هؤلاء الاطفال ، تنطبق على لفيف منهم مصابين بمرض عقلى يحفزهم على الابتعاد عن العالم . ومن أعراض المرض الصراخ ، والعويل ،والزحف على اليدين والساقين ، واللجوء الى العض عند الغضب . وهم يفضلون الاختفاء فى « كهف » اثناء النهار يصنعونه من البطاطين ، ولكنهم فى الليل يتجولون فى الطرقات والاماكن المهجورة . وعلى الرغم من أنه لم يعرف سبب هذا المرض ، فالغالب انه نتيجة الشعور بكراهية الوالدين لهم مع حساسية مرهفة للغاية !



بقلم المقدم جمال السيد

١ ـ تكمن فيها مناجم هائلة من الفحم واليورانيوم والذهب
٢ ـ فيها عشرات المعادن واكبر مصايد للأسماك
٣ ـ بها اعظم مصايد الحيتان الزرقاء

في الوقت الذى يتقاذف فيـه ساسة الغـرب والشرق بالتهم ، يطيب للمرء أن يرى فئة قليـلة فيها الشرقي والغربي ، وفيهـا التابع وفيها المحايد ، قد تجمعت على غرض واحد هو الغزو .. نعم ولكنه غزو سلمي ، يهدف الى خير البشرية ويفتح أمامها آفاقا تقدمية صاعدة . انه غزو القارة البيضاء

" Antarctica " آخر ما تبقى على وجه الارض من العصر الجليـدى (عصر البليستوسين) (Pleistocene)

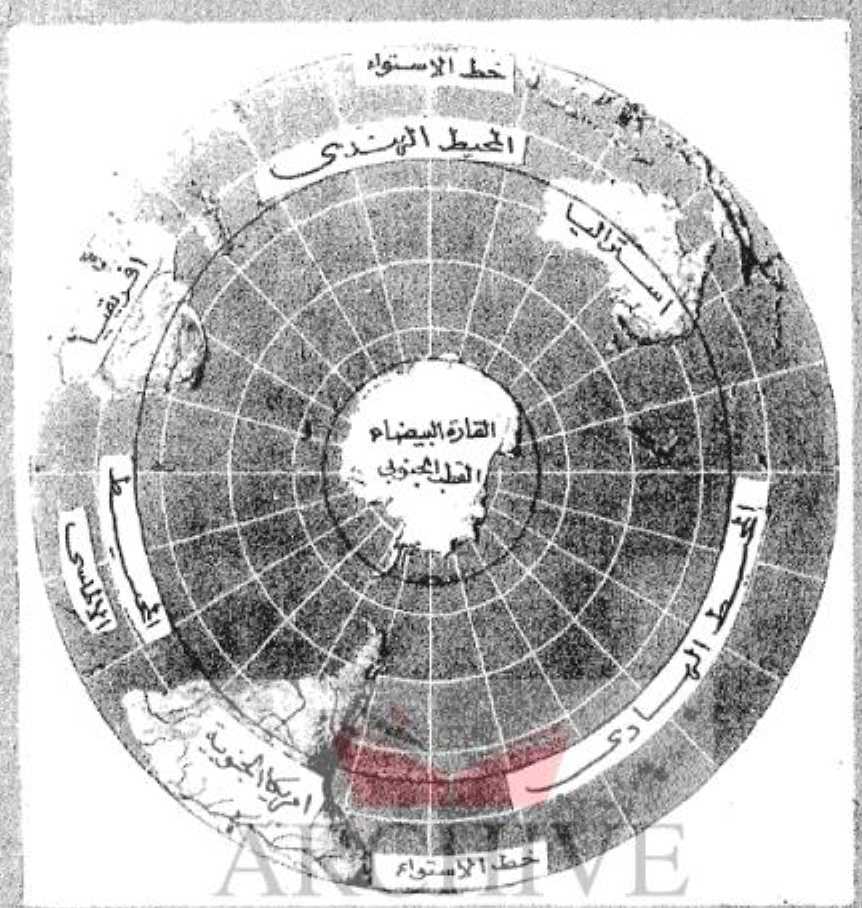
ففى ذلك العصر كان الجليد يغطى وجه الارض كلها ، ثم راح ينحسر عنها حتى تركز أخيرا حول القطبين . أما القطب الشمالى فيقع فى محيط مائى عميق وأما الجنوبى فيقع فى منتصف قارة ضخمة، تبلغ مساحتها عشرة مـلايين كيلو متر مربع أى أكبر من القارة الاوروبية . وهناك فى تلك القارة تكمن مناجم هائـلة من الفحم واليورانيوم والـذهب وعشرات المعادن الاخرى وحولها فى المحيط المتجمد الجنوبى توجد أكبر مصايد للحيتان فى العالم ، ومنهـا الحوت الازرق الذى يزن حوالى ١٥٠ طنا ، ويبلغ طوله ٢١ مترا هذا عدا الاسماك التى تسير فى أسراب، قد يصل طول كل سرب الى عدة كيلو مترات وفوق ذلك فان القارة البيضاء تعد مخزنا مثاليا لفائض الطعام فى العالم وقد ظلت تلك الكنوز الهائلة بعيدة عن متناول البشر ، بسبب قسـوة مناخ القارة . ففى شتائها الطويل يسود الظلام الحالك وتصل درجة



الحرارة الى ٨٥ مئوية تحت الصفر. أما صيفها المضيء فلا تتجاوز فيه درجة الحرارة الصفر بأى حال . وأما مناجمها الهائلة فانها ترقد تحت غطاء من الجليد ، يصل سمكه الى ثلاثة كيلو مترات

وكان النرويجيون هم الوحيدون الذين جرءوا على انتزاع بعض خيرات الجنوب المتجمد اذ بنوا أسطولا كبيرا لصيد الحيتان وراحوا يصيدونها وينقلونها الى مصانع عائمة ، تصاحب ذلك الاسطول ، وفى تلك المصانع يتم استخراج زيت كبد الحوت الثمين ، وتعبئة لحمه فى العلب، وطحن عظامه لكى تستخدم كمخصب ثمين للارض ولصناعة الازرار والغراء ، ثم يعودون الى النرويج ويصدرون تلك المنتجات الى كافة بلدان العالم

ويكفى للدلالة على ضخامة الثروة التى يجنيها النرويجيون من هناك ، أن نذكر أن الكابتن كرويدر الالمانى استطاع بسفينته المسلحة «البنجوين» ان يحصل فى غارة واحدة شنها على اسطول الصيد النرويجى فى عام ١٩٤٠ على ٢٢ الف طن من زيت الحوت ، وتلك كمية توازى



صورة النصف الشمالى من الكرة الارضية ، والقطب
المتجمد الشمالى ، وقد احاطت به الارض من كل الجهات



صورة النصف الجنوبي من الكرة الارضية ، والقطب ا.جيد الجنوبي وقد أحاطت به المياه من كل الجهات

انتاج المانيا كلها من السمن الصناعي لعدة شهور . لكل ذلك كان غزو تلك القارة هو مطمح الكثيرين من المستكشفين

وتبدأ قصة استكشاف القارة البيضاء بعبور الكابتن كوك (مكتشف استراليا) للدائرة القطبية الجنوبية فى عام ١٧٧٣ ، ثم تلاه الكابتن روس (سيرجيمس كلارك روس) الذى اكتشف القارة ذاتها فى عام ١٨٤١ . ومنذ ذلك الوقت دار حولها سباق استكشافي كبير ، فاندفع اليها من عتاة المستكشفين : كابتن سكوت الذى فقد حياته من فرط الجوع والبرد هو وأربعة من زملائه فى رحلة العودة من القطب الجنوبى عام ١٨١٢ ، وأموندسن(١) الذى قهر سكوت فى التسلل الى القطب الجنوبى ، ووصل اليه فى ١٦ ديسمبر عام ١٩١١ أى قبل سكوت باربعين يوما فقط ، وشاكلتون الذى فشل فى الوصول الى القطب الجنوبى ، وسير هيوبرت ويلكنز (٢) ، وجيرلاخ وشاركوت وبيرد وكثيرون غيرهم

وفى عام ١٩٥٤ كتلت البشرية جهودها ، وقررت أن تجعل من غزو القارة البيضاء هدفا اجماعيا ، وحددت له موعدا هو يوليو عام ١٩٥٧

وفى ذلك التاريخ تجمع علماء ١٢ دولة (بلجيكا والنرويج واستراليا ونيوزيلنده والارجنتين وجنوبى افريقيا وشيلى وفرنسا (٣) واليابان وبريطانيا وروسيا (٤) والولايات المتحدة) . ولقد شد هؤلاء العلماء رحالهم وأقاموا فى ٣٧ محطة فى القارة ، وقضوا هنالك ستة أشهر يدرسون الغاز هذه القارة العجيبة ، ويرسمون خرائط جغرافية ومغناطيسية (وهذه الاخيرة هامة جدا للملاحة البحرية والجوية ، بعد أن ثبت أن تيارات حقل الارض المغناطيسى تتغير من سنة لاخرى وأن معظم العواصف المغناطيسية التى تؤثر فى أمواج اللاسلكى تصدر من هناك) ، ويجمعون معلومات هامة للعلوم الآتية : طبقات الارض، الارصاد الجوية ، التعدين ، الطبيعة الاحياء ، الحيوان، الفلك ، الكيمياء، الكهرمغناطيسية ، الاوقيانوسية ، طبقات الجو

هذا فوق دراستهم لامكانيات استخدام القارة كمخزن تبريد هائل للفائض من الطعام فى العالم

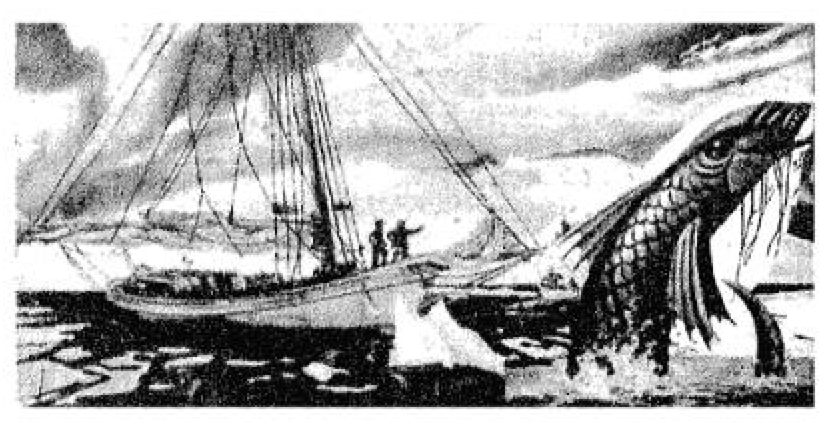
ومن بين تلك المحاولات الجبارة لغزو القارة البيضاء انطلقت محاولة رائعة ، قام بها حفنة من الرجال فى ٢٤ نوفمبر عام ١٩٥٧ لاختراق القارة

(١) خدع أموندسن العالم كله يومها ، اذ اعلن أنه متجه ببعثته نحو القطب الشمالى ثم غير طريقه فجأة واتجه الى القطب الجنوبى وسبق سكوت اليه

(٢) توفى سير هيوبرت ويلكنز فى سبتمبر عام ١٩٥٨ وأوصى بالقاء رفاته على القطب الشمالى . وقد قامت الغواصة الذرية سكيت بتلك المهمة فى ١٧ مارس عام ١٩٥٩

(٣) انظر هلال مايو عام ١٩٥٩ ص ٦٢

(٤) استطاع العلماء الروس أن يزرعوا بعض الخضروات الممتازة هناك داخل صناديق مكيفة الهواء



من الشرق الى الغرب لاول مرة في تاريخها .وقد استغرقت تلك الرحلة ٩٨ يوما قطعت فيها البعثة ٢١٥٨ ميلا انجليزيا (١) .وتبدأ قصة تلك الرحلة بحديث عابر بين الرحالة الجيولوجى الدكتور فيفيان فوخس (وهو غير فوحس عالم الذرة الذى باع أسرار القنبلة الذرية لروسيا) وبين زميله راى ادى في خيمة داخل القارة عام ١٩٥٠ ، وكانا حينذاك يقومان بعملية ارصاد جوية بتكليف من محافظ جزر فولكلند (٢) . فقد قال فوخس يوما لزميله : « لم لايعبر أحدهم القارة من جانب لآخر ما دام الوصول الى القطب قد أصبح ممكنا ؟ » .

وعندما عاد فوخس الى وطنه لم ينس فكرته فأبرق بها الى الجمعية الجغرافية ، والى محافظ جزر فولكلند ، والى عميد كلية سانت جورج بكامبردج

وفى عام ١٩٥٥ بدأ يروج لفكرته ويطلب العون ، فاستجابت له حكومته ،وقدم له كثير من المؤسسات العلمية والصناعية المال اللازم للرحلة ، وزودته حكومة نيوزيلنده بالسير ادموند هيلارى (قاهر قمة ايفرست عام ١٩٥٤) لكى يرأس البعثة التى تقرر أن تجهز لمخازن المؤن فى المرحلة الاخيرة لرحلته . وفى ٢٤ نوفمبر عام ١٩٥٧ بدأ رحلته (من الشرق الى الغرب عبر القطب) من قاعدة شاكلتون (٣) التى تقع على بحر ويدل (جنوبى الاطلنطى) . وكانت البعثة التى قادها تتكون من ثمانية رجال وخمس عربات بجنزير ـ تجر كل منها وراءها زحافة محملة بالمؤن والوقود ـ وقد أطلق فوخس

(١) الميل الانجليزى يساوى ٠٫٨٧ من الميل العادى

(٢) تشتهر تلك الجزر بموقعة بحرية هائلة تحطم فيها أسطول أعالى البحار الالمانى (وكان بقيادة الادميرال جراف سبى) فى خلال الحرب العالمية الاولى

(٣) حاول الرحالة شاكلتون ان يقوم برحلة مماثلة (لعبور القارة) فى عام ١٩٠٩ ولكن مصاعب الثلج والجليد الهائلة أجبرته على العودة قبل ان يبلغ القطب . وقد كرر تلك المحاولة فى عام ١٩١٤ وفشل أيضا

وزملاؤه على العربات أسماء فى بعضها فكاهة مثل « روك أندرول » و « المقلقلة » ، وقد لحق بالبعثة بعد ذلك سربان من كلاب الاسكيمو وعلى طول الطريق واجهت البعثة عقبات شديدة ، لعل أخطرها كان هو كهوف الثلج المغطاة بسطوح ثلجية تتفاوت شدة وضعفا . وان أقل غلطة فى جس تلك السطوح المخادعة لتكفى لاختفاء عمارة ضخمة بحجم مبنى المجمع فى ثوان فى جوف تلك الكهوف الواسعة ، التى قد يصل عمق الواحد منها الى أكثر من كيلو متر . وقد شبه أحد أعضاء البعثة اجتياز تلك السطوح المخادعة باجتياز حقل الغام مع فارق واحد هو أنه فى الحالة الثانية يخشى المرء انفجارا يقذف به ممزقا الى أعلى ،أما فى الحالة الاولى فهو يخشى من انهيار يقبره الى الابد . اما رداءة الطقس فيكفى فيها القول بان الرياح المحملة بندف الثلج قد تصل سرعتها الى ١٠٠ كيلو متر فى الساعة ، وان درجة الحرارة قد تصل الى ٨٥ درجة تحت الصفر

أما الفرود الثلجية فقد بلغ من ملاستها وصلابتها أنها أجبرت البعثة على السير أحيانا بسرعة ١٠ أميال فى اليوم

وفى القارة توجد حالة جوية تدعى « البياض المتالق » وفيهايبدو كأن السماء اختلطت بالارض فلا يكاد المرء يميز فيها أرضا من سماء ويعجز عن أن يرى لأبعد من بضع ياردات ، لدرجة أن فوخس كاديفقد طريقه تماما ذات يوم عندما دار بالعربة دورة كاملة

وقد نتج عن كل تلك المتاعب أن اضطرت البعثه للتخلى عن ثلاثة عربات أثناء الطريق ووصلت الى هدفها النهائى بعربتين فقط . ويقول الدكتور فوخس أنه لولا قيامسرب الكلاب باستكشاف الطريق أمام العربات ، ولولا مجهود ادموند هيلارى فى انشاء مخازن المؤن ومصاحبته للبعثة فى المرحلة الاخيرة والمعاونة التى حصل عليها من الطائرات ، لعجزت البعثة عن تحقيق هدفها

وقد كاد أحد كهوف الثلج يبتلع عربة فوخس « روك أند رول »ذات يوم ، لولا ان تعلق جنزيرها الخلفى بالسطح . وكاد أحد أعضاء البعثة « كين » يفقد حياته ثلاث مرات فى أحد الايام ، اذ انهار سطح أحد الكهوف تحت عربته ولكن العربة افلتت بمعجزة . وكاد هو نفسه يهوى فى أحد هذه الكهوف عندما انهار الثلج تحت زحافته

وحدث فى المرحلة الاخيرة ان اصطدمت العربة الخلفية بالزحافة التى كانت تجرها العربة الامامية فانقلب صندوق المتفجرات (١) ولو أنه انفجر لقضى على القافلة وعندما وصلت البعثة الى القطب

(١) كانت تلك المتفجرات تستخدم فى عمل انفجارات يمكن بواسطة أجهزة خاصة تحديد عمق السطح الثلجى من طريقها وقد كشفت تلك الاجهزة عن أن القطب الجنوبى يقع فوق حوضثلجى تبلغمساحته ٥٠ ميلا ويصل عمقه الى ٩٢٠٠ قدم

الجنوبي في ١٩ يناير عام ١٩٥٨ قوبلت بترحاب كبير من رجال محطة (اموندسن - سكوت) التابعة للولايات المتحدة · وكانت جرائد نيوزيلانده قد هللت قبل ذلك بأيام فرحا ، لان أدموند هيلاري (بعد أن انشأ المخازن اللازمة من قاعدة سكوت - على بحر لوس في جنوبي الباسفيكي - الى قرب القطب)اقتحم هو ورجاله طريقهم الى القطب ووصلوا اليه قبل فوخس · وقد أثار ذلك العمل نزاعا هائلا بين صحافتي نيوزيلانده وبريطانيا ، وراحت كلتاهما تنسب الفخر لرجالها

وفى ٢٤ يناير تحركت البعثة من القطب الجنوبي الى قاعدة سكوت (على الجانب الغربي من القارة) وقطعت ١٢٥٠ ميلا ووصلت فى ٢ مارس عام ١٩٥٨

وقد قطعت البعثة تلك المرحلة بسرعة ٣٠ ميلا فى اليوم بعد ان استغنت عن سربى الكلاب

وفى الطريق أصيب أحد أعضاء البعثة (دافيد ستراتون) بتسمم من أول أكسيد الكربون، الذى تسرب اليه من محرك العربة ، وكاد يفقد حياته لعدم وجود العناية الطبية اللازمة بطبيعة الحال · ولكن المقادير ألقت اليه بالدكتور جريفث بوج ، الذى تصادف وجوده في قاعدة مكمور دو، وهي قاعدة أمريكية على بعد ٣ أميال من قاعدة سكوت، وقد طار جريفث وحلق فوق البعثة بطائرته ، بالرغم من أنه عجز عن الهبوط بها لوعورة المنطقة ، فقد استطاع ان يلقى بأنابيب الاكسوجين اللازمة الى البعثة ، وأن يقدم اليها لاسلكيا مشورته الطبية ، حيث أنه كان ، للصدف العجيبة ، اخصائيا فى التسمم بأول أكسيد الكربون · وبذلك نجا ستراتون

وفى منتصف الطريق بدأت تظهر للبعثة لاول مرة قمم جبال القارة سوداء عامرة بالمعادن ، كما وجدت بعض النباتات الخضراء الضئيلة

وقد استمرت حالة البياض المتألق بعد ذلك وكادت البعثة تعجز عن المضى في طريقها ، بسبب تأثر البوصلات بالقطب المغناطيسي الجنوبي · وهنا اتبع فوخس طريقة شاذة للمحافظة على الاتجاه اذ راح يزرع البيارق من العربة الامامية فتتبعه العربة الخلفية على هدى تلك البيارق ، ثم ينزع رجل بالزحافة التابعة لها تلك البيارق وهكذا ·وقد أفلحت تلك الطريقة واستطاعت البعثة أن تسير فى الاتجاه الصحيح· وعندما وصلت البعثة الى قاعدة سكوت قوبلت باحتفال كبير لعل أبرز ما كان فيه هو مجموعة من رجال قاعدة مكموردو يعزفون أناشيد لم يتمكن فوخس أو أى واحد من رجاله أن يتبين شيئا منها لان كل عازف كان يعزف على مزاجه وهكذا تنتهى قصة تلك الرحلة

ولنا أن نتساءل هل يأتى اليوم الذى نرى فيه مجموعة من علمائنا تتقدم لتأخذ دورها فى غزو القارة البيضاء ؟ والجواب : نعم باذن الله



هوت إلى

● انى خائفة ولست اريد أن اموت يا « سيد » لانى احبك ! لماذا يعود الناس دائما لرؤيتى ؟ لاشك انهم يأملون ان أتحطم امام اعينهم فى حوض الماء !

كان هناك جمهور غفير فى الحانة حينما احتسى « ساندى ويسكوت » كأسين من الخمر ، ولم تكد تمر لحظات حتى شعر بالجوع . ونظر الى ساعته فوجد انها تناهز العاشرة ، فتذكر انه كان مدعوا الى تناول العشاء فى التاسعة والنصف على مائدة صديقته « ايفا بارينت » ، ثم لمح رجلا يتقدم نحوه ، فلما اقترب منه قال له :

ـ مساء الخير «يا كوتمان » . هل استطيع ان اقدم اليك كأسا ؟

فأجابه « كوتمان » قائلا وهو يبتسم :

ـ لايسعنى أن أرفض هذا العرض ياصديقى !

وكان « كوتمان » شابا طويل القامة ، وسيم الوجه ، فى نحو الثلاثين من عمره يرتدى ملابس السهرة الانيقة ويحلى صدره بربطة عنق عريضة سوداء تنسجم تماما مع لون شعره الفاحم المصقول

وسأله « ساندى » قائلا :

ـ كيف حال « ستيلا » ؟

ـ على ما يرام . انها تسترخى دائما قبل تمثيل دورها ، وترى ان هذا يهدىء أعصابها كثيرا

ـ الحق اقول لك انهم حتى لو عرضوا على الفا من الجنيهات، لماقبلت القيام بالدور الذى تؤديه «ستيلا» !

ـ وانا أصدقك تماما ، فلايوجد سواها من يستطيع عمل هذه الحركات البهلوانية الخطيرة من مثل هذا الارتفاع

وانقضت لحظة صمت قصيرة



كان كل من الرجلين خلالها منصرفا الى خواطره . ان « ستيلا » هذه هي زوجة « كوتمان » ، وكانت تخاطر بحياتها حقا في لعبتها التي تؤديها ، اذ كانت تهوى من سلم يبلغ ارتفاعه ستين قدما فى حوض من الماء عمقه خمس أقدام ! غير ان زوجها كوتمان كان قد ابتكر فكرة النار التى كان لهيبها ينتزع اعجاب الجماهير ،وتنال لعبتهابذلك نجاحا منقطع النظير ، ففى اللحظة التى كانت « ستيلا » تتأهب فيها للقفز الى الحوض ، كانوا ينشرون على سطح الماء طبقة خفيفة من البترول ، ثم يشعلون فيها النار ، فكانت الزوجة الشابة تهوى الى الحوض مندفعة خلال اللهب من هذا الارتفاع الشاهق !

وتنهد « ساندى » قائلا للزوج :

ـ قد أسر الى « باكو سبينيل » ان « الكازينو » لم يصادف قط مثل هذا النجاح من قبل ، وانى لارجو ان يعود هذا عليكما بربح وفير .

ـ ليس بالقدر الذى يظن الناس اننا نربحه ، فهناك بالطبع عقد بيننا وبين ادارة « الكازينو » ، ولم يكن يدور بخلدنا اننا سنلاقى مثل هذا النجاح ، غير ان السيد « سبينيل » يريد أن يمد فى عمر العقد شهرا آخر ، على انى اؤكد لك اننا لن نعمل معه فى المرة القادمة بنفس الشروط التى يجرى العمل بمقتضاها الآن !

ـ آه ! ارجو المعذرة .. هاهم أصدقائى !

وحيى « كوتمان » بايماءة من رأسه ثم تركه ومضى . وفى تلك اللحظة ، كانت « ايفا باريت » تدخل قاعة « الكازينو » مع باقى ضيوفها ، وكانت قد ضربت لهم موعدا عند أسفل السلم ، وكان المفروض ان يكون مجموعهم ثمانية لا اكثر

وبينما كان الاصدقاء واقفين على مقربة من المقصف الذى كاد فى تلك اللحظة ان يكون خاليا من الرواد ، وقد اسرع اكثرهم الى الشرفة الفسيحة ليتناولوا طعام العشاء ، مر « باكو سبينيل » ووقف امام الجمع ليحيى «ايفا باريت» ، ولاغرو فقد كانت مهنته تقتضيه أن يبدو لطيفا مع مشاهير الناس

وكانت السيدة « باريت » ارملة امريكية على جانب عظيم من الثراء . وقد بلغ من ثرائها انها كانت لاتكتفى بأن تعد كثيرا من الحفلات والاستقبالات الفخمة ، وانما كانت كذلك تلعب بالنار !

وقالت السيدة « باريت » تسأله :

ـ هل احتجزت لى مائدة فخمة يا « باكو » ؟

ـ أحسن مائدة لدينا يا « مسز باريت » .. هل صفقت لستيلا ؟

ـ من غير شك ، فمارايت قط فى حياتى شيئا أكثر اثارة للرعب من لعبتها هذه ! ولشد ما احب ان اكون هنا دائما لاشهد مصرعها بنفسى ، اذ لا شك فى انها سوف تقتل نفسها فى هذه اللعبة فى ليلة

من الليالى وانا مصرة على رؤية هذا المنظر !

وما ان انمت السيدة « باريت » حديثها حتى التفت « سبينيل » نحو عامل المقصف ، وساله عما اذا كان قد راى « كوتمان » ، فقال له هذا انه كان منذ لحظة يحتسى كاسا مع السيد « ساندى ويسكوت »

□

وكانت الليلة بالغة الروعة ، اذكان حفلها هو حفل الافتتاح لمجموعة من اللعبات والاستعراضات الجديدة ، وكان عدد النظارة كثيرا للغاية . وجلس الرواد فى الشرفة الرحبة يمتعون العين بمنظر البحر الهادىء الصامت عندما كفت الموسيقا فجاة ، وتقدم رئيس الخدم ليرشد « مسز باريت » الى مائدتها ، فنزلت تتهادى وهو يتقدمها على السلم ، وكانها ملكة متوجة !

وقالت الارملة الثرية وهى تجلس فى استعلاء :

ــ سوف نستطيع من مائدتنا ان نرى « ستيلا » وهى تهـوى الى الجحيم !

فقال لها « ساندى » :

ــ أحب ان اكون قريبا جدا من حوض الماء ، كى أتمكن من رؤية وجهها وتعبير عينيها فى وضوح تام ، اذ انها فى كل مرة ينتابها خوف رهيب !

فقال كولونيل بريطانى يدعى « جودهارت » :

ــ لست أصدق كلامك هذا لان لعبتها خدمة كبرى وهى فى الحقيقة لاتواجه اى خطر !

فقال له « ساندى ويسكوت » :

ــ انك لاتعرف شيئا البته ، فلكى تغوص « ستيلا » فى الحوض من هذا الارتفاع ، عليها ان تستوى بجسدها فى سرعة بالغة بمجرد أن تلمس سطح الماء ، لانها ان أخفقت فى هذا فسوف ترتطم ارتطاما عنيفا بقاع الحوض فيتهشم راسها حتما !

وكان الحوض موضوعا فى نهاية الشرفة الواسعة من جهة الشمال ، واقيم خلفه سلم خشبى شاهق ، تسنده قوائم من الخشب والحديد ، ويعلوه مسطح صغير . وبعد أن عزفت الموسيقا الحانا راقصة عدة ، كانت مائدة السيدة باريت خلالها حافلة بالاطعمة والمدعوين ، عادت فتوقفت عن العزف ، وخفض النور فى « الكازينو » كثيرا وسلطت أضواء قوية على حوض الماء

وكان « كوتمان » وتنتلى يروح ويغدو هنا وهناك ، ثم ارتقى بعض درجات السلم حتى صار فى مستوى ارتفاع حافة الحوض ، ثم صاح قائلا فى صوت واضح قوى النبرات :

ــ سيداتى وسادتى : سوف تشاهدون الآن اعجب حركة قام بها انسان فى القرن العشرين ، اذ ستقفز اشهر غاطسات العالم ، من ارتفاع ستين قدما فى بحيرة من النار عمقها خمس أقدام فقط ، وهى حركة لم يستطع أحد قبلها ان يقوم بها ، وهى تعرض مبلغ مائة جنيه هدية

منها للشخص الذى يحاول أن يؤدى هذه الحركة البهلوانية المذهلة !

وماكاد « كوتمـان » ينتهى من كلماته الاخيرة حتى ظهـرت امرأة صغيرة الجسم بأعلى السلم الموصل الى شرفة الكازينو ، ثم اسرعت نحو حوض الماء ، وحييت جمهور الحاضرين الذين أخذوا يصفقون لها اعجابا فى حماس شديد . كانت هى «ستيلا» زوجة « كوتمان » ، وكانت ترتدى ازارا من الحرير وتضع على رأسها طاقية استحمام ، وكان وجههـــا الصغير الجميل أثناء هذا الاستعراض مزينا بمساحيق التجميل

وخلعت «ستيلا» ازارها وأعطته لزوجها ، فبدت للناظرين فى لباس البحر . كانت صـغيرة الجسم ، متناسقة الاعضاء ، طويلة الساقين ، وردفاها بارزين بعض الشىء . وكانت لاتستطيع ان تميز فى هذا الضـوء الخافت ســوى وجوه المتفرجين وتلك القمصان البيضاء التى كانت تبدو من خلال ملابس السهرة السوداء التى يرتديها الرجال

وشرعت «ستيلا» ترتقى درجات السلم ذى الارتفاع الجنونى والاضواء مسلطة عليها . وجاء أحد المساعدين فنثر طبقة البترول فوق ماء الحوض، بينما وقف « كوتمان » عند حافته ، وهو يمسك بشعلة من النار ، ويتابع زوجته بعينيـه ، حتى وصلت الى أعلى السلم . وماكادت تستقر فوق اللوحة الخشبية الصغيرة عند قمته حتى صاح قائلا :

ـ هل انت مستعدة ؟

ـ نعم

فاشعل « كوتمان » عندئذ النار فى البترول وهو يقول بأعلى صوته :

ـ هيا اذن !

وتصاعد اللهب عاليا يبعث الخوف فى النفوس ، وفى نفس اللحظة ، هوت « ستيلا » من عل ، ومرقت من أمام المتفرجين وكأنها شهاب يومض فى طرفة عين ، ثم اختفت فى الحوض وسط النيران !

وانقضت لحظة قصــــيرة ظهرت « ستيلا » بعدها فوق سطح الماء ، وقفزت الى الارض وسط عاصفة من التصفيق ، وساعدها زوجها على ارتداء ازارها ، ثم وقفت تحيى المتفرجين وترد بالشكر على تصفيقهم الذى يكاد لاينتهى !

وفجأة ، عادت الموســيقا الى العزف ، فقامت « ستيلا » بحركة تودع بها الحاضرين ، وأسرعت تنزل سلم الشرفة فى خفة ورشـــاقة ، وسرعان ماتسللت الى قاعة الكازينو الداخلية مارة فى صمت بين موائد الرواد ، وســمع عنـدئذ أحـد الارستقراطيين البريطانيين يقول :

ـ انها لمدهشة حقا !

فقال له كولونيل جودهارت فى تعصب معروف عن الانجليز :

ـ ثق تماما من ان هذا كله خداع ، وأراهنك على اى مبلغ تريد لاثبت لك صحة ماأقول !

وجلست « ستيلا » فى مقعدها دون حركة ، فاخذ أكثر الجالسين بالقاعة يفحصونها عن كثب . كانت فى نحو السادسة والعشرين من عمرها ، بيضاء البشرة ، رمادية العينين ، قصيرة الشعر . وكانت شفتاها لاتزالان تحملان احمر الشفاه ، لكن مساحيق الزينة كانت قد زالت عن وجهها ، فبدأ شاحب اللون وأطلت من عينيها نظرة ساهمة !

وجلس « كوتمان » الى جوار زوجته وقد أمسك بيدها بين يديه وجاء عامل المقصف فى تلك اللحظة ، وكان قد فرغ لتوه من تناول العشاء ، وما ان لاحظ وجودهما حتى قال للزوج :

ـ ياسيد «كوتمان» : ان السيد « سبينيل » يبحث عنك ...

فقاطعه « كوتمان » قائلا :



كانت فى نحو السادسة والعشرين ، صغيرة الجسم ، وهرعت الى حوض الماء لتخلع ازارها وتسلمه لزوجها

ـ حسنا ، سأشرب هذا القدح بسرعة ثم اذهب اليه

ثم التفت نحو زوجته وقال لها :

ـ « ستيلا » .. هل تنتظرينني هنا ياحبيبتى أم تؤثرين الذهاب الى غرفتك ؟

ونظر الى وجه زوجته فوجدها تبكى فى صمت . كانت دموعها تنهمر على وجهها الشاحب الصغير ، وهى تحاول جاهدة ان تبدو هادئة رابطة الجاش ، فبان على زوجها التردد لحظة ، ثم سألها قائلا بصوت بدت فى نبراته رنة انفعال :

ـ ماذا بك يامزيزتى ؟

ـ اسمع ياحبيبى .. لن استطيع ان اعاود القفز الليلة فانا خائفة !

واختنق صوتها فلم تستطع ان تتم حديثها ، وانخرطت فى البكاء . فأمسك « سيد كوتمان » بيدها الرقيقة بين راحتيه فى رفق وقال لها :

ـ هيا ياحبيبتى ! .. انى اعرفك جيدا فأنت اشجع امرأة شابة فى العالم ، فهلا شربت قدحا من « الكونياك » لتعود اليك رباطة جأشك ؟ ان من المستحيل ان تتخلى هكذا عن الجمهور !

ـ لقد فقدت رباطة جأشى بالفعل يا « سيد » ، ولشد ما أخاف ان اقتل فى هذه القفزة الخطرة !

فلاذ « كوتمان » بالصمت لحظة ، واستغرق فى تفكير عميق . انه كان قد لاحظ منذ عدة ايام ان هنالك

شيئا غامضا يثير القلق والاضطراب في نفس زوجته ، ولكنه تحاشى ان يتيح لها فرصة تفصح فيها عما فى قلبها ، وتفضى اليه بمتاعبها . وكان «كوتمان» من ناحيته يحب زوجته حبا جما ، فمال نحوها فجأة واحتضنها بقوة بين ذراعيه ، فأحس بضربات قلبها تتوالى فى عنف ، وأخذ يقول فى نفسه : « مهما يكن من شيء فان ستيلا حرة فى ان تفرد ماتشاء ، وانى دائما على اتم استعداد لان اترك كل شيء لنعود الى حياتنا السابقة اذا استقر رأيها على العدول عن اداء لعبتها »

ومضت لحظة أخرى قال بعدها « سيد كوتمان » لزوجته :

ــ وعلى اية حال فان «سبينيل» يريد مقابلتى ، وسوف اقول له ياحبيبتى انك لاتستطيعين القفز اكثر من مرة واحدة فى كل ليلة ، وأرى بعد ذلك مايكون من أمره ، والآن عليك أن تذهبى الى غرفتك

■

وبعد انقضاء عشر دقائق ، لحق كوتمان بزوجته فى غرفتها ، وكان مشرق الوجه بادى السرور ، وماكاد يدخل عليها حتى ابتدرها بقوله :

ــ ياحبيبتى ، ياغرامى .. جئت احمل اليك نبأ سعيدا . ان «سبينيل» قد عرض على ان نستمر فى العمل معه فى الشهر المقبل بأجر مضاعف !

وأسرع يقبل وجنتيها ويحتويها بين ذراعيه ، لكنها دفعته بعيدا عنها وسألته قائلة :

ــ هل يحتم على أن أعود الى القفز فى النار الليلة بعد قليل ؟

ــ أخشى ان يكون الامر كذلك

فانهارت « ستيلا » على الارض وانفجرت باكية ، وهى تردد قائلة فى صوت حزين متقطع النبرات :

ــ انى لا أستطيع يا « سيد » ! لا أستطيع ! ولسوف أقتل ..

فجلس زوجها الى جوارها على الارض وأمسك برأسها بين يديه فى حنان ، ثم احتواها بين ذراعيه وهو يقول :

ــ فكرى فى الامر ياحبيبتى . أعتقد أنك لاتستطيعين الرفض ، فلم يعد هناك سوى اربعة ايام وينتهى شهر يوليو ، وسوف يمر شهر اغسطس كذلك بسرعة ...

ــ كلا كلا ! انى خائفة ، ولست أريد ان أموت يا « سيد » ! نعم ، لا اريد أن أموت لانى أحبك ! لماذا يعود الناس دائما لرؤيتى ؟ لاشك فى أنهم يأملون ان أتحطم أمام أعينهم فى حوض الماء ، أليس كذلك ؟ انى لاأستطيع النوم ياحبيبى لانى دائمة التفكير فى الموت ، وعندما يغلبنى النوم أخيرا ، احلم بانى واقفة فى أعلى السلم انظر الى اسفل . وفى هذه الليلة ، ارتقيت درجات السلم وانفى راغم ، وانا ارتجف من الخوف . وعندما أشعلت النار فى الحوض

وقلت لى « هيا اذن ! » ، خيل الى ان هناك شيئا يهيب بى الا اقفز . فان كنت تحبنى حقا يا « سيد » فلاتحكم على بهذا الجحيم !

فتنهد « كوتمان » وانخرط هو الآخر فى البكاء ، فقد كان يحب زوجته ويضمر لها الود خالصا . كان منذ سن الثامنة عشرة يعمل بالملاهى والمراقص ، وكانت المصادفة وحدها هى التى جعلت هذا الشاب الانجليزى يعيش فى أوروبا ، ويقضى الصيف على شاطىء « الريفييرا » حيث قابل « ستيلا » ، الفتاة الاسترالية التى كانت تعمل مدرسة للسباحة وتجيد الغطس فى الماء . وكانت « ستيلا » تكسب عيشها بعمل استعراضات سباحة فى الصباح وبعد الظهر ، وفى المساء كانت تعمل كراقصة فى ملاهى الريفييرا الفرنسية وملاهيها

وتوثقت العلاقة على مر الايام بين « ستيلا » و « كوتمان » فكانا يرقصان معا ويتناولان عشاءهما على انفراد فى أحد المطاعم الهادئة ، ولايكاد أحدهما يفارق الآخر الا فى أوقات النوم ، وربط الحب بين قلبيهما فتوجا غرامهما بالزواج

▭

وعرف الزوجان الشابان اياما عصيبة ، ذاقا خلالها مرارة البؤس والحرمان . وكثيرا مااضطرتهما الظروف الى اخفاء زواجهما ، فكانت تعمل كراقصة ، ويحترف هو الرقص ، ومن عادة السيدات المتقدمات فى السن ان يؤثرن مراقصة الشاب الاعزب . ثم رحلا بعد ذلك الى باريس حيث تعلما الرقص الفنى والرقص التوقيعى ، وعادا أخيرا الى الحياة فى « الريفييرا » ، واستقر بهما المقام هناك وعادا الى احتراف الرقص ، وعاشا حياة كلها كفاح وشقاء ، حتى أجهدت «ستيلا» نفسها ، واعتلت صحتها ، فاضطرت الى اعتزال الرقص

ومضى « سيد كوتمان » يواصل الرقص بمفرده دون أن يصادف نجاحا يذكر ، ففكر عندئذ فى العمل بالمسارح . وكانت « ستيلا » تزعم دائما انها تستطيع الغوص حتى فى اناء صغير ، وكان «سيد» قد شاهد صبيا يشعل البترول على رصيف الشارع ، ثم يأكل النار على مشهد من المارة والمتفرجين ، ومن ثم نبتت فى ذهنه فكرة حوض الماء الذى ستقفز فيه « ستيلا » وسط ألسنة اللهيب ...

ونجحت فكرة « سيد كوتمان » نجاحا عظيما ، وأصاب الزوجان شهرة واسعة . والآن ، وقد بلغا ذروة النجاح وقمة المجد ، هاهى ذى زوجته العزيزة « ستيلا » تريد أن تتخلى عن كل شىء ! حقا انه لايدرى ماذا يقول لها ، ولاكيف يتصرف بازاء هذا الموقف المفاجىء ، فهو من ناحيته لايستسيغ فكرة التخلى عن كل شىء والعودة الى حياة الفقر والحرمان ، وقد ذاقا منهما معا كفايتهما وزيادة ، ومن ناحية اخرى



المغتربون واللغة العربية

فى خلال انعقاد مؤتمر المغتربين فى لبنان وزيارتهم لاقليمى الجمهورية العربية المتحدة ، أتيحت الفرصة لهم وللجهات التى يهمها الامر ، للبحث فى الوسائل المؤدية الى صيانة اللغة العربية فى القارة الامريكية حيث تقيم جاليات من المغتربين وابناء المغتربين. والموضوع يستحق الاهتمام . وقد عالجناه اكثر من مرة . وتناوله الكتاب فى الشرق العربى بالتعليق وابداء الآراء والاقتراحات . ولكن الناحية العملية ظلت مهملة : كلام كثير، يقال ويردد ويكرر ، وعمل قليل لا يتفق مع كثرة الكلام

واحسب أن من واجب حكومتى الجمهورية العربية المتحدة ، ولبنان ان توليا الموضوع حقه من الدرس والتمحيص ورسم الخطط واتخاذ الوسائل لتطبيقها

ان فى وزارتى الخارجية بالقاهرة وبيروت دائرتين مختصتين بشئون المغتربين. والمغتربون كلهم — كما نعلم — من ابناء لبنان وأبناء الاقليم السورى . وكلهم راغبون فى الابقاء على الصلات الروحية والمادية بينهم وبين وطنهم الاول . فعلى هاتين الدائرتين اذن ان تتعاونا معا بصورة عملية متواصلة ، لتحقيق الامنية التى أصبحت الآن تختلج فى صدور المغتربين والمقيمين على السواء ، وهى العمل على صيانة اللغة العربية ونشرها بقدر الامكان بين المغتربين

وقد ذكرت اقتراحات وآراء ، واخذ بعضها بعين الاعتبار فتحول الى مشروعات تدرسها الجهات المختصة فى الوقت الحاضر

ومن هذه المقترحات ، مثلا :

— ايفاد مدرسين الى البلدان التى فيها جاليات عربية ، للمساهمة فى تدريس اللغة العربية بالطرق التى تسمح بها الظروف

— ارسال مرشدين لتعليم المسلمين اصول دينهم وفى وقت واحد تعليم اللغة العربية. وهذا المشروع يدرسه وزير الاوقاف بالقاهرة السيد كمال الدين رفعت

– ارسال افلام عربية مختارة لعرضها على المغتربين . هذا المشروع تدرسه وزارة الارشاد والثقافة بالقاهرة

– تشجيع منتجي الافلام العربية على مواصلة ارسال افلامهم الى المهاجر بواسطة متعهدين هناك

– انشاء مكتبات عربية في بعض العواصم الامريكية . والاكثار من ارسال الكتب . وتوسيع نطاق مبادلة الجرائد والمجلات

– الاكثار من تبادل الزيارات وعقد المؤتمرات وايفاد الادباء لالقاء المحاضرات

والاقتراحات كثيرة ، والآراء متعددة ، ولكن الاقتراحات والآراء لا تكفي . وكل سنة تمر يصعب في المستقبل تعويضها

دبلوماسية وشعر ...

وقع اختيار الملك حسين على الاديب الشاعر محمد الشريقي لشغل منصب سفير المملكة الاردنية الهاشمية بالقاهرة، بعد ان عاد الصفاء وعادت معه العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين العربيتين الشقيقتين الى ما كانت عليه من قبل

ولمحمد الشريقي ماض كله عمل وجهاد ونشاط ، في الميدان السياسي وفي حلبة الادب على السواء : طارده الفرنسيون من سورية مسقط رأسه ، فرحل الى « شرق الاردن » مع من رحل الى هناك من الاحرار . وعمل معهم في الامارة الاردنية التي اصبحت فيما بعد مملكة . وواصل نشاطه الادبي بجانب نشاطه السياسي والوطني . وتغنى في قصائده بالحرية وبطولة المجاهدين في سبيلها . وساعد الحظ الشاعر السياسي او السياسي الشاعر – فشاهد انتقال البلاد العربية من حال الى حال : من التبعية الى السيادة ، ومن الحياة المقيدة الى الحياة الحرة الطليقة . فصار الشريقي ، بعد ان كان يتمنى بلوغ الآمال والاماني ، يترنم الآن بتحقيقها ، في قصائد تزداد جمالا ، وروعة ، وبلاغة ، كلما ازداد عدد السنين على كاهل الدبلوماسي الشاعر !

المهرجانات الفنية

هذه ظاهرة جديدة بأن نسجلها في هذه اللمحة الشهرية التي نشير فيها الى بعض ما يمت بصلة الى الحركة الادبية والفنية : لقد قررت الجهات المختصة بالقاهرة اقامة مسارح في مناطق الآثار واعداد حفلات تمثيلية وموسيقية في تلك المسارح ، اسوة بما يجري في بعض البلدان الاخرى . ونذكر من هذه البلدان : ايطاليا ، واليونان ، والمانيا ، وفرنسا ... ولبنان !

ففي المهرجان الذي اقيم في هذه السنة بين آثار بعلبك التاريخية ، شاهد جمهور المتفرجين الذين جاءوا من الداخل والخارج، مسرحيات غربية ، وبرامج موسيقية ، ومناظر والوانا من الرقص والغناء والعاب الفروسية المأخوذة من العادات الشعبية اللبنانية الصحيحة . وفاق نجاح المهرجان كل ما كان يتصوره القائمون به والمشرفون عليه

هذه عادة مشكورة يجمل بالبلدان العربية ان تسير عليها . فالاماكن الاثرية التي يمكن ان تقام فيها حفلات تمثيلية وموسيقية وشعبية ، كثيرة في الشرق العربي ، منها : اهرام الجيزة وابو الهول ، الاقصر والكرنك، قلعة صلاح الدين بالقاهرة ، قلعة حلب ، آثار تدمر ، بعلبك ، بيبلوس اوجبيل ، عمان وجرش ، وغيرها كثير

مثل يحتذى

تطبق حكومة اليمن على الطلاب اليمنيين الذين يتلقون العلم في الخارج ، نظاما قاسيا دقيقا ، من شأنه ان يصون مصالحهم ولا يلهيهم عن دروسهم . ومن احكام هذا النظام ان الطالب لا يحق له ان يغادر البلد الذي يدرس فيه لزيارة اهله في اليمن قبل مرور سنتين على اقامته . ولا سبيل الى مخالفة هذا النظام الا باذن خاص يعطى في حالات استثنائية معينة

وفي اثناء الدراسة ، يراقب الطلبة مراقبة متواصلة للتأكد من انصرافهم الى دروسهم، وحسن سلوكهم ، وابتعادهم عن كل ما يمكن ان يدفعهم الى سبيل الضلال . وتدسالت

من النظام المتبع تجاه الطلبة الذين يفدون على القاهرة من مختلف البلدان العربية ، فاتضح لي أن بعض الحكومات تطبق حيال رعاياها نظاما فيه ما يكفي من الدقة والشدة، وبعضها تترك لهم الحبل على الغارب ، ولا تعنى العناية الكافية بمراقبتهم . وقد يؤدي الاهمال بل الفقد أدى في حالات كثيرة الى مآس كان الطلبة انفسهم ضحاياها

هذا ما يتضح لنا في القاهرة ، وهي بلد عربي يقصده الطلبة العرب . وفي القاهرة يسهل على المسئولين ان يقوموا الاعوجاج اذا راقبوه . ولكن كيف تكون الحال في العواصم والمدن الاوربية والامريكية ، لو كان النظام المتبع على جانب من الليونة والميوعة؟!

بيوتهم وقبورهم !

من بواعث الارتياح اهتمام الافراد والجماعات ، في هذه الايام ، بما تركه الادباء الراحلون من آثار ، من ناحية ، ومن ناحية اخرى بالاماكن التي ولدوا ونشئوا فيها والقبور التي حوتهم بعد موتهم !

البيوت التي عاش فيها جبابرة الفكر وعمالقة الادب ، في البلدان العربية ، جديرة بأن تصان من الخراب والزوال ، وبان تتحول الى آثار تحميها الجهات المختصة ، أو الى متاحف يؤمها الجمهور ويجد فيها الشبان مادة للتفكير وغذاء للذهن

والقبور ، قبور هؤلاء الجبابرة والعمالقة جديرة بأن ترعاها حماية خاصة، لتصبح محجة لادباء اليوم والغد ، الذين شق لهم ادباء الامس الطريق - ان بيوتهم ، وقبورهم جزء من التراث الادبي والفكري الذي تعد صيانته وحمايته جزءا من واجب الجهات المسئولة ، في نهضتنا الحاضرة ، عن كل ما يتعلق بالثقافة .

خليل مردم

فقد الادب العربي ركنا من أركانه ، وفقد الشعر علما من اعلامه ، بوفاة « خليل مردم » الشاعر الاديب الدمشقي الكبير ، الذي عاصر النهضة العربية منذ فجرها ، وسار في موكب الجهاد العربي منذ الخطوات الاولى ، فوضع قلمه في خدمة بلاده ، ووقف نظمه على الاشادة بالحركة الوطنية وشد ازرها واذكاء نيرانها، فان له في كل محنة موقفا مشرفا ، وله في كل وثبة قصيدة عصماء ، وله في كل مهرجان قومي أنشودة رائعة !

وله في الغزل ، ووصف المشاعر ، والتغني بالجمال ، تغاريد عذبة !

في سطور

● عقد الطلبة العرب في أمريكا الشمالية مؤتمرهم الثامن الذي تعده منظمة الطلبة العرب كل سنة . وتحدث في المؤتمر نحو خمسين من المشتركين فيه . ودار البحث على الخصوص حول « فهم أفضل للعالم العربي » . والعرب في مختلف أوطانهم يرجون لمنظمة الطلبة العرب بأمريكا دوام التوفيق في توثيق العلاقات بين الشطر المغترب والشطر المقيم من الشعوب العربية

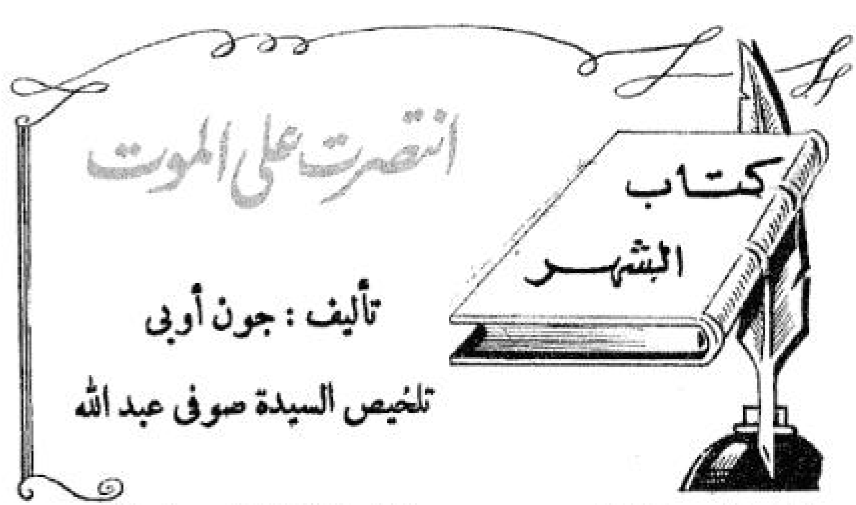
● الامير صقر بن سلطان القاسمي ، حاكم الشارقة ، من امارات الخليج العربي، يعد ديوان شعر سيطبع قريبا في مصر . عدد « الامراء الشعراء » يزداد سنة بعد سنة . ونرجو أن يكونوا جميعا من « أمراء الشعر » !

● ردا على سؤال قارىء من دمشق ، يرغب في الحصول على « قاموس عربي أسباني »

للأستاذ يوسف الغريب قاموس عربي أسباني على جانب من الكمال . وللأستاذ الغريب ترجمات عديدة من العربية الى الاسبانية ومن الاسبانية الى العربية . وهو من مغتربينا الكرام في الارجنتين

● ردا على سؤال آخر لقارىء من نيويورك : يمكنك أن تجد المعلومات التي تريدها في مجلة « ثقافة الهند » التي يصدرها أربع مرات في السنة « مجلس الهند للروابط الثقافية » وعنوانها بأتودي هاوس بدلهي الجديدة

« نجم »



قلت لطبيب الفندق :
ـ ليس بى مرض يحتاج الى الاقامة فى مستشفى !
فربت الرجل على كتفى وقال :
ـ بل ستذهبين الى المستشفى ، وستتركين لهم الحكم فى هذه القضية
ـ وكم يوما سامكث هناك ؟
ـ قد يستغرق الفحص الدقيق عن حقيقة ما بك يومين او ثلاثة
ـ وهل سيفلحون فى تخليصى من هذه الآلام ؟
ـ طبعا . والآن اجتهدى ان تبتلعى هذه الحبات المخدرة . وساذهب انا لاستدعاء النقالة ...
ووضعت الحبات الثلاث فى فمى وهو يغادر الحجرة . ولكنى لم استطع ان ابتلعها فمججتها . ودخلت الممرضة لتجدنى ارتجف . وموجات من البرودة الشديدة والآلام تتناوبنى . وفى بعض الاحيان كانت موجات البرودة والألم تأتى مجتمعة فى آن واحد فتصبح وطأتها فوق طاقة الاحتمال البشرى . ولا سيما أن الغثيان الشديد كان ينجم عن ذلك التحالف الكريه بين الألم والبرد ، ولا ينقذنى من ذلك الا الاغماء ، أخرج منه مضعضعة الحواس ...
واخذت الخادم تجهز حقائبى توطئة للنقل الى المستشفى . وكنت قد وصلت الى لندن منذ يومين اثنين من موطنى زيلندة الجديدة . وتلك كانت أول رحلة الى انجلترا . وكان فى نيتى أن اقضى اسبوعين او ثلاثة فى مشاهدة المعالم والنزهة والسرور ، قبل أن ابدأ دراستى الفنية فى معالجة عيوب الكلام . واذا بهذه الاعراض الفظيعة تنصب على كيانى كالصاعقة بغير سابق نذير
وكانت سنى يومئذ احدى وعشرين سنة . ولم يسبق لى عهد بالتوعك يوما واحداً . فبدت لى النقلة الى المستشفى والاقامة فيه بضعة ايام امرا غير معقول
وفى سيارة الاسعاف انتابنى

كابوس مخيف . فكأنني اجتاز نفقا طويلا مظلما لا نهاية له ، رطبا ، وقد خيل الى انى تعريت من ثيابى كلها ، ثم تراءت لى من تحت اقدامى هوة فتعلقت اصابعى فى استماتة بأعشاب نامية عند حافتها ، وانتبهت لأجد ذراعى حول ركبتى رجل الاسعاف الذى رافقنى فى النقالة ..

وعـــاودتنى الغيبوبة الى ان احسست بأمراة ضخمة تدس شيئا فى فمى . وكانت المراة ترتدى زيا رسميا ابيض اللون . فقدرت اننى فى المستشفى . ولم اكن شـعرت بوصولى اليه . ثم جذبت يد مقياس الحرارة من فمى وسمعت صـــوتا يقول :

ـ هل حدث لك ذلك على اثر استخدام قارورة الماء الساخن فى الفراش ؟

ولاادرى لماذا احنقنى هذا السؤال وأجبت فى ثورة

ـ أننى لا أستخدم قوارير الماء الساخن

ثم لاحظت وجود جهاز حـديدى ضخم تشع منه حرارة قوية . أعقبها سريان الراحة في جسمى . ثم رأيت طبيبا يقدم نحوى وأمامه حاشيـة تدفع عجلة تحمل أدوات طبية وتضعها



عند أقدام فراشي . وقالت الممرضة
ـ هذا هو الدكتور تيمز اخصائي الاعصاب المشهور وعميد مدرسة الطب . فأنت الآن في قسمه

والدكتور تيمز رجل منتصب القامة في الاربعين من عمره . يبدو صارم الملامح . وأدهشني ان أراه يقول لي بلهجة تنذر بالخطورة :
ـ لابد لي من فحص ظهرك . ولن يكون ذلك هينا عليك !
ولم يكن ذلك هينا علي . ولكني تجلدت . ولما فرغ الدكتور تيمز من الفحص التفت الى مساعده وقال :

ـ اجتهد ان تخفض درجة حرارتها يادكتور بلاك . وقم ببزل نخاعها فورا . وسآتي غدا ...
وافزعتني كلمة البزل . ولكن العملية نفسها لم تكن مؤلمة كما تصورت . فلم اكد احس بدخول الابرة في ظهري . ووجدت في الدكتور بلاك بشاشة فسألته :
ـ أتعلم ما الذي يسبب لي هذا الألم ؟
فقال وفي عينيه نظرة صريحة مستقيمة :
ـ لا أعلم !
ـ والدكتور تيمز ؟ الا يعلم ؟
ـ كلا . ولهذا أمر بالبزل
والحقيقة ان أسباب الالم لم تكن لتشغل ذهني كثيرا . لان الالم ذاته كان يستأثر بكل اهتمامي
وبعد البزل خف الصداع . وتكفل الجهاز الكهربائي بتدفئتي . واستلقيت طول الوقت والامل يملأ صدري . ولكن عندما حل المساء عاودني الالم ، فلم استطع نوما طول الليل
وفي الصباح نقلوا السرير وانا فوقه الى عنبر كبير فيه مرضى آخرون . تفصل فيما بينهم أستار تنفذ منها اصواتهم . وكان موضوع حديثهم الغالب هو الطعام . فكان مجرد اصغائي لذلك الحديث كافيا لتغثية نفسي . فجلست لاتناول الحوض الصغير والفظ فيه القيء .
وكم كانت دهشتي عندما لبثت مستلقية على ظهري لا استطيع حراكا . فناديت الممرضة . وحضرت على الفور وأدنت الحوض ووضعته تحت ذقني . فلما فرغت قلت لها :
ـ حدث شيء عجيب . اني لا استطيع الجلوس . ولم اسمع باحد من قبل عجز عن الجلوس لانه لم يذق طعاما منذ ايام ..
ـ الم تذوقي طعاما منذ ايام يا مزيزتي ؟
وتركتني وانصرفت . وبعد دقائق معدودة حضر الدكتور تيمز ، ورأيت وجهه فوق الستارة . فابتسم لي ثم دخل وقال :
ـ عندما أقول لك اقعدي ، حاولي ان تقعدي .. هيا اقعدي
واطاعه مخي ، بيد أن جسمي ابى ان يطيع ..
وخفت أن أسأله عن الحقيقة . فالجميع كانوا ينظرون اليه بتوقير شديد صامتين ، فأحسست انه لاينبغي ان اعكر ذلك الصمت . وتركته لافكاره
وفي ذلك النهار ازداد استغرابي

لنفسي . فقـــد اكتشفت انني لا استطيع التقلب في فراشي . ومع هبوط الليل كفت يداى عن الخضوع لارادتي ، ففزعت

وبلغ الهول ذروته بعد ظهر اليوم التالي ، عندما حلمت انني اغرق في دوامة من الماء القذر ، وشرقت ، ثم فتحت عيني لاجد الممرضـة تربت على يدى :

ــ ماذا بك يا جوان ؟

ــ حلمت انني اغرق

فتركتني وانصرفت ، ثم عادت بعد قليل ومعها الدكتور تيمـز ، واخذ يلاحظ الفواق الشديد الذى اصابني . وامرني الا اتكلم . ثم انصرف الاثنان صامتين . وبعد قليل رأيت جماعة من النـــاس بينهم الممرضات والدكتور تيمز والدكتور بلاك يدفعون صندوقا ضخما ابيض اللون على عجلات ، ووضعوه بجانب فراشي . وكان شكل الصـندوق بشعا اشبه بتوابيت الموتى . ولكن نهايته فيها كوة في حجـم عنق الانسان . فجعلت ابتهل الى الله :

« لا تجعلهم يا الهى يضعونني في هـذا الصندوق ! رحمـاك يارب ! لأموتن في داخله ! »

وسمعت صوت الدكتور تيمـز يقول لي وقد جلس على حـرف فراشي :

ــ اخشى يا جوان أنه لابد من وضعك داخل هذا الصندوق . وما كنا لنفعل لو كانت لنا عن ذلــك مندوحة

ــ ولكن لماذا ؟

ــ هذا الصندوق سيقوم لك بعملية التنفس نيابة عنك الى ان تستعيدى قدرتك على ذلك

ــ ولكني اســتطيع ان اتنفس يا دكتور

ــ في الوقت الحاضر تستطيعين ذلك يا عزيزتي ، ولـكن كل نفس يقتضيك مجهودا كما تعلمين . وهذا المجهود يزداد مع كل نفس جديد

وكانت الحشرجة التي تصاحب تنفسي دليلا على صدق رأيه . ولكن الفزع اطاش صوابي فصـحت بالممرضة :

ــ أجيريني ! لا تدعيه يضعني في هذا الصندوق !

فتناولت الممرضة يدى بين يديها بقوة وقالت :

ــ انما نفعل ذلك لمصلحتـك يا عزيزتي ، بل لسلامتك

ونهض الدكتـــور تيمز قائلا للممرضة :

ــ لا تفارقيها ريثما أعود مــع الدكتور بلاك

ــ نعم ارجوك الا تتركيني

ــ لا تتكلمي يا جوان ، وفـرى انفاسك . سأبقى معك ما رغبت في ذلك . وينبغي أن تـكوني عاقلة شجاعة . واعلمي ان هذه الوسيلة هي الامل الوحيد في نجاتك واسترداد عافيتك

فخجلت من جبني وســكت . واخذ التنفس يزداد عناء . وتصببت

عرقا وأنا أركز افكارى فى انفاسى . ثم غبت عن الصواب برهة وتنبهت لأجد كميات كبيرة من الهواء تدخل صدرى . ورأيت نفسى راقـدة فى مستوى مائل ورأسي الى أسفل . ولكن التنفس وأنا فى داخـل ذلك الصندوق بات ميسوراً للغاية

وفى ذلك الصـندوق لبثت من ابريل الى مايو ..

▭

ومن العجيب انى وجدت الاقامة داخل الصندوق لا تبعث على الرعب ولا تسبب الآلام كما كنت أتوهم . فكان ذلك من دواعى سـعادتى ، كل ماهناك انى كنت اسمع باستمرار صوتين رتيبين متعاقبين ، أحدهما صادر عن الصندوق ، والآخـر صادر من داخل جسمى . ولهمـا طابع غريب فادهشنى ذلك وعولت على اكتشاف حقيقة مايجرى داخل الصندوق

وبدأت اجرب تحريك انامـل اقدامى فى موضعها ، ثم الساقين ، ثم الركبتين ، ثم العجيزة والبطن والظهر والصدر والذراعين واليدين والاصابع .. ولكن ما من شىء من ذلك كله تحرك ادنى حركة

ولم أجد عندى قدرة على اى شىء حتى على البكاء أو التحسر او الفزع لاننى قررت على الفور انه ان كانت هذه معركة لابد من خوضها، فيجب ان احدد موقفى ،، واعرف مـدى خسائرى ومصابى ، حتى اعرف ما الذى بقى لى من أسلحة لتـلك المعركة . وهاقد عرفت أن كل ماكان بداخل الصندوق من أعضاء انما هو فى هذه اللحظة شىء ميت يجب ان اخرجه من حسابى

ولكن ماذا من أمر ما بقى خارج الصندوق من كيانى ؟

احرك عنقى. فاذا به مثبت فى مكانه بطوق . فجربت تحريك فكى .. فاذا به يتحرك . وكان الطوق يمنع رأسى من الحركة رفعا وخفضا ويمنة ويسرة . ولكن كان فى استطاعتى ان أهز أهدابى واغمز بجفونى . وكان فى مقدورى بلا شك أن أسمع بأذنى فالصوتان الصادران بانتظام دليل حاسم على ذلك

وانحصر اهتمامى فى رقعة صغيرة من السماء الزرقاء عن يسـارى استطيع ان اراها اذا حركت انسانى عينى الى جهة اليسار . اما من فوق فلا أرى الا جزءا من ذلك الجهاز الحديدى الذى يتصل بالطوق حول عنقى . ذلك الطوق الذى يفصل رأسى عن جسدى ، فيفصل الحى من الميت

وبعـد ان عرفت كل شىء عن حالتى الراهنـة ، اغمضت عينى وتركت الامـور تجرى فى أعنتهـا

وبعد قليل سمعت صوتا رخيما ينادينى من خلفى ، فأردت ان ارد التحية بمثلها، فاذا حشرجة غامضة لاتبين لها مقاطـع . فأفزعنى اننى فقدت القدرة على الكلام ايضـا . ومعنى ذلك ان الموت اخـذ يدب

مجتازا الطوق الحديدى الى لسانى الذى بين فكى

وسمعت الممرضة تسألنى :

ـ اتريننى يا جون ؟

وخرجت من حلقى حشرجة اردت بها ان أقول نعم . فادركت الممرضة الموقف على الفور وقالت لى بحنان :

ـ سنصلح العطب الذى أصاب النطق فيما بعد . لكن تعالى نتفق الآن على لغة أخرى للتفاهم . استطيعين آن تحركى جفنيك وتغمزى بهما ؟

فغمزت لها بعينى اليسرى . فضحكت وقالت :

ـ هذا عظيم . فلنتفق اذن على انك حينما تريدين أن تقولى لا ، دعيها مفتوحة . أموافقة انت على ذلك ؟

فغمزت لها . وبدت تكلمنى فقالت :

ـ اسمى جويس فارلى . وانت الآن فى حجرة صغيرة بمستشفى القديسة مارى ، وموضوعة بداخل رئة حديدية . وسألازمك طول النهار الا فى أوقات الطعام . وفى هذه الاوقات ستلازمك ممرضة اخرى ولك ممرضة ليلية خاصة بك . فالترتيبات تقضى الا تتركى وحدك لحظة واحدة . فليس هناك داع اطلاقا للفزع

وسمعت وقع اقدام تقترب منى ، ثم قالت الممرضة للقادم :

ـ تعال قف هنا عند النافذة لانه يبدو أنها تتمكن من الرؤية فى ذلك الوضع على احسن وجه ممكن

وانسحبت الممرضة من مكانها أمام النافذة ليحل محلها وجه آخر لم أتردد فى التعرف عليه بعينيه العسليتين ونظارته . أنه الدكتور بلاك . حيانى بالكلام وحييته بغمزة من عينى اليسرى . فاذا بصبغة حمراء تعلو وجهه كله . ثم نظر نحو الممرضة متعجبا . ولما ارتد طرفه الى غمزت له مرة أخرى ، فازداد وجهه احتقانا وهتف بالممرضة :

ـ اسمعى هل هى مؤامرة بينكما ؟



ــ آسفة جدا يادكتور . ولكنهـا طريقتنا الجديدة فى التفاهم . فهذه الغمزة معناها نعم أو مرحبا. وليس لها أى معنى آخر مما بدر الى ذهنك

وانطلقت الممرضة بضحك ولكن الدكتور بلاك لم يضحك ، بل ارتسم على وجهه القلق والانزعاج وقال :

ــ ولكنها ينبغى ان تستطيع الكلام انا واثق من ذلك !

واستطعت ان ادرك من المناقشة بينهما ان العلة ليست فى لسانى بل فى الصندوق الحديدى . فهنـاك أنابيب كبيرة قوية دقيقة التركيب مهمتها الضغط على الصدر مرة ، والارتفاع عنه مرة اخرى ، بحيث يكون ذلك تنفسا صناعيا آليـا . وحينما أكون فى وضعى الصحيح يكون الضغط مضبوطا بحيث تكون قوة دخول الهواء وخروجه مناسبة لخروج الكلمات من حلقى واضحة. أما الآن فالتنفس شهيقا وزفيرا من القوة بحيث لا يمكن خروج النبرات والمقاطع بصورة واضحة

وعلى الفور اخذ الطبيب الطيب القلب يعدل من وضعى بمساعدة الممرضة ويعدل من ضبط اجهزة الضغط الهوائى . وعندئذ انتظرت خروج الهواء فى حركة زفير وهتفت بالممرضة :

ــ آنسة فارلى !

وخرجت الصرخة همسة. ولكنها كانت همسة واضحة

وبعد قليل دخل عندى زائر عزيز انه بيتر جونز الذى تعرفت به وأنا على ظهر الباخـرة فى طريقى الى انجلترا . لقد اتصل بالفندق فعلم قصتى . واليوم سمحوا له بالزيارة فجاء يحمل أزهارا جميلة . وكان هو الشخص الوحيـد الذى أعرفه فى انجلترا ، أنا الغريبة الديار !

وعرفت منه أن مندوب نيوزيلاندة السامى فى انجلترا قام بالاتصـال باسرتى فى نيوزيلاندة. وانه يرسل برقية كل يوم بتفاصيل حالتى

ويظهـر أننى فى لهفتى على المسامرة تكلمت اكثر مما ينبغى ، فوبختنى الممرضة بعدانصراف بيتر وأمرتنى الا أبدد قوتى

وكانت الخطوة التالية بعـد الكلام ، ان يعلمونى كيف ابتلع السوائل .. فان قوة اندفاع هواء الزفير خارجا من صدرى تجعل ذلك عسيرا . وفى المـرات الاولى كان الطعام السائل وعصير الفواكه يرتد من فمى كالنافورة فيغطى ملابس الممرضة البيضاء ووجهها . ولكن شيئا فشيئا تعلمت كيف احتجز قطرات قليلة ابتلعها بسرعة . ثم أقفل الانبوبة بطرف لسانى عندما يبدأ خروج الزفير . وبذلك اتقنت طريقتى الخاصة للتغذية

وكانت المرحلة التالية ان ابتلع واتكلم فى وقت واحـد . واقتضى ذلك تمرينا طويلا عسيرا ، ولـكن العناية الفائقة وقوة الارادة من جانبى حققا المعجزة ، وبدأت بعـد ذلك

عمليات لتنمية الحساسية فى انحاء جسمى كلها بواسطة وخز الدبابيس ولكن الحساسية لم يكن لها اثر

وفوجئت بجراح للأعصاب من اشهر الجراحين هو مستر موير يصحب الدكتور تيمز ، ويفحصنى بآلات معقدة ، ثم يقرر ان قوة ارادتى تستطيع عند اللزوم ان تحقق حياة شبه طبيعية. بغير حاجة الى جراحة . ونصح باخراجى من الصندوق دقيقة واحدة فى اليوم الاول . ثم تزاد دقيقة فى كل يوم، فاذا استطعت التنفس بمفردى خارج الصندوق ساعة كاملة بعد ستين يوما ، فالامل فى عودتى الى الحياة الطبيعية كبير

وكانت الدقيقة الاولى فى اليوم الاول تجربة فظيعة لصدرى. ولكنها نجحت . ثم اعادونى الى الصندوق وثبتوا فيه مرآة من اعلى ، لأستطيع من خلالها قراءة الكتب التى توضع بجانب راسى . وتتولى الممرضة تقليب صفحاتها

وبعد الستين يوما قرر الدكتور تيمز ومستر موير ان المعجزة تحققت، وان رئتى تستطيعان التنفس وانا راقدة فى فراشى . ولكن الى متى اظل راقدة فى فراشى ؟ وسألت فى ذلك الدكتور تيمز فلم يجب . فخجلت . حتى اذا كان اليوم التالى رايته يضع على فراشى لفافة طويلة ويقول :

ـ حاولى تحريك يديك . ومتى استطعت ذلك جربى هذين العكازين

واستغرق استعادة تحريك ذراعى منى ثلاثة اشهر بين المحاولة والالم. اما العكازان فاحتجت الى سبعة اشهر أخرى قبل أن ابدأ فى استخدامهما بين السرير والنافذة . ويقولون لى ان صحبتهما ستطول . ولكنى واثقة بالله وبارادتى . وان انتصارى سيكون كاملا على الموت ... فى جسدى المشلول ..

منك تعلمت ...

نشأت « سفانة » ابنة « حاتم الطائى » على غرار ابيها فى الكرم ، فقال لها يوما : « يابنية ، الكريمان اذا اجتمعا على المال اتلفاه ، فاما ان أعطى وتمسكى ، واما ان أمسك وتعطى » فقالت له : « منك تعلمت مكارم الاخلاق ... »



يحرر هذا الباب الدكتور امير بقطر عميد كلية التربية بالجامعة الامريكية ، فلحضرات القراء ان يرسلوا بعنوان مجلة الهلال اسئلتهم النفسية للاجابة عنها وان يكتبوا على الظرف « عيادتك النفسية » . . .

متاعب الحياة

لم يخلق الانسان ومعه مشاكل حيوية خاصة به ، ولكن المشاكل طارئة على حياته ، تعترض طريقه ، ثم تمر به ، وينتهى أمرها . وحياة الانسان لا يمكن أن تخلو من مثل هذه المشاكل ، فهى ضربة لازب ، محتومة ، لان الانسان اجتماعى يعيش وسط مجتمع عام ، يختلف أفراده فى اتجاهاتهم ومصالحهم وميولهم وأهوائهم ، وكلها متشابكة بعضها مع بعض ، ولابد لبعضها ان تعترض طريق الآخر ، او تسد عليه المنافذ ، أو تحوله عن اتجاهه ، أو تقطع عليه طريقه . وحتى لو عاش الانسان بمفرده لكان حتما لزاما أن تعترضه عدة مشاكل كالبحث عن الطعام والشراب والمأوى والعلاج من الامراض وما الى هذا وذاك

فوجود المشاكل فى حياة الانسان ليس امرا غير طبيعى ، وليس امرا خارقا ، فشجرة الحياة لابد لها أن تتعرض للبروق الخاطفة ، والرياح العاصفة ، والامطار المنهمرة ، والاتربة السافية وكل ما يعترض حياة هذه الشجرة ، ويؤثر فى نمائها

ومشكلة هذه المشاكل ليست فى حدوث المشاكل ، ولكن فى مواجهتها ، وتفهمها على حقيقتها ، وفحصها فحصا دقيقا ، وتحليلها الى عناصرها

الاصلية ، ثم العمل على حلها فى هدوء وتؤدة واتزان . أما الفزع من هذه المشاكل والخوف منها والقلق بسببها ، فلن يجدي كل ذلك فتيلا . وقد لا يعلم البعض ان تسعين فى المائة من هذه المشاكل ، كما قال احد علماء الاجتماع ، يحل نفسه بنفسه ، دون أن يبذل الانسان اى جهد فى حلها ، فالمشاكل كالرياح العاصفة تمر بكل من يعترض طريقها ، ولكنها تنتهى فى وقت من الاوقات . والفرق بين انسان وانسان أن واحدا قد استطاع أن يصمد ، وان يرى فى هبوب هذه الرياح امرا طبيعيا لا يثير فزعا ، وان الآخر قد تملكه الرعب منها ، وانطلق يصيح ويبكى ، واستنفد قواه ، لا فى الصمود لها ، بل فى الفزع منها ، ثم تهالك صريعا . وهو فى هذه الحالة ليس صريع الرياح ولكنه صريع الفزع والخوف والارتباك

ان الجدير بالمرء ، شابا كان أو شيخا ، فتاة أو سيدة ، أن يؤمن فى اعماق قلبه ان مشاكل الحياة أمر طبيعى لا مفر منه ، وان عليه أن يواجهها فى اتزان وهدوء ، وان يعمل على تحليلها وبحثها ، وقد يستطيع أن يحلها دون معونة ، فاذا تعذر عليه ذلك فعليه ان يلجأ الى ذوى الخبرة والحنكة والتجربة ، فليست المشاكل جديدة وان تغيرت تفاصيلها ، ولكنها متكررة معادة

***

الدواء والعلاج النفسى

ماهو دور الادوية الحديثة فى علاج الامراض النفسية ؟ هل يمكنها شفاء المريض واخراج العقد النفسية من اللاشعور ؟ هل يمكنها القيام بهذه المهمة دون الالتجاء للتحليل النفسى ؟ واى طبيب يعالج بها ، طبيب الامراض العصبية ، او الطبيب النفسانى ؟

الاستاذ محمد على زين الدين
(عين الكرش ـ جادة الطيبى ـ دمشق)

* يميل أطباء الابدان وقلة من الاطباء النفسانيين الى الاعتقاد ان كل مرض وظيفى ـ اى نفسانى ـ يكون سببه عضويا اى بدنيا . وعلى هذا المبدأ لابد من علاج المرض النفسى بالعقاقير او بجراحة المخ Lobotomy او بالصدمة الكهربائية او بالانسولين . وقد ذكرنا فى كتاب « لاتخف » الذى ترجمناه واعادت الهلال طبعه ، لمؤلفه دكتور كولز وهو طبيب امريكى وعالم نفسانى شهير ـ ذكرنا ان مؤلفه يعتقد ان كل مرض نفسانى يعزى الى هبوط الطاقة العصبية . لذلك ينبغى أن يصحب الدواء العلاج النفسى . وليكن معلوما ان هناك وسائل اخرى للعلاج النفسى غير التحليل

اما مدرسة فرويد واتباعه ، فلا تؤمن بهذه النظرية ، فيتجنب افرادها العقاقير وسواها تجنبا تاما . وقد انتشر فى السنوات القليلة الاخيرة استعمال عدة عقاقير اهمها الـ Chloropromazine وقد اتت ببعض

الفائدة في بعض الامراض ، غير ان نتيجتها في النهاية لايمكن التنبؤ بها الآن . والواقع انها في دور التجريب وتحوم حولها الشكوك كما انها تسبب لبعض المرضى متاعب شتى . وكاد الاطباء يكفون عن الالتجاء الى جراحة المخ لانها قد تهدىء المريض ولكنها تقضي على شخصيته وتحوله طفلا . كما ان الصدمات الكهربائية لم يثبت لها فائدة سوى في حالات قليلة معينة - ولبعض المرضى فقط - كحالة الانقباض depression ولعل فائدة العقاقير علاوة على تقوية طاقة المريض العصبية ، تهيئه للعلاج النفسي حتى يتعاون مع المعالج . وخير من يقوم بالعلاج طبيب ملم بالعلوم النفسية . على ان اكثر الامراض النفسية تستجيب للعلاج على يد اخصائي نفساني من غير الاطباء ، طالما كان ملما بمبادئه واسع الخبرة امينا في عمله

مجموعة اسئلة

١ - هل هناك ما يمنع المريض النفساني من دراسة علم النفس بالجامعة ؟

٢ - قرأت كتابا اسمه « مقدمة في التحليل النفساني » للدكتور سيجموند فرويد فاعجبت به كثيرا . فهل للمؤلف كتب اخرى غيره ؟

٣ - بعض الاذكياء المثقفين يضربون عن الزواج . فهل سبب ذلك مرض نفساني ، او ان لهم فلسفة خاصة في ذلك ؟ واذا كان السبب المرض ، فكيف تعلل تفوقهم رغم المرض ؟

٤ - ما سبب الحاد بعض العلماء لاسيما علماء النفس . وهل بعض علماء النفس ملحد ام مؤمن ؟

٥ - بعض المحللين النفسانيين بل كلهم لايهتمون بعلاج الاعصاب ، فما رأيك ؟

ع.ب.د - الظهران - المملكة العربية السعودية

* ١ - علم النفس يصلح لكل انسان مالم يمنعه المرض من الدراسة سواء أكانت في علم النفس أم سواه

ان دراسة هذا العلم هي دراسة الطبع الانساني، وكلنا في حاجة الى ذلك - الطبيب والقاضي والمحامي والمعلم الخ

٢ - للدكتور فرويد ما يقرب من ستين مؤلفا وعشرات المقالات . واكثرها مترجم من الالمانية بالانجليزية وكثير من اللغات. وتوجد بعض هذه التراجم بالعربية في المكاتب المصرية . كما توجد مئات الكتب والمقالات العلمية تعليقا عليها

٣ - الاضراب عن الزواج ، اكثره لاسباب غير صحية . بعضها مالي ، وبعضها بسبب الجبن وعدم الرغبة في تحمل المسئولية والتردد وفوات الوقت «في عرفهم» وفي مقدمة الاسباب النفسية القصور الجنسي سواء كان وهميا او حقيقيا ، والخوف من الجنس الاخر والشذوذ الجنسي الخ . وقد يكون السبب الانهماك في العلم او العمل . اما عن الجزء الاخير من هذا السؤال ، فان المرض النفسي « فيما عدا الجنون » قد لا يبلغ من الشدة مايعوق المصاب به من التفوق ، والواقع ان الكثير من العباقرة مصابون به

٤ - ليس صحيحا ان العلماء ملحدون . كل ما هنالك ان تفكيرهم موضوعي اى ذاتي اى يتجه الى الحقائق العلمية المادية الملموسة . ولعل تفسيرك للدين انه العناية بالطقوس الدينية . قد يكون الرجل قليل العناية بالصلاة مثلا ومع ذلك يكون شديد التمسك بالاخلاق والمبادىء الدينية واما علماء النفس فقد تدهش اذا قلت لك ان الكثير من رجال الدين مشتغلون بعلاج المرضى كما ان المحلل النفساني كثيرا مايلجأ الى الدين في علاج مرضاه

٥ - راجع ما كتبناه ردا على السؤال السابق

ردود خاصة

ا. حنا (سدنى استراليا)

* لسنا نرى حلا لمشكلتك الا الانفصال . فاذا كان هذا عسيرا فما عليك الا ان ترضى بالامر الواقع . اما ذلك الحلم الذى يلازمك فسببه انشغالك بذلك المشكل . وليس ما يدعو الى تصديقك ذلك الحلم بحرفيته والخير كل الخير الا تعبأ به

قارىء من السعودية

* .نحيلك الى ما كتبناه مرارا عن القراءة الصامتة فى مجلتنا التربية الحديثة وتجد مجموعة منهـــا فى بعض مدارس بلدكم وفى مكتبة السيدة هالم النحاس . كذلك نحيلك الى ما كتبناه كثيرا تحت هذا البـــــاب فى الاعداد السابقة . وحيث انك ملم باللغة الانجليزية فان المكتبة الامريكية غنية بالكتب التى تبحث فى موضوع « القراءة السريعة » على انك تستطيع الاستعانة بأحد الاساتذة الذين لهم المام بهذا الموضوع لتدريبك على سرعة القراءة بعد الوقوف على اســـباب البطء الذى تشكو منه

حائر بالعجوزة

واحمد ابوعاصم (صيدا لبنان)

* ان جميع الامراض التى ذكرت أو اكثرها على الاقل تعزى الى الحالة النفسية ومن العبث أن نقدم نصيحة على الورق ســـوى العلاج لدى احد الاطباء النفسانيين . ومن حسن الحظ أن كلاكما فى مدينة ، والعلاج فيها غير عسير

م.ب (مدينة ابن سليمان ـ المغـــرب الاقصى)

* لا توجد علاقة بين قصة الحمار التى رويتها وبين حالتك ، اللهم الا اذا كانت القصة

فى حاجة الى تفصيل . لذلك ننصح لك عدم تركيز فكرك فى ذلك الحـــادث . ويحســن ان تتصل بطبيبك الخــــــاص اذا لم يكن فى استطاعتك استشارة طبيب نفسانى

المعذب ح.ع.ع (نابلس الاردن)

* لم يكن الانتحار يوما وسيلة ناجعـــة لحل المشاكل ، الا يمكنك السفر الى بيروت للعلاج ؟ ان سبب هذه الامراض لا يمكن الوقوف عليه الا فى جلسات عديدة ، تعاد اليك فى خلالها الثقة وتتغلب على الخجل والمخاوف التى تؤدى الى الخجل

م.د.م (الاقليم الشمالى)

* اكثر من ٩٠ ٪ من حالات العنه يعزى الى عوامل نفسانية فاذا دل الكشف الطبى بما فى ذلك الغدد الصماء على خلوك من الموانع البدنية فما عليك الا السفر الى اقرب بلد فيه طبيب نفسانى وننصح لك بقراءة كتاب « التصور الجنسى » لمحرر هذا الباب

مرجريت . ع ـ الزقازيق ـ الاقليم الجنوبى

* مشكلتك تنحصر فى والدك وفيك انت شخصيا . فانت تعلمين ما جبل عليه والدك من الطبـــاع التى لا ترضيك ، وكان الاجدر بك أن ترضى بالامر الواقع ، وتروضى نفسك على احتمال هذه الاساءات المتكررة منه .وكان خطأه الكبير فى تدليل أختك حتى استبدت عليك . أما انت فقـــد كان عدم اتساع تفكيرك ، وعدم ترويض نفسك سببا فى وجود حالة نفسية قلقة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد استمعت الى وشايات أختك وابن عمك وكلاهما عن زوجك ، مع انك احببته يوما ثم صدقت وشايات تعلمين انها صادرة من أناس يحبون الاضرار بك . والحل الوحيد وقد تزوجت ولك ابن أن تحاولى حب زوجك واسعاده ، وأن تحاولى الابتعاد عن أهلك ، ان مهمتك رعاية بيتك وزوجك وابنك .



فتنة المرأة !

كان « ابو المبارك الصابي » من ظرفاء الدولة العباسية ، يبعث اليه الكبراء ليلطفهم بأسماره ، وفي مجلس له ساقه الحديث الى النساء ومحلهن من قلوب الرجال

قال : « ألستم تعلمون اني قد اربيت على المائة ، فينبغي لمن كان كذلك ان يكون وهن الكبر قد أمات حنينه الى النساء وتفكيره في الغزل » . قالوا : « صدقت ! »

قال : « وينبغي لمن عود نفسه تركهن ، والتخلي عنهن ، سنين ممدودة ان يكون الاعتياد وتمرين الطبيعة ، وتوطين النفس ، قد حط عنه ثقل المنازعة الى النساء » . قالوا : « صدقت ! »

قال : « وينبغي لمن لم يذق طعم الخلوة بهن ، ولم يجالسهن ، ولم يسمع حديثهن وخلابتهن للقلوب ، الا يكون قد بقي معه من تذكارهن شيء » . قالوا : « صدقت ! »

قال : « وينبغي لمن سخت نفسه عن السكن والولد ، وعن أن يكون مذكورا بالعقب الصالح ، ان يأمن الوساوس في وصال النساء ، ويكفل لنفسه الزهد والسلوة وموت الخواطر في شأنهن » . قالوا : « صدقت ! »

قال : « وينبغي لمن لم يذق لحما منذ ثمانين سنة ، ولم تمتلىء عروقه من الشراب مخافة الزيادة من التشهي والنقصان من العزم ، ان تكون نفسه ساهية لاهية عن هذا الباب الذي احتمل هذه المكاره في سبيل الكف عنه ، فسكنت حركته ، واجتمعت له اسباب اليأس . » قالوا : « صدقت ! »

قال : « فاني بعد جميع ما وصفت لكم من كبرة السن ، ومن الحيطة الشديدة ، ومن فرط التحفظ ، اسمع نغمة المرأة ، فاظن مرة أن كبدي قد ذابت ، وأظن مرة انها قد انصدعت ، واظن مرة أن عقلي قد اختلس ، وربما اضطرب فؤادي عند ضحك احداهن ، حتى احسب انه قد خرج من فمي ... فكيف الوم عليهن غيري ؟ »

قالوا : « صدقت .... »

فروق لغوية ...

الاصل فى الالفاظ أن ينفرد كل لفظ بمعناه ، ولكن هناك كثيرا من الالفاظ تتداخل معانيها وتتشابه أو تتقارب ، والكاتب الدقيق هو الذى يتحرى فروق الالفاظ ، فيعرف لكل منها مقامه فى الاستعمال وهذه امثلة :

١ ـ العرب تفرق بين « المطايب »و « الاطايب » ، فالمطايب أنما توصف بها اللحوم ونحوها ، فيقال: مطايب اللحم اى أحاسن ما فيه ، وأما الاطايب فتوصف بها الفاكهة ، فيقال : اطايب الفاكهة اى اجودها وانضجها

٢ ـ وثمة فرق بين العواصف والقواصف ، فالعواصف الرياح المهلكة فى البر ، بدليل قوله تعالى : « ولسليمان الريح عاصفة » ، والقواصف الرياح المهلكة فى البحر ، بدليل قوله تعالى : « فنرسل عليكم قاصفا من الريح فنغرقكم بما كفرتم »

٣ ـ وفرق بين المستمع والسامع ، فالمستمع المصغى القاعد للاستماع المتفرغ له ، والسامع هو الذى يطرأ عليه الكلام فيسمعه من غير قصد ولا تفرغ

٤ ـ وفرق بين الهم والغم ، فالهم يكون لامر ينتظر ان يقع ، والغم انما يكون لامر واقع

٥ ـ وفرق بين التمنى والترجى ، فالتمنى طلب ما يمكن وقوعه وما لا يمكن ، وأما الترجى فهو طلب ما يمكن وقوعه فقط

وعلى هذا النحو تتبين الفروق اللغوية بين الالفاظ فى دلالتها على المعانى لمن يريد الدقة فى التعبير

جراحة ... وشجاعة !

يذكر المؤرخون فى العصر الاموى أن « عروة بن الزبير » اصيبت رجله بما يسمى « الاكلة » . فقيل له : « اقطع رجلك ، والا أفسدت عليك جسدك كله » فلما وافق على ذلك ، قيل له : « نسقيك الخمر حتي لا تجد لذلك الما » فقال : « لا أستعين بحرام على ما أرجو من عافية » فقيل له : « نسقيك المرقد ، وهو شراب يفقد الاحساس بالالم » فقال : « ما أحب أن أسلب عضوا من أعضائى وأنا لا اجد لذلك الما » . ورأى حوله قوما فأنكرهم ، فقيل له : هؤلاء يمسكونك، فان الالم ربما يعزب معه الصبر ، فقال : « أرجو ان اكفيكم ذلك من نفسي » . فلما قطعت رجله اغلى له الزيت فى مغارف الحديد ، فحسم به موضع القطع ، فغشى عليه ، ثم افاق وهو يمسح العرق عن وجهه ، ويقول : « اللهم انى كانت لى اطراف اربعة ، فأخذت واحدا وابقيت لى ثلاثة ، فلئن اخذت لقد ابقيت ، ولئن ابتليت لقد عافيت »

ذلك ما ذكره المؤرخون ، وتلك جراحة بكل أوضاعها الطبية فى العصر الاموى : تشخيص يثبت فساد الجرح ، لا علاج له الا البتر . ونصح بالتخدير لامكان اجراء الجراحة ، وحسم لموضع البتر بتطهير الجرح ووقف النزف

وانظر بعد ذلك كيف ترفع الرجل عن شرب ما هو محرم عليه وان اباحته الضرورة ، وكيف كان تكريمه لجسده اذ ابى الا أن يشهد توديعه لقدمه حين تبتر وهو يقظ الحس

ثم انظر كيف كانت شجاعة الرجل واحتماله وقوة عزمه ، وكيف كان يعلل نفسه فيما اصابه ...

سياسة « المهدى » ...

ما اكثر من كانوا يتخذون السعاية والوشاية سبيلا الى مغنم ينالونه عند ذوى السلطان ، وقد كان بعض الخلفاء من متانة الخلق وحصافة الراى ما يجعلهم يردون كيد الوشاة الى نحورهم ، وقد سجل لنا التاريخ درسا كريما ألقاه الخليفة « المهدى » على رجل أحب أن يسمعه وشاية ، واليك كلمة « المهدى » التى تتجلى فيها سياسته الحكيمة ازاء قالة السوء :

« انما لنا الابدان ، وليس لنا القلوب ، من استتر عنا لم نكشفه ، ومن بادانا وصارحنا طلبنا توبته ، ومن اخطأ اقلنا عثرته ، فانى أرى التأديب بالصفح ابلغ منه بالعقوبة ، والقلوب لا تبقى لوال اذا استعطف لا ينعطف ، واذا قدر لا يعفو ، واذا ظفر لا يغفر ، واذا استرحم لا يرحم ... »

دلنى على السوق !

لما ضاق الرسول بمن يناوئون دعوته الدينية من أهل مكة ، وهاجر مع بعض أصحابه الى المدينة ، عقد مؤاخاة بين المكيين المهاجرين والمدنيين الانصار

وكان من نصيب « عبد الرحمن بن عوف » المهاجر أن كانت المؤاخاة بينه وبين « سعد بن الربيع » الانصارى

فقال « سعد » لصاحبه : « انى أكثر الانصار مالا ، فأقسم لك نصف ما عندى ، وأن لى امرأتين ، فانظر أيتهما أرضى لك ، فسمها لى ، اطلقها ، حتى اذا انقضت عدتها كانت لك زوجا ... »

فقال « عبد الرحمن » : « بارك الله لك فى مالك ، وبارك الله لك فى أهلك ، أما انا فلا مأرب لى فيها ، دلنى على السوق ... »

وما لبث أن دخل فى السوق يبيع ويشترى ، حتى نما كسبه ، واصبح فى رفاهية من عيشه

محمد شوقى امين



لقد خطونا فى سبيل تنفيذ مشروعات التنمية الصناعية والزراعية والاقتصادية .. ومع ذلك فاننا نسينا ميدانا هاما من ميادين التنمية أحق بالرعاية .. الا وهو التنمية الآدمية

ثورة أم

ان المتعمق فى تفهم ايديولوجية ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ يجدها تقوم على أساس واحد .. هى انها ثورة أم ، اى انها ليست انقلابا أو حركة أو حتى ثورة متأثرة بثورات أخرى . ولكنها ثورة أصيلة نبعت من أعماقنا وظهرت فى الصورة التى هى عليها الآن . لذلك مست كل شيء فى حياتنا ، وأثرت فى ميزان القوى الدولية ، وتأثرت بها شعوب عديدة ، فخرجت من الحيز المحلى المحدود الى الصعيد العالمى ، وعلى أعلى مستوى . لذلك كان لزاما على كل منا أن يقوم فى ميدانه بعملية تقويم شاملة ليعرف مدى الاثر الذى أحدثته الثورة فيه . والحقيقة التى لا مراء فيها هى أن الثورة قد اتجهت بكل قواها الى البناء والتعمير وأولت مشروعات التنمية بكافة صنوفها الاهتمام الكافى . الا اننا فى غمرة اهتمامنا بعمليات بناء الاقتصاد والصناعة ، نسينا أنفسنا كبشر لهم حق الحياة السليمة الصحيحة ، ليستطيعوا القيام بدورهم فى البناء والتعمير

نقطة الانطلاق

ان مئات الخبراء فى ميدان الزراعة والاقتصاد والصناعة قد عصروا أذهانهم وسهروا الليالى ليقدموا خطط التنميات ، ولقد انعكس هذا النشاط على انتاجنا الصناعى والزراعى ، ولعله مما يثير العجب ان نرى أنفسنا نهتم بتحسين سلالات الابقار والدجاج ونهمل تحسين سلالاتنا نحن البشر ، هنا فى هذه

المنطقة الحيوية التى تمور بالنشاط الثورى العارم. اننا لكى ننتج انتاجا سليما يجب أن نفيض له اناسا سليمين أصحاء يستطيعون القيام بعملهم

لنترك الداعين الى تربية الشباب تربية رياضية أو تربية خشنة ، فليست هذه هى نقطة الانطلاق التى نريدها ، وهى خلق الابطال الذين نريدهم ، ليتموا البناية ويتسلموا الامانة . اننا نريد أن نتحكم نحن فى نوع وصحة النشء الجديد ، بناء على خطة فنية واعية لنواجه حاجة المصانع وحاجة الجيش وحاجة الارض الطيبة . وليس هذا بعجيب أو مستغرب فنحن نقوم الآن بهذا العمل فعلا ولكن على نطاق محدود ضيق . بيد أنه قد آن الاوان ليأخذ هذا العمل صبغة التعميم والفرض بقوة القانون

مفهوم الزواج

ولسنا مغالين ان طالبنا فرض خلق جيلنا الجديد او الاجيال المقبلة بقوة القانون . فاننا لانريد أن يكون في مجتمعنا الناهض مكان لمريض أو عليل ، كتب عليه أبواه أن يأتى الى الدنيا عليلا مريضا ، عالة على المجتمع ولكن كيف يكون ذلك ؟ اننا نستطيع أن نحسن النتاج الآدمى ان صح هذا التعبير كما استطعنا تحسين سلالات البقر والدجاج والمانجو والخوخ .. الخ اذا ما تحكمنا فى اختيار الابوين قبل الزواج . وليس معنى هذا اننا نطالب ان تتدخل الدولة فى اختيار الزوجة أو الزوج ، ولكننا نطالب فى المحل الاول بوضع اشتراطات معينة قبل الزواج . هذه الاشتراطات بسيطة سهلة ولكنها تؤدى لمجتمعنا اجل خدمة . انها الخلو من الامراض والعلل الوراثية . فكما نبحث عن التكافؤ المادي ، وكما نبحث عن التكافؤ الثقافى ينبغى أن نبحث عن التكافؤ الصحى وهذا هو الاهم

فلقد خلقت الطبيعة الأسرة لتربط الذكر الى خدمة الانثى التى قيدتها الطبيعة لخدمة الطفل . وليس الزواج صلة بين الجنسين لاقرار شرعية الشهوة ، وانما هو فى صميمه وأصله صلة بين الآباء والابناء تستهدف حفظ النوع الانسانى

ولو كان الزواج مسالة تخص الشخص وحده وليس أمرا له صلة وثيقة بالجنس الانسانى ، لما وضعته التقاليد والشرائع الانسانية والديانات فى المحل الاول من اهتمامها . ولقد جاء فى الحديث الشريف « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس »

ليس الزواج اذن أمرا فرديا ، ولكنه فى الواقع اساس من أسس المجتمع . واذا كنا قد اعدنا النظر ونحن فى عهد الثورة فى جميع الاسس التى يقوم عليها مجتمعنا لتطويره وخلقه خلقا جديدا يوائم التطور الكبير الذى تنشده الثورة ، فليس ثم الزم وأدعى من وضع الاسس والتقنينات التى يجب أن تبنى عليها نواة المجتمع الاولى ونعنى بها الاسرة

على أن الاسس والتقنينات التى نعنيها وتهمنا فى مجالنا هـذا هى الاسس الصحية التى تجعل الزواج جديرا بمعناه العظيم وهدفه الاسمى والاسس الصحية للزواج لها أهميتها لاسيما وانها تعالج الامراض العضوية التى تنتقل بالوراثة ، والامراض التى تنتقل بالمخالطة والامراض النفسية وغيرها . وليست الاسس الصحية التى نعنيها هنا هى كل ما يتصل بالناحيـة الجسمانيـة او العقليـة فحسب . وانما يدخل فى نطاقهـا الاضطرابات الاجتماعية التى تنتج عن الزواج الذى يتم دون أن يكون مبنيا على الاسس السليمة

مكاتب للدولة

اننا نقوم الآن بفحص الراغبين فى الزواج من الجنسين اختياريا فى مكاتب فحص الراغبين فى الزواج . ولـدى مأذونى الشرع تعليمـات صريحة بضرورة طلب شـهادة تثبت خلو الزوجين من الامـراض المعدية والزهرية ومع ذلك فان الاقبال على هذه المكاتب محدود ، ويتسامح كثير من مأذونى الشرع فى طلب شهادة الخلو من الامراض

والذى نطلبه اليوم ليس غريبا . فبعض الدول تحرم الزواج الا بعد ابراز شهادة الخلو من الامـراض ، وبعضها يبـذل الدعاية والنصح لفحص الراغبين فى الزواج ، وعلاج المرضى من الزوجين قبل اتمـام الزواج . ونحن الآن احوج ماتكون لسن قانون بحتم الكشـف الطبى على راغبى الزواج من الجنسـين ، فى المكاتب التى أنشأتهـا وتنشئهـا الدولة لهذا الغرض مجانا . وبهذا نضمن ان الجيل القـادم والاجيال التى تليه يستطيعون حمل الامانة

حقيقة التنمية الادمية

ولست أهدف باستخدام تعبير « التنمية الآدميـة » زيادة عـدد السكان فقط فاننا فى الواقع نعـانى ازدحاما فى السكان ، ولكننى اريد بالتنمية الآدمية هنا الزواج الموجه ، الزواج الذى توجهه الدولة لفـائدة المجتمع

واذا كان ثمـة من يعارض سن قوانين لحماية الاجيال القادمة من الامراض والعلل الوراثية ، فليعلم ان عندنا قوانين كثيرة هدفها حماية الفرد من الامراض . منهـا قانون الامراض المعدية ، وقانون مكافحة الامراض الزهرية والجـذام وغيرها

واذا كانت هناك اجراءات تتخذ لحماية الفرد من هـذه الامراض ، فلماذا لا تصدر القانون الاول الذى ينبغى أن يكون على رأسها ، وهـو قانون خلو الزوجين من الامـراض والعلل الوراثية ، فليس فيـه من حد للحرية الفردية بقدر مافى مثيله من القـوانين الاخرى الخاصـة بالامراض من حد للحريات

لقد آن الاوان لنا ان نخطو الخطوة المرتقبـة ونعنى بها تنظيم الزواج تنظيما يضع حدا للفوضى القائمـة وتسـير عملية الزواج داخـله فى اطار عمليات التنمية فى كافة ميادينها

حذار ان تتباطأ اذا كانت لديك قرحة مزمنة فى الشفة او اللسان او اذا تكررت نوبات سوء الهضم . بادر الى الطبيب فقد ينقذك من مرض خطير ...



بقلم الدكتور ابراهيم فهيم

الاستاذ المساعد بكلية الطب
جامعة عين شمس

تعتبر القناة الهضمية من المواضع التى يكثر فيها تكون السرطان ، ويقدرون ان انواع السرطان على اختلافها التى تتكون فى المعدة ، بنسبة الثلث فى الرجال ، والخمس فى النساء . أما سرطان الامعاء الغليظة فتبلغ نسبته ١٥ ٪ من مجموع أنواع سرطان الاعضاء الاخرى . وقد يبدأ السرطان فى الشفة ، أو فى اللسان ، أو فى المعدة ، أو فى الامعاء ، أو فى المستقيم ، على انه فى معظم الاحوال يبدأ السرطان بعد الخمسين ، وتزداد الاصابة به كلما تقدم العمر

والمشكلة الكبرى التى يجب الاهتمام بها فى كافة أنواع السرطان هى المبادرة الى تشخيص المرض، فاذا كانت هناك قرحة مزمنة فى الشفة ، أو فى اللسان ومضت عليها فترة دون ان تزول أو تشفى كان من الواجب الاسراع الى أخذ عينة منها وفحصها ميكروسكوبيا . فاذا ثبت وجود خلايا سرطانية ، أمكن العلاج بالجراحة أو بالراديوم

أما التشخيص المبكر لسرطان المعدة فأمر دقيق ، اذ أن اعراضه مبهمة

والطريقة الوحيدة للتحقق منه ، هى الفحص بالاشعة فحصا دقيقا وبعناية فائقة . ولذلك ننصح من تخطى الخمسين أن يعرض نفسه للفحص بالاشعة عندما يشعر بضيق فى منطقة المعدة

وحبذا لو أمكن تنظيم هذا الفحص وجعله جماعيا فى كل عام ، غير أن هناك بعض الصعوبات العملية التى تعترض هذا النظام الجماعى السنوى

ويقدر نحو ٥٠ ٪ من حالات سرطان المعدة ، التي تشاهد في المستشفيات الكبيرة ، قد فاتها أوان العلاج الجراحي ، اذ أنها لم تشخص في الوقت المبكر المناسب لاجراء الاستئصال التام ، والذي تكون فيه فرص الشفاء كثيرة

وصعوبة البلع ، وخصوصا اذا صاحبه احساس بأن الطعام قدضل طريقة الى المعدة ، سبب هام محفز للاسراع في الفحص بالاشعة ، لمعرفة ما اذا كانت هذه الحالة ناشئة من ضيق الجزء الاسفل من المرىء ، أو من أورامه أو سرطانه

ويجب أن تطبق هذه المبادىء العامة على سرطان القولون ، فاى امساك مفاجىء ، أو اسهال مفاجىء أو تبادل الاسهال والامساك المفاجئين عند متقدمى العمر ، يجب أن يكون محفزا للمبادرة الى الفحص بالاشعة

ويجب ألا يغيب عن البال أن ظهور بواسير لاول مرة في سن متقدمة ، قد يكون ناشئا عن سرطان المستقيم • وعلى الطبيب الا يقتنع بتشخيص البواسير ، بل عليه ان يتحرى أسبابها

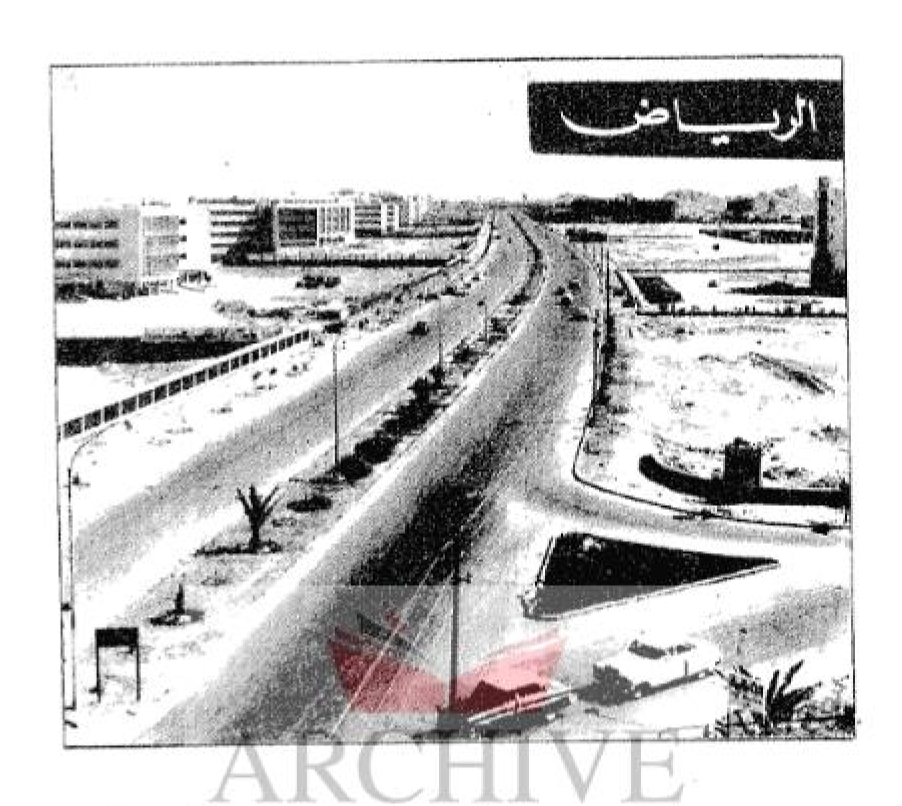
وجميع هذه الاورام يمكن علاجها والتخلص منها بالتشخيص المبكر ، والاستئصال التام الكامل بالجراحة

على ان هناك ورما قولونيا يسمى أميبوما ، لانه ناشىء عن الاصابة بالاميبا ، فمن اهم مميزاته أنه يتلاشى تماما بواسطة حقن الاميتين،

وتنتشر أمراض الاميبا في مصر والهند والسودان ومعظم المناطق الحارة حيث يكثر الذباب • والاميبا كائن حى ميكرسكوبى الحجم ، يعيش في المياه ، وعلى سيقان النباتات المائية• وتتلوث الخضروات ومياه الشرب بأكياس الاميبا « هستولتكا » ، أما مباشرة ، واما بواسطة الذباب ، وتنتقل مع الطعام الى الانسان ، وتمر بالمعدة دون أن تتأثر بافرازاتها ، وتصل الى الامعاء الدقيقة، حيث يذوب الكيس الخارجي بتأثير عصارة البنكرياس ،وتستقر في الامعاء الغليظة • وهناك تتحين الفرص ، وتتحالف مع الميكروبات المحلية ، للتمكن من مهاجمة الغشاء المخاطى ، محدثة به تقرحات عديدة

والسبب في ازمان أميبا القولون وصعوبة علاجها ، هو أن الاميبا تتحصن داخل كيس من أفرازها ، عندما تجد أن الوسط في الامعاء لايلائم نشاطها ، وآذ ذاك لايؤثر فيها أى عقار ، وهى تنتهز الفرص المواتية لتعاود الهجوم من جديد •

ونظرا لصمود أكياس الاميبا بازاء العلاج ، وعدم وجود العقار الكفيل بالقضاء المبرم عليها ، فانه ينبغى المداومة على استخدام العقاقير الاميبية لفترة طويلة من الزمن وعلى فترات ، للحصول على أحسن النتائج


الرياض



مقاومة الطاعون بالزار والسياط

بقلم الدكتور
كمال موسى
اخصائي الأمراض الباطنية والمتوطنة والفيروسية

في منتصف القرن الرابع عشر ، وفي المدة الواقعة بين عامي ١٣٤٨ و ١٣٥٠ ، انشئت جماعة عرفت باسم « جماعة ضاربي السياط » ، وقامت هذه الجماعة بنشاطها لمحاربة مرض الطاعون ، وكانت تؤمن ان مرض الطاعون ليس الا عقوبة سماوية انزلها الله على عباده الضالين الذين عاثوا في الارض فساداً ، وهووا باخلاقهم الى الحضيض ، وانتشرت بينهم الاباحية والفوضى ، ونبذوا معتقداتهم الدينية وتقاليدهم المتوارثة وكان افراد هذه الجماعة يسيرون في صفوف متراصة ، وكل فرد منهم يحمل في يده عصا قصيرة قد ربط اليها ثلاثة سيور من الجلد ويقومون في خلال سيرهم بحركات عنيفة وقفزات وتشنجات ،وتثنيات متباينة كالتي تقوم بها النسوة في « الزار » ، ثم ان حاملي السياط ينهالون على أنفسهم ضربا بهذه السياط حتى يتفجر الدم من اجسامهم ويسيل على ابدانهم ، وهم في غضون ذلك يئنون ويتوجعون، ولكنهم رغم ذلك يظلون يسيرون في صفوف منتظمة . ولقد كانوا يضمرون الخير من عملهم هذا بادىء



أعلى مرضى الرقص في احد المقابر
أسفل الموتى يدفنون مع الاحياء اختصارا للوقت

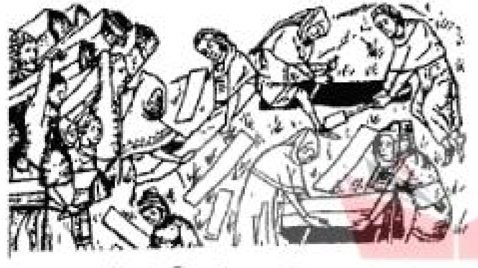
الامـــر ، فقـــد كانوا يؤمنـــون انهم بتعذيب انفسهم مثـل هـــذا التعذيب ، ونأيهم عن اسباب المتعة واللذة ، واهمالهم نظافة اجسامهم وثيابهم ، انما يحاربون هذه الاوبئة الضارية ، وخاصة الطاعون ٠ وقد انتشرت دعوة هذه الجماعـــة فى كثير من الامم ، ورضى عنها خلق كثيرون فى المانيا وفرنسا وهولنده والسويد وبولندا ٠ أما فى سويسرا فقد هزأ القوم بهذه العادة وسخروا منها

ولم يكن أحد من هذه الجماعـــة وهو يطوف بالبلاد يلجأ الى التسول ولكن الاهالى كثيرا ماكانوا يدعونهم الى تناول الطعام من تلقاء انفسهـــم فيقبلون الدعوة شاكرين

ولقد حدث مرة أن اضطر القيصر كارل الرابع الى البقاء فى مدينـــة بون ــ وهى عاصمة المانيا الغربية فى الوقت الحـــاضر ــ ولم يذهب الى مدينة آخن ، حيث كان مقررا اقامة حفلة تتويجه فى عام ١٣٤٩ وكان السبب فى الحيلولة دون انتقاله الى مدينة آخن هو تجمع ما يقـــرب من ٨٠٠,٠٠٠ نفس من ضاربى السيـــاط فى الشـــوارع والطرقات المؤدية الى مدينة آخـــن

ولقد قمت ببحث هذا الموضوع واقتنعت اخـــيرا أن تلك الحركات البدنية التى كانت تقوم بهـــا تلك الجماعة هى الاســـاس الذى تدرج وتطور حتى أصبح «الزار» المعروف فى مناطق الشرق الاوسط وشمالى افريقيا

على أن الاصل الذى قامت عـــلى أسسه هذه الجماعة « جماعة ضاربى السياط » لم يدم على حـــاله ، بل تدهور ودب فيه الفساد شيئـــا فشيئا ٠ ففى جنوه ، الميناء الايطالى تأسست جماعة من ضاربى السياط واتخذت لها شـــعارا رداء ابيض ناصعا ، وكانت تؤدى حركاتهـــا فى الشوارع ، ولكنها ما لبثت فى عام ١٣٩٩ ان تطورت وحادت عن هدفها ، وهو مقاومة الطـــاعون ، واصبحت تقوم بالرقص الجمـــاعى



كان الاحياء دائما منهمكين فى دفن الموتى

فى الشوارع وهى نصف عاريـــة تقريبا ، فى غير حياء أو خجـــل ، وقد بلغ الاستهتار بالنســـاء من أفراد هذه الجمـــاعة ان كن يمزقن ثيابهن وهن فى نشوة الـــرقص ، فتبدو للانظار اجســـامهن وهى تكاد تـــكون عارية ٠ وتظل هـــذه الجماعة ، رجالا ونساء واطفـــالا ، يسيرون وهم على هذه الحال حتى يبلغوا المقابر ، وهناك يشرعون فى الرقص وفى الاتيـــان بحـــركات وتشنجات هستيرية ٠ وكثيرا ما كانت تنتهى هذه الرقصات الى ما

يخالف الآداب ولا يتفق مع الكرامة
وفي عام ١٥١٨ ظهر هذا الوباء في مدينة ستراسبورج بالمانيا ، فكان الاهالي يشاهدون جماعات « المجذوبين » أو « مجانين الرقص» من الكهول والشبان والنساء والاطفال ، ليلا ونهارا · ومن المصادفات العجيبة أن ظهور وباء الرقص في ذلك العصر كان يعد دليلا على قرب انتشار الطاعون ، فكان الناس يرون المنذر الاول بقرب انتشار الطاعون كثرة الفئران ، أما المنذر الثاني فهو وباء الرقص · والفئران كما هو معلوم هي الحيوانات التي تعد العائل الاصلي لميكروب الطاعون ، فاذا انتشر هذا الميكروب بين الفئران ، هجرت جحورها ، وتشردت في الطرقات ، ويموت بعضها في الشوارع في حين أن المعروف انها من الحيوانات المشهورة بحذرها وسرعة اختفائها عن عيون الناس

ولقد قيل أن هذا الرقص الهستيرى انتقل من انجلترا الى فرنسا بوساطة رجل انجليزي يدعى « ماكابر » · ولم يقف هذا الرقص الهستيرى في انجلترا على الشعب والسوقة بل شوهد وسط حلقات الرقص دوق بدفورد وزوجته ، ولم يوجه احد لهما نقدا

ولقد وقفنا على قصة تبين في وضوح أن « الزار » جاء من اوربا الى البلاد الشرقية في غضون الحروب الصليبية · ففي عام ١٢١٢ تجمع أكثر من الفي صبي حول صبي من كولونيا عمره أربعة عشر عاما ، وقد أصيبوا جميعا بهستيريا الرقص ، وانطلقوا جميعا عبر غابات أيرفورت الالمانية في طريقهم الى مدينة القدس · وقد جاء في بعض المراجع أن عدد هؤلاء الصبية أربى على عدة الاف ، ثم لم يعرف عن مصيرهم شيء حين وصلوا الى جنوبي ايطاليا ، الا أن بعض الاتراك أسروا جانبا منهم وباعوهم كعبيد ، ومن المعروف كذلك ان بضعة الاف من الاطفال قد لاقوا حتفهم بسبب الطاعون في مدينة هاملين الالمانية عام ١٢٤٨ ايام الحملات الصليبية

وكان الطاعون يطيح بحياة مئات الالوف ، ففي القرن الثامن عشر مثلا كان الناس في بعض المقاطعات الالمانية يدفنون الموتى مع المرضى اختصاراً للوقت ، وتسهيلا لمهمة الدفن · وكانت الاوقات العصيبة التي تمر بالناس ، وما يعانونه من خوف وجوع من أكبر الاسباب لانهيار الاخلاق وتلاشي الصفات الانسانية ومن الامثلة المروعة ان مريضا بالطاعون وكان اعمى اقدم على خنق اربعين مريضا ومريضة ، واعتدى على فتاتين قاصرتين ، ولم يمنعه مرضه من ارتكاب كل هذه الجرائم البشعة

ومن العجيب حقاً أن الجوع والمرض لم يحل بين الناس وبين جرائمهم الجنسية · غير أن التجارب الحديثة دلت على أن الجوع رغم

ما يسببه من هبـوط ونقص في القوى لا يؤثر في الاعضاء التناسلية لانها أكثر اعضاء الجسم احتمالا لوطأة الجوع

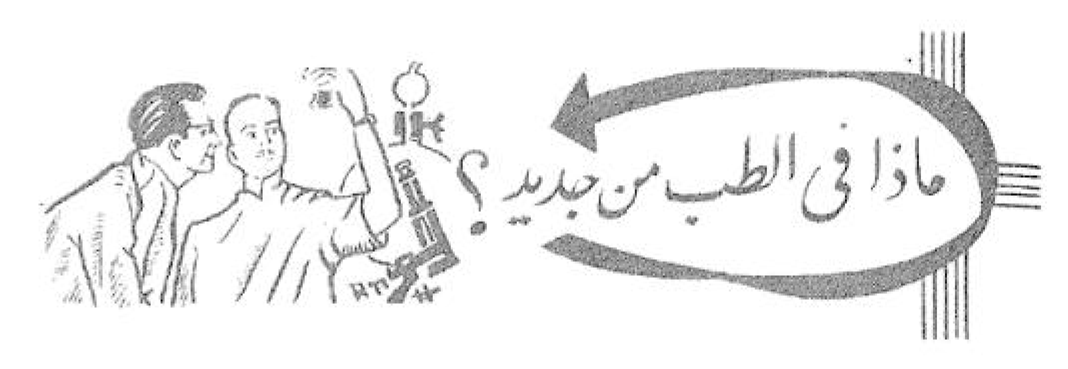
ان هناك تشابها كبيرا بين حركات الرقص الهستيرية التي تحدثنا عنها والتي كان يقوم بها ضاربو السياط وبين حركات الزار لقد كان الغرض من الرقص عند ضاربي السياط هو التعذيب لمقاومة الوباء عن الانتشار أي أن الغرض الطبي موجود ، والغاية من الزار هو العلاج من امراض نفسية ، أو من امراض جسمية مفروض انها جاءت من « دخول الجن جسم المريض » . والى جانب ذلك فان هناك شبها في حركات الرقص في الحالتين

وأصل كلمة « الزار » غيرمعروف لغويا ، ويقول البعض انه جاء من كلمة « زارا » وهو اسم مدينة في شمالي بلاد فارس (ايران) ، ويقول البعض الآخر أنه مشتق من اسم مدينة في اليمن ، ويقول بعض ثالث أنها كانت امهرية محرفة من الاسم يار وهو في الديانة القديمة آجاو . والعجيب أن « لين ـ Lane » لم يأت على ذكر الزار فيما كتبه عن الشرق

نحن وان كنا نعتقد أن الزار قد وفد الى الشرق مع الحروب الصليبية وانه تطور مع الزمان والمكان ، الا أننا لا نستطيع أن نجزم بذلك . غير أن المعروف أن عادات الشعوب تنتقل من مكان الى مكان ، ويطرأ عليها التطور والتغير اللذان يناسبان تلك الشعوب ، وأن بعض العادات يندثر على مر الايام ولا يبقى منها الا الذكر في المكتبات والمتاحف ومن الحقائق المقررة أن كثيرا من العادات والتقاليد تنتقل من أمة الى أمة عن طريق الحروب وتبادل التجارة ، ففي كلتا الحالتين يتم الاتصال بين الشعوب




آلام الصداع
تغلب عليها بأقراص
Rivo
خير علاج لوقايتك من:
الزكام
التهاب اللوز
الروماتيزم
آلام الأسنان
الانفلونزا
البرد
آلام الدورة الشهرية
توتر الأعصاب
يباع في كل مكان
مؤسسة ريفو
الزيتون - مصر



هذا الباب يحرره الدكتور احمد حلمى شاهين المدير العام لمصلحة الصحة الاجتماعية

انتصارات على السرطان

جاء فى التقرير الرسمى لمعهد « سلون » للسرطان بامريكا بيان ما توصل اليه فى فى مكافحة السرطان والانتصار عليه

١ – استخدام العلاج بالهرمونات على مدى طويل ونطاق واسع فى حالات سرطان الثدى المتأخر الذى لا يجدى فيه الاستئصال الجراحى

٢ – وجد العلماء انه فى حالات سرطان الامعاء الغليظة الذى بدأفى الانتشار واختراق جدران الامعاء يمكن استعمال الاشعه السينية قبل العملية . وهذا يمنح المريض ٢٠٪ زيادة فى العمر وكذلك يمكن استعمال هذا العلاج فى الحالات التى يمر عليها خمس سنوات بعد العملية

٣ – اجريت دراسات مفصلة وعميقة عن تكون وتغيرات وافراز مادة « ستيرويدز » وهى مادة قوية خاصة تفرزها الغدد الجنسية وغدد فوق الكلى . وهذه الدراسة مهدت لتقدم جديد يتيح للعلماء تحديدعمل هذه الغدد فى تأثيرها على السرطان وربما امكن باستعمالها الوصول الى اسباب بعض انواع السرطان وازالتها قبل حدوثه

٤ – أمكن التوصل الى فيروس سرطان الدم فى الفيران واستحضر مصل أحدث مناعة ، ولكن هذه المناعة تجدى فقط ضد هذاالفيروس بالذات

٥ ـ اكتشفت طرق كيماوية لايقاف عمل هرمون الغدة النخامية المنبهة للغدة الدرقية والمسئولة احيانا عن زيادة نشاطها . وباستعمال هذه الطريقة ربما لا يلجأ الى التدخل الجراحي لبعض أمراض الغدة الدرقية وسرطانها

٦ ـ وجد أن نسبة الشفاء في حالات سرطان عنق الرحم عند السيدات في بدايته صار ٥٥ ٪ بينما كانت النسبة منذ عشر سنوات ٤٠ ٪

٧ ـ هناك أمل كبير في الحصول على طريقة لتشخيص حالات السرطان في البداية عن طريق مادة خاصة في الدم ، وهي مركبة من اتحاد بين الدهنيات والسكريات ..

٨ ـ وجد استعمال دوائين أجدى من استعمال دواء واحد في علاج حالات سرطان الدم الحاد

٩ ـ هناك تقدم في علاج مضاعفات الجهاز العصبي المركزي في حالة سرطان الدم عند الاطفال

وهذا نتيجة ادخال مادة اسمها « ميتوتركسيت » في النخاع الشوكي

مستلزمات العبقرية

أياك أن تنهر ابناءك اذا ماصرخوا وملئوا جوانب البيت صخبا أو ضجيجا بل شجعهم على الصخب والضجيج ..فربما كان أبناؤك عباقرة .هكذا يقول دكتور هيرمان اخصائي الاطفال بكلية « نور ثوسترن » فهو يقول : « ان الاطفال كثيري الصراخ يشبون عادة ليكونوا قادة ، لهم اصدقاء كثيرون ، ويظهرون نبوغا في الرياضة ، ويتقدمون في المدرسة ويتزعمون زملاءهم في الفصول »

ويقول دكتور هيرمان : « أن الاطفال الصاخبين يختزنون في انفسهم طاقة لاحد لها . وهم لا يستطيعون اطلاقها الا بالصراخ

« مثل هؤلاء الاطفال ينضجون بسرعة ، ويبكرون في الجلوس ومسك الاشياء والمشي ، وعادة يسبقون اعمارهم في التفكير والنمو وهؤلاء الاطفال يشقون طريقهم في الحياة ويقفزون من نجاح الى آخر في طريق كله ثقة وقوة »

وينصح دكتور هيرمان زملاءه الاطباء أن يوضحوا لآباء هؤلاء الاطفال الصاخبين أن ابناءهم في مستوى أعلى من المتوسط ، وليطمئنوا هؤلاء الآباء أن مستقبل ابنائهم عظيم وان ما يزعجهم الآن سيسعدهم في المستقبل

ولادة الاطفال

وما دمنا قد تكلمنا عن الاطفال العباقرة النابهين فلنتكلم عن التعساء

من الاطفال الذين يولدون وبهم عاهات خلقية • هل يمكن لنا أن نقضى على اسباب اصابة هؤلاء الاطفال وهم فى بطون أمهاتهم ؟

أن هناك نظرية جديدة يقدمها لنا دكتور « ليندون » بمعهد سانت برنابا بنيويورك ، وهو يقول أن الاجهاد اثناء الحمل ربما كان سببا اهم من الوراثة فى احداث عاهات بالطفل • والمقصود بالاجهاد الذى يؤثر على الجنين هو نقص الاوكسجين والتعرض للاشعة السينية ، ونقص الفيتامينات والاصابة بامراض فيروسية ، وزيادة افراز الكورتيزون • والعاهات التى يقصدها دكتور « ليندون » هى شق شفة الطفل وسقف الحلق الذى يظهر بنسبة طفل لكل الف ، وهذه العاهات يمكن تلافيها لو ازيل السبب • ويؤكد صاحب الفكرة الجديدة أنه كان المعتقد فى الماضى أن الوراثة هى المسؤلة عن العاهات ولذلك تعثرت المحاولات لتلافيها • والحقيقة التى وصل اليها الدكتور لندون أن تأثير الوراثة يكون فى حالة واحدة من كل اربع حالات •• أما الثلاثة الباقية فعوامل الاجهاد المذكورة هى السبب

ويقول نبأ أن الدكتور «ليندون» قام باعطاء كميات كبيرة من فيتامين حامض الفوليك ، وب ٦ لامهات سبق أن انجبن اطفالهن بعاهة شق سقف الحلق ، وكانت النتيجة أن الابناء الجدد ولدوا فى حالة سليمة

التشخيص السريع

من أهم العقبات التى يصادفها كل من المريض والطبيب كيفية تشخيص المرض باسرع وقت ممكن حتى يستطيع وصف العلاج الصحيح فيشفى المريض سريعا ويبدو أن هذه العقبة فى طريق الحل ان لم تكن قد حلت بالفعل • فقد كتبت مجلة (رسالة اخبار العلم) انه قد اكتشفت طريقة حديثة للتشخيص أهم صفاتها السرعة والسهولة ، وهما الصفتان اللازمتان للتقدم خطوات كبيرة للامام نحو مقاومة روماتزم القلب ، وشلل الاطفال ، والانفلونزا ، ومرض الكلب ، والدفتريا ، وامراض أخرى كثيرة • والطريقة الجديدة تتلخص فيما يلى • ولنختر مثلا مرض شلل الاطفال

يوضع دم الشخص الذى نشك فى مرضه على شريحة ، ثم نأتى بدم حيوان سبق أن طعم بميكروب شلل الاطفال ونتج عنه وجود المضادات الجسمية ، ونعطيه صبغة فوسفورية ونضيفه بعد ذلك على الشريحة السابقة •• فاذا كان هناك ميكروب

شلل الاطفال فى دم المريض المشتبه فيه فان المادة الفوسفورية ستلتصق به وعند غسل الشريحة تظل هذه المادة موجودة بالشريحة ويمكن رؤيتها بالاشعة فوق البنفسجية كنقط مضيئة مثل اضواء النيون ٠ وقد أثبتت هذه التجربة نجاحا كبيرا في حوالى ٥٠ مريضا وقدكان نجاح هذه التجربة على مرض الكلب ١٠٠ ٪

وتعلق مجلة رسالة العلم على الخبر فتقول : « ان هذه الطريقة سهلة جدا حتى ان كل مركز علاجى محترم يجب عليه أن يستعملها »

الحركة أثناء العمليات الجراحية

يقول الجراحون فى كندا : « ان الحركةأثناء اجراء العمليات الجراحية تمنع حدوث الجلطات الدموية الخطيرة على حياة المريض ٠ وليست الحركات التى يقصدها جراحوكندا أى حركات كانت ، ولكنهم يقررون أن الحركة التى يقصدونها تأتى عن طريق صدمات كهربائية لعضلات الساق التى تحدث فيها انقباضات وتساعد على دفع الدم الى القلب

فقد ثبت أن ركود الدم فى الساقين هو السبب الرئيسى فى تكون الجلطات الدموية التى تأخذ طريقها الى القلب وتسد الشريان الرئوى ٠ وعليه فان هذه الحركة ستقلل من الجلطات الى نسبةكبيرة ونحن نسوق هذا الخبر الى المسئولين عن الجراحة هنا من زملائنا الاطباء عساهم يبحثون الامر لعلهم يفيدون منه فتقل الوفيات الناتجة عن الجلطات الدموية التى تصيب المريض خلال العمليات الجراحية

الالم لى وحدى

◆ قال فردريك شوبان الموسيقى ذائع الصيت :
« اذا كنت لا أجد اليوم من يعيننى فى بلواى ، ولا اعرف وسيطا بينى وبين تلك الغادرة ، فقد كنت وحدى كذلك عندما وقعت فى شباكها ، وكنت وحدى حين تمتعت بجمالها ، فعلى اليوم أن احتمل الالم وحدى ! »

الرجال والنساء

◆ من الرجال من يحملون بين ضلوعهم قلوبا ارق من قلوب النساء واكثر دهاء ، ولكنهم يعيشون اشقى من النساء اللاتى مزجن الرقة فى قلوبهن بالدهاء ، اتعرف لماذا ؟

السبب ان دهاء المرأة غير مشوب بالغباء ، اما دهاء الرجل .. فوا أسفاه !

« لابروير »

طبيب الهلال يجيبك



نرجو من حضرات القراء أن يذكروا أسماءهم وعناوينهم واضحة، ونلفت حضراتهم إلى أن ما يوصف من علاج لهو من قبيل التنوير والإرشاد.

يشترك في الرد على هذه الاستشارات حضرات الأطباء الآتية أسماؤهم، مرتبة بحسب الحروف الأبجدية:

الدكتور ابراهيم فهيم
» أنور المفتي
» صلاح الدين عبد النبي
» عبد الحميد مرتجى
» عبد المجيد شهدي
» عز الدين السباع
الدكتورة عظيمة السعيد
الدكتور فخر الدين عبد الجواد
» كامل يعقوب
» كمال محمود موسى
» محمد الظواهري
» محمد خطاب
» محمد شوقي عبد المنعم
» محمد فريد على رعية
» محمد مختار عبد اللطيف
» مصطفى الديواني
» محمود حسني
» يحيى طاهر

لمنع القيء

لى ابن سنه ٦ سنوات ، اصيب منذ عامين بالدودة الشريطية ، وقد عولج بواسطة طبيب الانكلستوما عدة مرات ، ولكنه مع الأسف كان يقيء « الشربة » المسهلة بعد تناولها بعشر دقائق ، وما زلت فى حيرة لانقاذ ابنى ، فبم تشيرون ؟

عبدالله مصطفى احمد
مدرس بأسيوط ـ الاقليم الجنوبى

• لـكى تتحاشى حدوث القيء عقب تعاطى « الشربة » فى مستشفى الانكلستوما ننصح بتعاطى حبة من اللومينال او الغينوبربيتال بمقدار ثلاثة سنتيجرامات ، وذلك قبل تعاطى « الشربة » بربع ساعة

سائل مائى

انا شاب تزوجت فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها ، وقد وجدت انه عند الاجتماع بها يتدفق منها سائل مائى لا اعرف علته ، فهل من علاج لهذه الحالة التى تسبب لى انزعاجا ؟

الحاج على
ستار المدينة ـ السودان

• يغلب أن تكون السيدة حرمكم مصابة بالتهاب في الرحم ، ويستحسن عمل تحليل لهذه المادة التي تنزل منها ، لمعرفة ما اذا كان بها ميكروب من عدمه ، واخذ العلاج اللازم ان وجدت جراثيم . والى ان يتم ذلك عليها ان تأخذ دوشات مهبلية منظفة مثل بودرة بوكارال « Bocaral » ولبوس اكتيول مع الجلسرين ، وبنسلين اقراص « Ospen » كل ٦ ساعات قرصا مدة اسبوع

الحبال الصوتية

انا شاب عمري ١٧ سنة ، وقد اصبت بالسعال الديكي عندما كنت طفلا ، فتغير صوتي ، واصبح الآن يشبه صوت النساء تماما ، واتكلم بصعوبة وقد عرضت نفسي على بعض الاخصائيين ، فقالوا ان الاوتار الصوتية مشلولة ووصفوا لي علاجا ، ولم يفد العلاج . وقد تركت المدرسة خجلا من نفسي لاني لا استطيع الكلام مع الطلبة او المدرسين ،فهل اذا أتيت الى القاهرة يمكن علاجي ؟ وما هو العلاج الذي يجب ان اتعاطاه الآن ؟

ع.ع.ك
كوت ـ العراق

• ما دام الشلل بالحبل الصوتي قد مضى عليه اكثر من سنة ولم يتحسن ، فسيبقى كذلك للنهاية . ارى ان علاجك هو في التمارين الصوتية ، عند احد مدرسي الموسيقا

لا ضرر مطلقا

انا شاب في الثالثة والعشرين من عمري ، ولي خصية واحدة هي اليمنى ، فهل في ذلك ضرر ، وانا اشكو النحافة ، علما بأني مقبل على الزواج ، فهل من علاج ؟

سمير . م
القاهرة

• لا ضرر مطلقا من وجود خصية واحدة فانت قادر على الزواج فلا تخف . اما من النحافة فيمكنك ان تستشير طبيبا خوفا من ان يكون لديك مرض هو الذي يسبب النحافة

حالة نفسية

كنت في صحة تامة وحالة معنوية طيبة حين سافرت من وطني لبنان الى ليبيريا في افريقيا الغربية وهناك اعترتني حالة مرضية قال لي طبيب عنها انها نتيجة ملاريا ، ولكني احسبها حالة عصبية . وفي بعض حالات المرض اشعر بمثل دبيب النمل يسري من قدمي الى راسي . فعدت الى لبنان وعرضت نفسي على مستشفى الجامعة الامريكية فلم يجدوا عندي مرضا رغم ضعفي الشديد ، وطلبوا مني ان اذهب الى احد المصايف ورغم قضائي ثلاثة اشهر فلا ازال احس بالمرض وبعدم الرغبة في الاكل وقد اشار علي اخيرا احد الاطباء ان عالج بالصدمة الكهربائية ، فما راي طبيب الهلال في امري

جورجي عبدالله
لبنان الشمالي

• هذه حالة نفسية تحتاج لتحليل وعلاج نفسي طويل ، وقد تكون بحاجة الى العلاج بصدمات الانسولين ، ولذا ننصح بدخولك مستشفى للامراض العصبية ، لعمل العلاج اللازم

عدم اعتدال القامة

انا شاب في الخامسة والعشرين ، اشكو عدم اعتدال قامتي مع الم في الظهر يشتد اثناء الجلوس ، واشكو كذلك من صداع مزمن ولا استطيع تركيز عقلي في شيء ، ولم يفد اي علاج تعاطيته ، وقد حاولت الانتحار مرارا فلم افلح في ذلك . والآن اريد علاج نفسي فهل اجد لديكم العلاج ؟

شاب يائس
(بدون عنوان)

• ما هو نوع عدم اعتدال القامة ؟ وهل هو حديث ام خلقت به ؟ والمرجح عندي ان عدم اعتدال قامتك قد اورثك عقدة نفسية ، فجعلك تشكو من كل هذه الشكاوى العصبية كالصداع والخمول الى غير ذلك بدليل انك حاولت الانتحار ، وذلك لضيقك بالحياة ، وخاصة لانك شاب ، مع ان شكواك بسيطة . فاعرض اولا نفسك على طبيب عظام ليرى السبب في عدم اعتدال القامة وقد يستطيع علاجه ، وبعد ذلك ستصفو لك الحياة . واذا لم يكن هناك سبب ، فعلى الانسان ان يعيش في حدود ما اعطي له ، ويسعد بما لديه

عدم الحمل

تزوجت بامراة كانت متزوجة قبلي ، وعمرها الآن ٣٧ عاما ولم انجب منها للآن . انها طويلة القامة ، رقيقة الجسم ، وعادتها الشهرية غير منتظمة ، فهي احيانا تأتي متأخرة فهل لها من دواء عندكم ؟

م. س. السودان

• ابدأ بنفسك اولا . فعليك بتحليل الحيوانات المنوية لمعرفة مقدرتك على الاخصاب ، وبعد ذلك ان ثبت انك سليم من هذه الناحية ، فاعرض زوجتك على اخصائى فى الامراض النسوية ، لمعرفة انسداد البوقين من عدمه بعملية نفخ او بالاشعة ، وبعد ذلك تأخذ العلاج المناسب أن وجد داع لذلك

حالة رشح ولا رشح

يلازمنى فى فصل الشتاء احتقان فى الانف مثل الرشح ولا يوجد رشح مطلقا ، بل افعل كما يفعل مريض الانفلونزا

وانا فى الحادية والعشرين وشهيتى للاكل قوية ، وأتناول كثيرا من الطعام ومع ذلك فانى نحيف ، وانام كثيرا ، حتى لو تركت لشأنى لنمت الليل والنهار فهل من دواء لهذه الحالات ؟

طلعت عبده عيسى
المنزلة ــ دقهلية ــ الاقليم الجنوبى

• ننصح لك بتعاطى حبوب كورسيدين « Coricidine » بمعدل حبة بعد الاكل ، ووضع نقط انتستين بريفين « Antistine Privine » فى الانف مرتين او ثلاث مرات يوميا

بواسير

انا شاب فى الثالثة والعشرين من عمرى ، احس عند التبرز بانتفاخ فى فتحة الشرج وهبوطه بمقدار نصف سنتيمتر تقريبا ، ويحول هذا الانتفاخ دون التبرز . وفى احد جوانب الشرج بروز وفيه قطعة لحم تخرج من الداخل فهل هذه حالة بواسير ام ماذا ؟ وفى بعض الاحيان يكون البراز ملونا بالدم . فارجو افادتى عما يتبع فى العلاج

عبدالتواب محمود ابراهيم
الفيوم ــ الاقليم الجنوبى

• يجب الكشف عند طبيب جراح ، اذ المرجح ان عندك بواسير ، لان عندك كما تقول زوائد فى فتحة الشرج ، ولانه ينزل منك دم فاحذر الامساك اولا ، ويمكنك استعمال لبوس بعد التبرز

العمود الفقرى العنقى

اصابنى مرض نفسى منذ شهور وشفيت منه ، ولكننى لا ازال احس فى مفاصل الرسغ فى يدى وفى رقبتى ومنطقة الصدر الى والعقعقة ، كأن هناك تصادما فى العظام بعضها مع بعض . وهناك شعور بصداع وقد اسقط على الارض ، فهل لديكم علاج طبى ينقذنى من هذه الآلام ؟

مظفر سليم
الموصل ــ العراق

• ننصح بعمل صور اشعة على العمود الفقرى العنقى لمعرفة سبب هذه الحالة التى تشكو منها

كثرة العرق

انا شاب فى التاسعة عشرة من عمرى ، نسبة افراز العرق فى جسمى كبيرة ، وفى مكان واحد هو تحت الابطين صيفا وشتاء وفى فصل الشتاء تقل عادة نسبة العرق ، ان لم تنعدم ، ولكن حالتى غير ذلك فالعرق يزداد كلما تقل درجة الحرارة فى الجو ، وقد قال بعض الاطباء هذه الحالة بضعف فى الجسم ، فاخذت بعض الادوية المقوية ولكن دون فائدة . وكثيرا ما اضع المنديل تحت ابطى حتى لا يظهر العرق على ثيابى الخارجية . فهل من علاج لهذه المشكلة ؟

محمد صلاح احمد حسن
المنيا ــ الاقليم الجنوبى

• هذه الحالة لا تتحسن باستعمال العقاقير ، وانما يمكنكم تعريض المكان الذى يحدث فيه العرق الغزير لاشعة اكس عند طبيب اخصائى فى الاشعة

ضعف اليدين

انا شاب فى الرابعة والعشرين من عمرى ، متزوج من شهور ، ولا اشكو باى الم سوى نوبات من البرد اعالجها بنجاح ولم تؤثر على صحتى ابدا بل يزداد وزنى الحين بعد الحين ، وتتضح هذه الزيادة فى الوزن فى الوجه والكتفين ، غير ان اليدين لا تتضح عليهما اية زيادة . أرجو افادتى عن علاج اليدين لانهما ضعيفتان اذا ما قورنتا ببقية الجسم

م . أ . م
طرابلس الغرب ــ ليبيا

• هذه شكوى فريدة فى بابها ، على انه يمكنك استشارة طبيب ليرى بعينيه هذه الحالة ، وليكون على بينة من الامر . فاذا لم يكن هناك مرض ، فقد يفيدك القيام ببعض تمرينات رياضية لليدين

آلام عديدة

اننى اشكو من آلام المفاصل فى ذراعى ورجلى ، فلو رفعت اى شىء ، او اشتغلت

باى عمل ، اشعر بان ذراعى غير متصلتين بجسمى ، واحس بالم شديد ، ويرتعش الجسم ، ويصفر وجهى ، ويزداد دق القلب، فاضطر الى الجلوس . وهذه الحالة تلازمنى منذ ثلاث سنوات ، غير انها ازدادت فى الايام الاخيرة . وانا عمرى ٢٥ سنة ، فهل ارجو ان تصفوا لى دواء يشفينى من هذه الالام ؟

محمد محمد رضوان
جرجا – الاقليم الجنوبى

• من الواجب ان يتولى طبيب فحصك حتى يستطيع ان يرى سبب الدق فى القلب، والاصفرار الذى يعلو وجهك ، والذى يصاحب اية حركة منك. ولتعلم ان الامراض تتشابه كثيرا ، ولو ان الشكوى تكون واحدة. وفى مثل حالتك قد يكون المرض انيميا بسيطة ، وفى هذه الحالة تعالج بقليل من دواء الحديد ، وربما يكون عندك مرض آخر فى اى عضو من اعضاء الجسم ، ولهذا يلزم ان تعرض نفسك على الطبيب.

واذا كانت حالتك المالية لا تسمح لك بذلك ، ففى مدينة جرجا مستشفى حكومى وبه كثير من الاطباء الذين يسعدهم علاجك من هذه الحالة ، فاذهب ولا تتردد

ردود خاصة

– ع.ع.س – الرياض . المملكة السعودية

ننصح لكم بتعاطى دواء «ب.ج. فوس – B.G. Phos» بمعدل ملعقة صغيرة قبل الاكل ٣ مرات يوميا . ولا تفكر فى موضوع العادة السرية ، فان التفكير فيها وفى تأثيرها يضر اكثر من ممارستها

– رفيق م.ع – بيروت . لبنان

لتضخم الكبد اسباب كثيرة لا يمكن شرحها هنا . فيحسن بكم الاستعانة بطبيب باطنى، والاستمرار معه فى العلاج حتى تشفى باذن الله

– محمد على محمود – ملوى . الاقليم الجنوبى

قصر القامة قد يكون وراثيا ، وقد يكون نتيجة اضطراب فى غدة الجسم الصماء ، وفى الحالة الاخيرة يحسن بكم عرض نفسك على طبيب اخصائى فى الغدد ، وهو الذى يستطيع أن يقرر ان كان السبب من الغدد أم لا

– فايز محمد شاهين – زفتى . الاقليم الجنوبى

ننصح لكم بتعاطى حقن الستربتومايسين مع البنسلين بمعدل حقنة يوميا لمدة اسبوع

– محمد محجوب على – الدار البيضاء . المغرب الاقصى

شلل الرجلين على انواع كثيرة ، فاى الانواع تشكو منه حتى يمكن وصف علاجه ان وجد ؟ يحسن بك الاستمرار فى علاجك مع الاطباء

– محمود يحيى – الخرطوم . السودان

ننصح لكم بالدخول فى المستشفى الاميرى بالخرطوم ، وذلك لعمل صورة بالاشعة للصدر، واخذ الدواء المناسب بعد تشخيص المرض

– احمد ابراهيم حسن – الخرطوم . السودان

ما هو المرض الذى تقول عنه انه برائك؟ وقد قلت ان القولون قد هدات آلامه ، ولكنك عدت تقول ان شهيتك للطعام والكلام قد قلت !! فهل هذا ضيق من الحياة ؟ ام ان فى الامر مرضا آخر ؟ استشر طبيبا ، فقد يجد هناك مرضا ، والا كانت الحالة كلها حالة نفسية يشفيك منها طبيب فى التحليل النفسى

– م.د.م – خزان اسوان – الاقليم الجنوبى

المهم فى حالتك هو البحث بمعرفة الطبيب المعالج عن اسباب الضعف الذى تشكو منه، فاذا لم يكن هناك سبب خاص ، فاننا ننصح لكم بتناول الاطعمة المغذية ، والادوية المقوية المحتوية على الفيتامينات والمواد الحديدية

– ف.ل.ع – حلب . الاقليم الشمالى

ما دام عمرك لا يتجاوز ١٦ سنة ، فكن على يقين من ان قامتك ستطول مع الوقت حتى تصل الى سن العشرين . وليس هناك دواء لاطالة القامة ، الا اذا كان هناك اضطراب فى وظائف الغدد الصماء ، وهذا ما لم يستدل عليه من جوابك . ويحسن بك فى هذه الحالة ممارسة الالعاب الرياضية ، وخاصة « العقلة » ، وتناول الاطعمة المغذية والادوية المقوية









لماذا تتورد وجنتاك ؟

ان احمرار الوجوه من الظواهر الغريبة . فان مايؤثر على شخص فيجعل وجهه قرمزيا ملتهبا قد لايؤثر على شخص آخر اقل تأثير

وقد ثبت من تجارب العلماء ، ان الرجال اكثر عرضة لاحمرار الوجوه من النساء ، وان الشقر من الجنسين أسرع من ذوى البشرة القمحيـة اكتسابا لهذا اللون الوردى . ومن النادر أن تحمر وجوه قصار القامة ، بينما أصحاب الاجسام البدينة معرضون للاحمرار اكثر من سواهم . كذلك وجد أن الاطفال دون الرابعة والمتقدمين فى العمر لايعرفون هـذه الظاهرة . فكثيرا مانجد اناسا فوق الخمسين من العمر فى مواقف اشـد ماتكون مثارا للارتباك والخجل ولـكن وجوههم تظل أبعد مـاتكون عن الاحمرار

وقد اثبتت التجارب أن الرجال يخجلون بسرعة ، وان مايجعل وجوه الرجال تشبه قوالب الطوب الاحمر قد لايؤثر على النساء مطلقا . وقد ثبت من التجارب ان ٧٠ فى المائة من الرجال يندفع الدم غزيرا الى وجوههم حين يحاول أحد التهكم عليهم ، وان ٦٧ فى المائة تتورد وجنتاهم عند التحدى ،

وأن ٥٧ فى المائة عندما يرتكبون أقل خطأ فى ارتداء ثيابهم ، أما الغضب فانه يكسب ٦٠ فى المائة من النساء ذلك اللون الوردى بينما لاتسبب السخرية تورد الوجنات الا فى ٥٢ فى المائة من النساء

وقد أثبتت التجارب أيضا أنه عندما تروى قصة من الادب المكشوف فى مجتمع من الجنسين ، فان الرجال يكونون أكثر عرضة لتورد الوجنات من النساء . ويؤثر الخجل فى الناس تأثيرات مختلفة . فالبعض يتهته ، والبعض يعجز مؤقتا عن الكلام . وكثيرون يتصبب العرق من أجسامهم فى الوقت الذى تصطبغ فيه وجوههم باللون القرمزى . وقد وجد أن من الناس من تبدأ الحمرة فى احدى وجناته ثم تنتقل الى الوجنة الاخرى ، وأن احمرار بشرة الرجل يتوقف عند أسفل الزور بينما يسرى أحيانا فى المرأة حتى يصل الى منتصف صدرها

نحن نجيبك

النمش صيفا

● انا سيدة شابة فى العشرين من العمر ، بشرة وجهى بيضـــاء . ومما يلفت نظرى ازدياد النمش فيه خلال فصل الصيف مما يزعجنى كثيرا فهل هناك خطورة من وجوده ؟ وهل من علاج ؟

سلوى . س . بدمشق

ـ لا تكاد تسلم أية بشرة وخاصة البيضاء من النمش سواء أكانت جافة أم دهنية . ويزداد النمش فى الاجزاء المعرضة للشمس وخاصة الانف والخدين ، وقليلا ما يظهر على الصدر أو اليـــدين . ويزداد النمش فى الصيف بتوالى أشعة الشمس ، ويقل أو يزول شتاء . ويزداد عند الشباب ، ويقل عند متقدمى السن . والنمش يظهر على الجلد على شكل بقع ملونة سمراء داكنة ، أ[illegible] اللون ، أو صـــفراء ، حسب كمية و[illegible] مادة الملونة (الميلانين) التى تتكون من تأثير أشعة الشمس والاشـــعة فوق البنفسجية على الخلايا العميقة من البشرة

ولعلاج النمش .. توضع بحذر كبير مواد وأحماض مركزة على الجـــلد ، كى تزال الطبقة السطحية والعميقة بالتقشير . ويجب أن توضع هذه المواد بواسطة اخصـــائى فى فن التجميل أو طبيب جلد ، لان هـــذه المواد تركز بدرجة معينة تبعا لحساسية الجلد . ومن التركيبات المستعملة :

كلورور الزئبق (سليمانى) واحد جرام + كحول ٥٠٪ ١٠٠ جرام

وأعود فأكرر ان هذا العـــلاج يجب ان يشرف عليه طبيب اخصائى

تقصف الاظافر

● يداى جميلتان ولكن اظافرهما تتعرضان دائما للتشقق والتقصف ، الامر الذى يضايقنى وقد حاولت علاج هذه الحـــال ببعضها ببعض المحويات ولكن بلا فائدة ؟ فما هو سبب هذه الظاهرة ، وما علاجها ؟

ن . ف بالجيزة

ـ قد يكون تشقق اظافرك وتقصـــفها نتيجة لاصابتها بمرض . وتكون هذه الامراض عادة نتيجة لنقص فى بعض الاملاح والمعادن والبروتينات والفيتامينات من الجسم ، أو نتيجة استعمال مستحضرات تحـــوى مواد كيماوية ضارة للاظافر مثل الاصباغ أو المواد القلوية

استعملى المستحضر التـــالى فهو كفيل بعلاج اظافرك ومنع تشققها وتقصـــفها . (بوراكس ٢ جم + جلسرين ٢٤ جم + ماء ٧٤ جم)

ثقل وضعف

● لاأدرى سببا للثقل الذى احس به فى ساقى بالاضافة الى الضعف الذى احس به فى أعصابهما . فهل السير على الاقدام سبب هذا الاحساس ، وبماذا تنصحوننى ؟

فتحى . ك بالقاهرة

ـ مادمت تشعر بثقل فى ساقيك فاعتن بكبدك وبغذائك . واذا شاهدت فيهما بعض الاورام البسيطة (كلاكيم) فدلكهما ما استطعت الى ذلك سبيلا . واذا كنت تحس بضعف فى اعصابهما أو برعشة فلا تقف طويلا ، ولا تبدل الوقوف على قدم بعد اخرى . وعلى العكس فانى أنصحك بمداومة السير على الاقدام اطول مسافة ممكنة ، او ارفعهما الى ما فوق رأسك مع ثنى الركبتين . لا تضع ساقا فوق أخرى ، ولا تلف ساقا حول ساق . ولا ترتدى أحذية ضيقة ، وتجنب المواقف المثيرة حتى لا تتأثر دورتك الدموية . وتجنب دائما التغيرات الجوية ، وحمامات الشمس ، والجوارب الطبية عند النوم

بدانة ملحوظة

● تضايقنى جدا بدانة جسمى بشكل ملحوظ لا يتناسب مع وزنى . ونصحنى كثيرون نصائح مختلفة اتبعتها دون فائدة . وانى أود من صميم قلبى ان انقص وزنى بل اريد أن اكون نحيفا . فماذا افعل ؟

ع.ا باسكندرية

ـ اذا اردت النحافة حقا فلا مفر لك من اتباع نظام الرجيم بدقة تامة . ويجب معرفة أن الشيكولاتة والحلوى كالجاتوه وعصير الفواكه تخل بميزان الرجيم . فكلما أقللت منها كان ذلك أفضل . واذا شعرت بالجوع فعليك بامتصاص قالب من السكر ، فهو كفيل بتهدئة ثائرة هذا الجوع

والدكتور « هيبك » ـ طبيب فرنسى متخصص فى شئون التغذية ـ يسمح بتناول كمية كبيرة من الفاكهة مع تنوع ما تتناوله منها . فهو يسمح لمن يتبع رجيما خاصا ، وفى يوم الفاكهة بالذات ، بأن يتناول ٤٠٠ جم تفاح و ٧٠٠ جم من الكمثرى و ٥٠٠ جم من الموز . وفائدة هذا الرجيم كبيرة جدا لانه يؤدى الى النحافة المطلوبة مع اتباع الراحة أثناء قيامك بالرجيم

هالة سوداء

● أنا طالب جامعى فى العشرين من عمرى . تظهر حول عينى هالة سوداء وخاصة أيام الاستذكار . فكيف امنعها من الظهور ؟

عباس بمصر الجديدة

ـ تظهر هذه الهالات عادة عند الاشخاص ضعيفى البنية أو بعد الاجهاد العقلى والجسمى المتواصل . وكثيرا ما تكون بسبب اضطراب فى الجهاز الهضمى والكبد خاصة

دلك حول العين بكريم دهنى مثل الكولدكريم أو زيت اللوز الحلو مرتين يوميا مدة عشر دقائق بحركة دائرية من الداخل (بجوار الانف) الى الخارج (بجوار الاذن)



اياك ...

قال بعض الحكماء :

« اياك ان تقتدى بزلات بعض الصالحين ، لتقول : فلان شرب الخمر فاشرب مثله ، وفلان لعب الشطرنج فالعب مثله ، وفلان فعل كذا وكذا فأفعل مثله ، فانك اذا تتبعت زلات الصالحين ، ورخصت لنفسك فى العمل بها ، خرج منك امرؤ جامع للمفاسد



التطور والتجديد في الشعر الأموي

تأليف الدكتور شوقي ضيف

يدور هذا البحث حول التطور الذي طرأ على الشعر العربي في عهد الدولة الأموية ، وماناله من تجديد كان لا مفر منه، اذ لم يكن من المعقول ان يظل الشعر العربي الجاهلي الى الابد دون ان يتطور رغم تطور الحوادث والاحوال ، ولقد انتقل العرب من الصحراء ايام الجاهلية الى المدن وما فيها من حضارة جديدة لا عهد لهم بها . وانتقلوا كذلك من عهد الوثنية ، الى عهد الاسلام

ويقول المؤلف في مقدمته : « لقد كان العربي القديم ساذجا في حياته ووسائلها ومطالبها وكان ايضا ساذجا في تفكيره ، بل كان لايجد وقتا كي يفكر في الاشياء ، اذ كان مشغولا دائما بالسعي في طلب قوته . اما عربي العصر الاموي فكان يعيش في حياة معقدة ، عقدتها الحضارات الفارسية والاغريقية والرومانية ، التي غزا اهلها واستعمرهم سياسيا ، وغزوه واستعمروه حضاريا وثقافيا . وقد اخذ يفكر في الاشياء ويطيل التفكير ، بل اخذ يحترف التفكير احترافا في كل شئون حياته من سياسة واقتصاد »

ويقول في موضع آخر : « وفرق بعيد بين نفسية وثني ونفسية مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويستشعر السعادة فيما يؤديه من تقوى وعبادة . وفرق بعيد بين عقلية بدوي يعيش معيشة بسيطة في الخيام لا يخضع لسلطان سوى سلطان القبيلة المحدود ، وعقلية حضري يعيش في مسكن مستقر البنيان ، ويخضع لضرورات الحياة في الدول والمدن ، ويختلف الى دور اللهو والغناء والموسيقا او الى دروس العلماء وحلقاتهم في المساجد حيث كانوا يغوصون في بحار الفكر غوصا ، وحيث فتحوا للناس ابواب البحث ، في مشاكلهم السياسية والدينية والعقلية ، على مصاريعها »

وعلى هذه الاسس وضع الدكتور شوقي ضيف بحثه الممتع ، فمهد له بحديثه عن الشعر في صدر الاسلام وتناول الفصل الاول الكلام على بيئات الشعر الاموي ، وفي الفصل الثاني تطور الشعر الاموي مع الحياة ، وفي الفصل الثالث التجديد في المديح والهجاء ، وفي الفصل الرابع الوان جديدة ثم الخاتمة.

ولقد كان الدكتور شوقي ضيف كالعهد به في كل ما اصدره من الكتب ، من حيث الدقة والتمحيص وايفاء الموضوع حقه ، هذا فضلا عن اسلوبه الجزل الرصين

ويقع هذا الكتاب في ٣٧٠ صفحة من القطع الكبير ويطلب من دار المعارف بالقاهرة

آفاق الغروب

تأليف الاستاذ عبد السلام رستم

ديوان شعر رقيق ، وهو الجزء الرابع من ديوان المؤلف ، وقد استهله بقصيدة بالعنوان الذي اتخذه عنوانا للديوانه

« آفاق الغروب » ، وفى مطلعها يقول :

اذا مالت ذكاء من الربوع
وادبر وجهها نحو الهجوع
رايت وراءها الآفاق تبدو
معصفرة كاضواء الشموع
مناظر فى الاصائل شائقات
بديع ، صيغ فى وشى بديع

وقد كتب المؤلف مقدمة شائقة لديوانه حمل فيها على أولئك الذين يحملون على الشعر القديم والشعراء القدامى الذين اكثروا من المديح والهجاء والرثاء ، وقد بين المؤلف فى مقدمة ديوانه ماق الادب القديم من روعة اخاذة ، ومن احاسيس ومشاعر ، وان المدح والهجاء والرثاء وما الى ذلك لم تكن جميعا الا من ضرورات عصورهم وظروفهم ، وان الادب والاديب يتطوران تبعا لتطور الزمن

ويقع الديوان فى ٩٢ صفحة من القطع الصغير ويطلب من المطبعة العالمية بالقاهرة

الفنون الشعبية

ازداد الاهتمام بالفنون الشعبية (الفولكلور) فى عهد الثورة المباركة ، لان هذه الفنون الشعبية كما يقول السيد ثروت عكاشة وزير الثقافة والارشاد القومى فى مقدمة الجزء الاول الذى صدر من هذه الفنون الشعبية : «هى صورة من طبيعة شعبنا تداولها على مر الايام حتى رسبت فى اعماقه ، وانطلقت على لسانه حكما وامثالا ، واغنيات والحانا ، كما ظهرت فى مجموعات رقصاته . بل ان هذه الفنون اخذت طريقها الى انتاج الشعب ، فاضفت عليه طابعا خاصا يميز شخصيته »

من أجل هذا عنيت وزارة الثقافة والارشاد القومى بالفنون الشعبية ، وانشات من اجلها مركز الفنون الشعبية ، والفت لجنة تحرير لها من : الدكتورة سهير القلماوى ، والدكتور عبد الحميد يونس ، والاستاذ سعد الخادم ، والاستاذ رشدى صالح ، والاستاذ حسنى لطفى سكرتير التحرير

وقد أصدرت هذه اللجنة الجزء الاول من المؤلفات التى اعتزمت اصدارها ونشرها بين الناس لتعريفهم لفنونهم الشعبية التى طال اهمالها حتى كادت تندثر ، والتى عنيت حكومة الثورة ببسط رعايتها عليها وتأييدها والاهتمام باحيائها

والجزء الاول مؤلف من مقالات بالعربية ، واخرى بالانجليزية ، او بالفرنسية ، ومحلى بكثير من الصور الجميلة

الفكرة العربية فى مصر

تاليف الاستاذ انيس صايغ

كتاب جامع شامل عن الفكرة العربية فى مصر وكيف حيل بين انتشارها وما هى العوامل الكبرى التى عاقت انتشارها والتى حاولت وادها ، فلم تستطع ، فحاولت عرقلتها بكل السبل ومن اهم هذه العوامل الاستعمار الذى بذل اقصى جهوده فى عزل مصر عن البلاد العربية ، والحيلولة دون انضمامها الى شقيقاتها فى البلاد العربية . ومن العوامل الكبرى ايضا تربع حاكمين على دست الحكم فى مصر وتولى امرها ، وهم طائفة غريبة عن مصر ، وغريبة عن البلاد العربية لا تربطهم بها رابطة من عواطف او ثقافة او لغة او تفكير او غير هذا وذاك . هذا الى جانب عوامل اخرى فصلها الكتاب تفصيلا وافيا ، ثم تحدث الكتاب عن ثورة مصر الكبرى عام ١٩٥٢ وكيف طفت الفكرة العربية وبرزت فى سياسة الرئيس جمال عبد الناصر وفى كتاباته وخطبه واحاديثه . وفى دستور مصر ، ومؤازرتها لكفاح العرب فى كل مكان ، وفى علاقاتها مع سائر الدول العربية ، وفى النتاج الفكرى ، والتوجيهات الرسمية ، واخيرا فى ابرام الوحدة المباركة مع سورية .

سؤال يلقيه المؤلف : منذ متى تشعر مصر وتدرك انها بلد عربى ؟

ثم انطلق يجيب على السؤال فى هذا الكتاب الرائع المؤلف من ٣٣٦ صفحة من القطع الكبير . وهو حقيق بان يقتنى فى كل مكتبة ، ويطلب من مؤلفه بالجامعة الامريكية ببيروت

ديوان شاعر آل البيت

تاليف الاستاذ محمود جبر

سمى نفسه شاعر آل البيت لانه يؤمن انه : « بقدر قربنا من سيدنا رسول الله سيكون قربنا من الله . وبقدر حبنا له فى الحياة ستكون درجتنا يوم لقاه . لقد تحمل نبينا راضيا اقسى صنوف العذاب من أجل رضاء مولاه ، ولقد وعده ربه ان يرضيه ، والا يخزيه فى أخراه ... ، لهذا وضحت السبيل لمن أحب المصطفى ... »

وعلى هذا الدرب سار شاعر آل البيت . وليس معنى هذا أن ديوانه خلا الامن القصائد التى تغنى فيها بآل البيت ، بل انه اشتمل على كثير من ابواب الشعر الاخرى الى جانب النبويات والحسينيات ، واقمار الزهراء ، من مثل متفرقات كالثورة والفجر والجلاء والعلم والوحدة والمغرب والابطال بالجزائر والصحافة والمتشامرون ، واسمار الندوات والشخصيات البارزة ـ كالرئيس جمال عبد الناصر ، والشريفة دبنا وغير ذلك من الابواب الاخرى

انه ديوان حافل بارق الشعر والبهجة ، ويقع فى ٢١٠ صفحة من القطع الكبير ويطلب من دار الطباعة القومية بالقاهرة

الكوميديا الانسانية

تاليف : وليم سارويان

ترجمة الاستاذ بدر الديب

سارويان اديب امريكى كبير ، ومن الع نجوم القصة . وهو من اصل أرمنى ، ولكن عائلته استوطنت أمريكا فنشب فيها وترعرع وتثقف بالثقافة الامريكية

وتدور حوادث هذه القصة حول اسرة امريكية فى زمن الحرب . وهى رواية مليئة بالحرارة وهدوء النفس ، وعلى مناظر انسانية تظل عالقة بذهن القارىء .

وقد اشتهر المؤلف بقصصه القصار التى تعالج كثيرا من النواحى الاجتماعية والانسانية ، والكوميديا الانسانية ، هى اول رواية طويلة دبجها يراعه فخرجت رواية ممتعة شائقة

وتقع الرواية فى ٢٧٨ صفحة من القطع الصغير ، وقد نشرت بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين وتطلب من مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة

العالم يزحف

ترجمة الدكتور محمد الشحات

هذا كتاب ضخم الفه خمسون عالما واشرف على تحريره عالم كبير هو جيمس سترولى ، ويشتمل على سبعة أجزاء تناول الجزء الاول موضوع : ماذا يستطيع العلم ان يفعل ؟ وهو مقسم الى خمس مقالات : العلم واثره فى المجتمع ، تاريخ العلم فى الولايات المتحدة الطبيعية الاجتماعية ، اضخم الارقام ، قيمة القصص العلمى . وتناول الجزء الثانى الارض وما يحيط بها . العصور الثلجية وما يحيط بها ، اهمية البترول ، الموقف العالمى للبترول ، تصوير قاع المحيط ، قارة اطلنتس المفقودة ، الجو كمصدر طبيعى للثروة ، الموجات الصوتية وطبقات الجو العليا ، الشهب والنيازك ، اعين جديدة ترينا السماء . وتناول الجزء الثالث : الشمس وطاقتها . والجزء الرابع : عالم الاحياء . والجزء الخامس : حياة الانسان وصحته . والجزء السادس : بين الذرات والجزئيات . والجزء السابع : العلم يسهل الحياة . وفى كل جزء من هذه الاجزاء ابوابه العديدة ، وكل باب عالجه عالم ، وعدد الابواب والعلماء خمسون بابا وعالما

انه كتاب كبير يرينا كثيرا من النواحى العلمية التى تغمض على الكثيرين ، والتى يجب على كل امرىء مثقف ان يطلع عليها ويستوعبها وهو يقع فى ٣٢٥ صفحة من القطع الكبير ويطلب من مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

سوانح

تاليف الاستاذ توفيق حسن الشرتونى

مجموعة طيبة من الخواطر والافكار التى تتردد على ذهن المؤلف ، والتى يستخلصها من حياته وتجاربه ومطالعاته . وهى خواطر بعضها فلسفى ، وبعضها اجتماعى وآخر ادبى وهلم جرا . ومن امثال هذه الخواطر ما يلى :

« مهما تكن طريق الحق شائكة ، وعرة المسالك ، فهى وحدها تؤدى الى راحة الحياة وطمانينة النفس »

« كم من رجل عادى المواهب يتحلى بدماثة الخلق وسمو المبادىء ، وكم من عبقرى تنقصه وداعة النفس ونقاوة القلب »

« انا جزء من كل . فما دمت لا اتمكن من خداع هذا الجزء الذى يمثل « الانا » ، فكيف بوسعى ان اخدع الكل ؟ »

« ليس المهم ان نسمع صوت الحق ، بل ان نستجيب له ، ونسترشد به »

« لا رجاء من شاب يفتقر الى حيوية والدفاع ، ولا فى شيخ يخلو من حكمة واختبار »

وقد اشتمل الكتاب على مئات من مثل هذه الخواطر والسوانح البديعة ، ويقع فى ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط ويطلب من مطبعة معصبا ببيروت

منهج القرآن
في بناء المجتمع
تاليف فضيلة الأستاذ محمود شلتوت

لم يكن الدين الاسلامي دين عبادة وتهجد فحسب، بل هو في الواقع دين شمل الدنيا والآخرة معا ، وتناول شئون الحياة من كل نواحيها

بيد ان كثيرا من الناس غفلوا عن هذه الحقائق التي وردت في القرآن الكريم ، تلك الحقائق والمعاني السامية التي كانت مبعث قوة ومجد وسؤدد للامة العربية حين آمنوا بها ، واهتدوا بهديها ، وحين ساروا على قواعدها

والامة العربية اليوم في امس الحاجة الى تبين ما في القرآن الكريم من تلك الحقائق والمعاني السامية ، والى الاخذ بها ، والى السير في ذلك الدرب الذي سار فيه اجدادهم، فبلغوا بذلك اعظم شأو في الحياة ، وانتشرت تعاليمهم ما بين الصين والمغرب الاقصى وامتد سلطانهم حتى بلاد كثيرة من اوربا

وقد شاء فضيلة شيخ الازهر الاستاذ محمود شلتوت ان يحدث امة العرب عن دينهم فاصدر كتيبا موجزا ولكنه جامع شامل ، تناول فيه الكثير من الابواب التي يفيد المسلمين الاطلاع عليها من مثل اساس الاسلام في رباط المجتمع ، والتبتل في نظر الاسلام ، والتكالب على الدنيا ، والروحية المهذبة ، والاسلام دين العقل والعلم ، ومكانة العلم في نظر القرآن ، والوقاية من الامراض، التضامن الاجتماعي ، الاموال ، التضامن الاسلامي ، اساليب القرآن في الدعوة الى الانفاق ، التسول في نظر الاسلام ، الدين والاجتماع، العناية باليتيم ، الابتداع في الدين القرية السعيدة ، ندوة العلم والتعليم في خدمة المجتمع .. الخ

والكتاب رغم ايجازه قد لخص تلك الابواب تلخيصا وافيا بديعا

وقد اشتمل الكتاب على ٢٣٢ صفحة من القطع الصغير ويطلب من ادارة الثقافة بوزارة الاوقاف بالقاهرة

الحصاد
تاليف الاستاذ عبدالحميد جوده السحار

عهدنا الاستاذ عبد الحميد جوده السحار قصاصا وروائيا ، يكتب القصة القصيرة والطويلة على السواء ، وهو يعالج في هذه وتلك ناحية من نواحي النفس البشرية ، ولكنه في هذه الرواية الجديدة « الحصاد » يرسم صورة بارعة بديعة للمجتمع المصري في عهد طاغية افسد البلاد بفساده ، وكاد يهبط بها الى الحضيض لولا أن تداركها الله بفضله ورحمته ، وبعث اليها برجل عظيم ونفر من الوطنيين المخلصين ، فتعاونوا جميعا على انقاذ البلاد من هذا الطاغية واهله وحاشيته ومحسوبيه ، ومن الفساد الذي كان متفشيا في طول البلاد وعرضها

ولم يقتصر الاستاذ المؤلف على اظهار بعض الفساد ، ولكنه عرج في سياق روايته البديعة على بعض النواحي الاجتماعية ، فقص علينا ، مثلا ، قصة الابن الذي تموت امه ، ويتزوج ابوه بواحدة اخرى ، فتوقع بين الابن اليتيم وبين أبيه ، وتحمله على أن يعامله بقسوة دون اخيه من تلك المرأة ، زوجة الاب

وفي الرواية حوادث مروعة اخرى ، لعل ابشعها موقف الاب والابن معا في قسم البوليس وقد قبض عليهما مع غيرهما حين كانوا جميعا يستمتعون بالرذيلة

لقد عالج الاستاذ المؤلف كثيرا من النواحي الاجتماعية التي كانت سائدة في العصر البائد البغيض ، والتي نرجو أن ينمحي اثرها في عهدنا الجديد

وتقع الرواية في ٥٠٦ صفحات من القطع المتوسط وتطلب من مكتبة مصر بالقاهرة

مجاملة

كانت احدى سيدات المجتمع في لندن قد تخطت مبلغا شخصا عند اطباء التجميل . وقد حدث ان التقت بالاديب الانجليزي الساخر برنارد شو ، وقالت له بعد حديث قصير

— كم ابلغ من العمر فيما ترى ؟

فراح شو يفحصها بعينيه ثم قال :

— لو حكمنا بشكل اسنانك لكان عمرك ١٨ سنة ، وبشعرك لكان ١٩ سنة ، وبهيئتك لكان سنك ١٤ سنة

فابتسمت السيدة ابتسامة عريضة وقالت :

— هذه مجاملة جميلة منك ولكني اريد منك التقدير الذي تراه !

— عليك اذن ان تجمعي ١٨ ، ١٩ ، ١٤ فيكون الجواب ٥١ سنة !